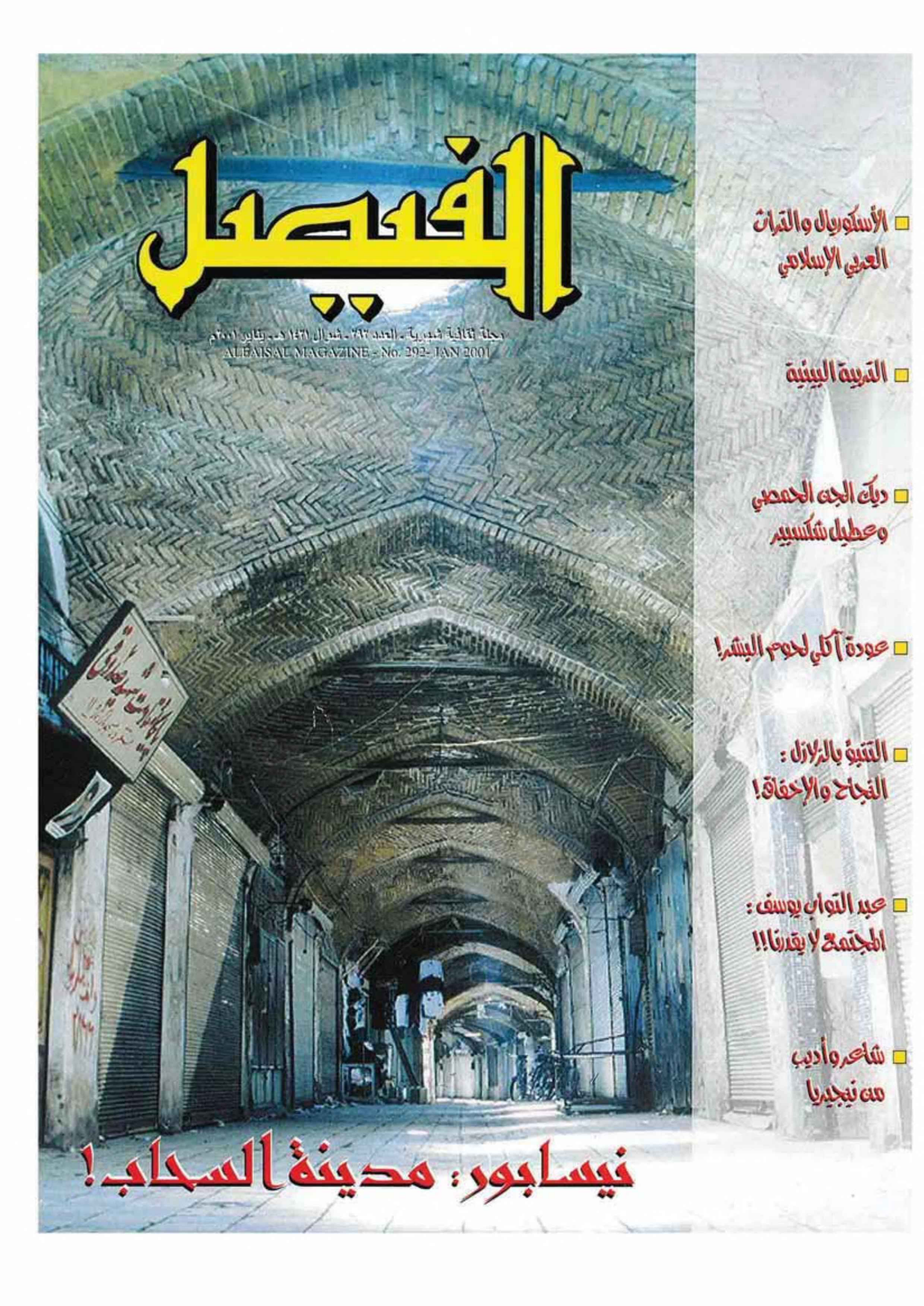
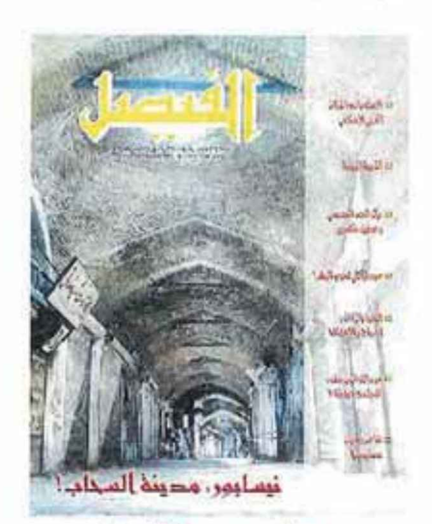

الفيصل
مجلة ثقافية شهرية - العدد ٢٩٢ - شوال ١٤٢١هـ - يناير ٢٠٠١م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 292- JAN 2001
الأسكوريال والتراث العربي الإسلامي
التربية البيئية
ديك الجن الحمصي وعطيل شكسبير
عودة آكلي لحوم البشر!
التنبؤ بالزلازل : النجاح والإخفاق!
عبد التواب يوسف : المجتمع لا يقدرنا!!
شاعر وأديب من نيجيريا
نيسابور: مدينة السحاب!



الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات



نيسابور، مدينة السحاب

لنيسابور حضور قوي في التاريخ الإسلامي، بل كانت مدينة مهمة حتى قبل الإسلام، إذ كان بها أحد معابد النار الثلاثة لزرادشت، وعندما حكمها عمر ليث الصفار قال عنها: حكمت مدينة زهورها تؤكل، ونباتها الراوند (الريواس)، وأحجارها الفيروز.
واشتهرت نيسابور بكثرة علمائها وأدبائها، ومن بينهم صاحب الرباعيات الشهيرة عمر الخيام.. فماذا في ذاكرة التاريخ عن مدينة السحاب؟!

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ . ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:
١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  . يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  . يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  . التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  . تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  . ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

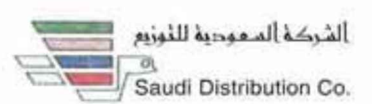
الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات . الكويت ٦٥٠ فلس . الإمارات ٧ دراهم . قطر ٧ ريالات . البحرين ٧٥٠ فلس . عُمان ٧٥٠ بيسة . الأردن ٥٠٠ فلس . اليمن ٦٠ ريالاً . مصر جنيهان . السودان ٧٠ ديناراً . المغرب ٨ دراهم . تونس دينار واحد . الجزائر ٨٠ ديناراً . العراق ٤٠٠ فلس . سورية ٣٠ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية . الشركة السعودية للتوزيع . هاتف ٦٥٣٠٩٠٩(٠٢)، فاكس ٦٥٣٣١٩١(٠٢). مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢. سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١، ٩٦٣. تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣ نهج المغرب . فاكس ٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ - ١ - ٢١٦. قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٠٠٩٧٤، الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦ . ٠٠٩٦٢، البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣١٢٨١ . ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٠٠٩٧١، الجزائر . مؤسسة E.B.D PRESSE لتوزيع الصحافة . ت ٤٨٦١٥٥٥ فاكس ٤٨٦٢٤١٥ . ٠٠٢١٣، الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٠٠٩٦٥، السودان شركة النحوي للتجارة والتوزيع ص.ب ١٠٣٧١ ت: ٧٧١٥٤٧/٣٧ فاكس ٧٧٤٣٣٦، المغرب MOROCCO - SOCHPRESS - CASABLANCA - TEL:2400223, Fax:00212-240404l/32، باكستان PAKISTAN
PARADIS BOOKS & DISTRIBUTORS- KARACHI 75400, TEL:4314981/2 FAX: 0092-21-4554410.
الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٢١٨٦١٥ - ٣ - ٩٦٧ فاكس ٢٢٢٣٢٨



لا لسهل التصنيف والتوليف

منذ نحو عامين عرفت «الفيصل»، وأكثر ما لفت انتباهي هو حرص المجلة على التطوير المستمر والابتعاد عن طوفان الثرثرة والإثارة الذي يصنع الرؤوس. وقد نرى أن زيادة معقولة في حجمها مقابل زيادة طفيفة في سعر العدد قد تعود بالفائدة المرجوة، فالصحافة في نظري رسالة وخبرة، وحق للحرف أن يوزن بالذهب المسكوب.

وإذا كان لنا أن نلتمس فارقاً حاسماً بين تخلف ورقي، فذلك هو أسلوب التعامل مع الظواهر الفردية المتميزة. فإن كان قائماً على الإلغاء والوأد عرفنا منبع التخلف وهيمنته. وإن كان الاحتضان والتقدير والتحفيز عرفنا منبع الرقي وجميل حضوره.

إن العودة بنا إلى المألوف والمعروف وسهل التصنيف والتوليف مرفوض! ويجب أن نسعى إلى القمم العالية، فهي علامة الحياة في مثل مجتمعاتنا. ويسعدني أن أشير بهذه المناسبة إلى ما كتبه الأخ أبو داهش عن الشاعر ابن سحبان. لم أجد له ذكراً في كتب التراجم الكبيرة التي عندي. وحبذا لو صاحب العرض مقتطع عن جغرافية المنطقة وتاريخ تلك الحقبة. العصر الذي تدور حوله سنة ١٢٢٥هـ.

ويمكن للفيصل أن تساهم في مدنا بالمعرفة المبسطة عن المنطقة العربية بأسرها، وعن الثقافة العربية القديمة من خلال باب محدود يعرف بالشقيقات العربيات، والكتب التراثية المطبوعة المتوافرة. فالسعودية نجهلها واليمن مثلاً. لم نعرف ما عرفناه قبل أربعة عقود. وهذا يساعد على التغلب على النزعة القطرية السائدة هذه الأيام. ولا يبقى إلا منطق أن نقوي العلاقات بين بلادنا وأن نتربص بحلم الوحدة، وإلا كنا لأنفسنا من الظالمين.

وأخيراً فإننا نأمل أن تصلنا الفيصل باستمرار، وفي الحقيقة فإني أتمنى أن يتيسر شراؤها باستمرار والانتفاع بما فيها من قيم المواضيع والمعلومات.

د. محمود عبدالعزيز الزعبي
إربد ص.ب ٢٨٤ - الأردن

التحرير:

نحن معك في ضرورة التميز والإبداع. ولا يتحقق ذلك للمجلة إلا بمشاركة كتابها وقرائها لطرق آفاق جديدة في الميادين المختلفة.

ونأمل أن يوافينا الدكتور أبو داهش بما طلبت من إيضاح. وحرصاً على التعريف بالمدن العريقة في الدول العربية والإسلامية تعمل المجلة على نشر استطلاع مميز عن إحدى المدن في كل عدد من أعدادها. لتحقيق مزيد من التواصل بين أجزاء عالمنا العربي والإسلامي. وللتعريف بالمدن ذات التاريخ في العالم. وابتداء من هذا العدد رأينا أن يأتي هذا الاستطلاع تحت عنوان «مدن التاريخ».

دهشة ومتعة

... الذي بدأ يعتريني أن أتقدم إليكم بكلمة شكر صادقة وإعجابي غير المحدود بمجلة الفيصل الغراء، كما أشيد بالدور الطلائعي الذي تضطلع به هذه المجلة الثرية والقيمة لما تقدمه من موضوعات وعناوين قل أن نجدها في المجلات الأخرى، ولكم دهشت عندما وقعت عيني عليها في رف مكتبة، لقد أضفى علي شعوراً كبيراً جداً بعد أن كنت في الأيام السالفة أحضر الأعداد الصادرة في الثمانينيات. ولما صادفت العدد الأخير تأسفت لعدم حصولي على الأعداد السابقة؛ لأني أسكن في الريف، والتزود يتطلب قطع مسافة لا يستهان بها، ومع ذلك فكل شيء يهون في سبيل مجلة الفيصل، ولا سيما في حلتها الجديدة المميزة، فهي متعة للعين والقلب وغذاء للفكر.

أود أن تدرجوا لنا مواضيع في حقل التربية والتعليم، وختاماً لكم كل الشكر والامتنان مسبقاً، وأتمنى أن ييسر الله لكم ذلك. فأنتم قبلة الثقة التي غابت في عصرنا الحالي. كما أسأل الله أن يوفقكم ويسدد خطاكم، ويمنكم بالصحة حتى يستمر عطاؤكم المتجدد دوماً بإذن الله، ولمجلتنا الزاهرة التقدم والازدهار في عالم الصحافة الثقافية.

الشريف بكطاش
دائرة قجزات ١٩٣٤٠ - ولاية سطيف - الجزائر

التحرير:

نشكر لك ما أبديته من إعجاب بالمجلة. ولقد حرصنا كثيراً على وجود «الفيصل» في السوق الجزائرية لما لها من قراء كثر في أرض المليون شهيد.

ونأمل تواصلكم الدائم مع المجلة بالرأي أو بالإسهام بالكتابة على صفحاتها. ولعلك طالعت في الأعداد السابقة كثيرا من الموضوعات التربوية والتعليمية؛ لأننا حريصون على تنوع مواد المجلة بما يشبع رغبات أغلب قرائها.

عتاب ورجاء

جرت العادة أن يرسل الكاتب مقالاته، وأنتم تجيزون المقالات التي تناسب خط سير المجلة، وأن يكون هناك إشعار للكاتب بذلك، وهذا ما نحبه ونحترمه في الفيصل.

ولو تتبعتم مسيرة الفيصل لوجدتم أني أحد الكتاب الدؤوبين على مراسلتها ومنذ أوائل التسعينيات، ولا أمل من مراسلتكم، بل أحترم أسلوب الفيصل ووقارها. بيد أنه في الفترة الأخيرة ومع إجازة بعض مقالاتي للنشر لوحظ أن المجلة تتأخر في نشر المقالات لعدة أشهر، وهذا أبداً لا ينقص من احترامنا للفيصل، وإنما نعتب على الفيصل تأخر الإشعار الذي يربطها بأحبائها من الكتاب، مع أنهم لا يملون من إرسال المقالات، وهذا ما لم نعهده من إدارة المجلة.

ولا يفوتني أن أشيد بالتطورات الجليلة والقيمة التي حدثت للفيصل لأن لها اسمها وقيمتها الخاصة لدى قرائها، ولما تتميز به من زخم ثقافي وتنوع علمي، مما يسعدني أن تنشر لي، بل يشرفني هذا، وإن كان في باب ردود وتعقيبات. هذا الباب الحيوي والثري من أبواب المجلة. لذا أتوجه إليكم بالشكر والإعجاب، وأتمنى أن تولوا هذا الباب القيم الرعاية والعناية والمساحة الكافية، وأن يعامل كباقي أبواب المجلة في أن يحصل كاتبه على مكافأة مالية على غرار المجلات الثقافية الأخرى. فهذا الباب حقاً يثري الثقافة، ويجعلها - أي الفيصل - منبراً للحوار. ولعلني أن تستمروا في عطائكم وربط المجلة بكتابها الذين لا يألون جهداً في إمدادها بما يليق بأن ينشر على صفحات هذه الواحة اليانعة المثمرة - الفيصل. جعلكم الله ذخراً وعوناً للثقافة والمثقفين.

صلاح عبدالستار محمد الشهاوي
دمشيت ٣١٧٢١ - طنطا - مصر

التحرير:

لعل الأخ الكاتب بمواظبته على مراسلة المجلة يدرك أن ما يصل إليها من مقالات كثير جداً. ونعمل جهدنا على إتاحة الفرصة لأكبر عدد من الكتاب من مختلف الدول. وتأخر نشر أي مقالة مجازة للنشر يكون لهذا السبب فقط.

أما الاقتراح المطروح فسوف ننظر فيه بما يحقق الفائدة. شاكرين لك هذا الحرص على الإسهام في المجلة.

ملاحظات

اسمحوا لي بادئ ذي بدء أن أقدم خالص شكري وامتناني للجهود الكريمة التي تقومون بها لكي يعود إلى مجلتنا الغالية، وجهها المشرق البسام وهذا ما لمسناه في الأعداد الأخيرة، ونرجو أن تستمر تلك الجهود لتظل هذه المجلة متربعة على الذرا، واصلة إلى معارج الريادة في الصحافة العربية الرزينة الهادفة.

واسمحوا لي مرة أخرى أن أضع في رحابة صدركم لتتقبلوا بعض الملاحظات التي أبديها لكم، وذلك لحرصي على هذه المجلة، فأنا من قرائها منذ العدد الأول، ومازلت أحتفظ بها في مكتبتي، ما خلا بعض الأعداد التي لم أتمكن من الحصول عليها، وإنني أرجو أن تتكرموا وترسلوها لي وسوف أحددها لكم في رسالة قادمة إن شاء الله.

- أرجو أن يقوم رئيس التحرير بكتابة مقالة شهرية أو زاوية تخصصية، فلم أعهد مجلة لا يوجد فيها مقال لرئيس التحرير.

- أن يحتوي العدد على لمحة عامة بالأحداث السياسية المهمة في العالم، وأن نعرض هذه الأحداث دون أي مبتورة.

- أن تكون قسيمة المسابقة مستقلة عن العدد أو تكون مطبوعة على صفحة لا تحوي معلومات أو جزءاً من مقال؛ وذلك حرصاً على سلامة المجلة لمن يريد الاحتفاظ بها.

وفي الختام تقبلوا فائق الاحترام والتقدير داعياً المولى عز وجل أن يهديكم لما فيه خير الثقافة والمثقفين.

عدنان عبدالحميد السلقيني

الخالدية - حمص - سورية

التحرير:

نشكر لك ملاحظاتك القيمة. أما بخصوص وجود مقالة شهرية لرئيس التحرير، فإن هذا ليس قاعدة لازمة الاتباع، ويهمنا كثيراً أن نتيح المجال للإخوة قراء الفيصل وكتابها. أما الأحداث السياسية، فيكفي ما تعج به الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية من أخبار «ساس.. يسوس». أما الملاحظة الأخيرة، فقد تم الأخذ بها منذ أشهر مضت.

الظهار

فقد اطلعت على أحد أعداد مجلتكم القيمة عدد (٢٧٨) الذي تحدثتم فيه في الصفحة الثالثة والتسعين عن مرض الظهر المشهور وقد أعجبني ما جاء فيه وكأنه كتب الذي كنت أحفظه وأعرفه عن هذا الوجع المعروف. وكل ما أردت أن أقوله لكم بأن مرض الظهر يسمى بالعربية (بالظهار) على وزن فعال وسعال... إلخ، وقد تذكرت الكلمة حينما قرأت كلمة التاسوع والحاسوب وغيرهما ومعنى هذا الألم المعروف في اللغات الأوربية هو Dorsaigia وهي كلمة مكونة من شقين، الأول من أصل لاتيني، ويعني الظهر وهي Dorsal، والشق الثاني هو Gia ويعني الألم باليونانية فيصبح المعنى (وجع الظهر)، وكل ما أردته أيضاً هو أن هذا المرض ناتج من تآكل الغضاريف الموجودة بين عظام الظهر فيحدث ضغط كبير على الأعصاب القريبة من هذا التآكل ليحدث وجع قوي جداً لا يمكن تحمله، والذي يسبب التآكل ربما يكون العمر الطويل للعظام، أو الرطوبة، أو كثرة استعمال العظام كالعمل الطويل أو الشاق أو حمل أوزان عليها تؤدي مع الزمن إلى هذا التآكل، والبرودة وغيرها من المسببات. ومما يساعد على معالجة هذه الحالة هو التعرض لأشعة الشمس باتزان، لأن الشمس هي أفضل وأرخص دواء لتآكل الغضاريف، والدليل على ذلك أن السود الذين يعيشون في إفريقية قليلاً ما يعانون من أمراض تآكل الغضاريف لتعرضهم اليومي للشمس وأجسادهم طرية لا تعرف تقريباً الانتفاخ أو الكرشنة (الكرش)؛ لأن الشمس تقتل الجراثيم والبكتيريا أحياناً في مواقع كثيرة خاصة إذا كانت سبباً لمثل هذا التآكل.

وفي نهاية رسالتي أردت أن أبعث إليكم تحياتي وأشواقي الحارة راجياً لكم صحة جيدة طيبة وعملاً موفقاً ومزيداً من التقدم لمجلتكم الغراء التي أتمنى لها كل تقدم وازدهار، وأخبركم بأنني على استعداد للكتابة إليكم في أي موضوع تريدونه سواء أكان طبياً أم دينياً أم أدبياً لتحلية المجلة بمقالات مهمة وممتعة وقيمة ومفيدة للقراء الكرام.

أحمد أبو موجة

مدريد - إسبانيا

التحرير:

نشكر لك هذه المعلومات القيمة، ونأمل موافاتنا بما تستطيع من مقالات، نأمل أن تجد طريقها إلى النشر بعد إجازتها وفقاً للمعايير التي تستند إليها المجلة.

ردود سريعة

الأخ أحمد مكي الغرياني - الدمام - السعودية:

نعتذر لك عن عدم تمكننا من تحقيق طلباتك، لأنها خارج اختصاص المجلة، علماً بأن باب «بين القارئ والقارئ» قد توقف منذ مدة طويلة، ويمكنكم الحصول على أعداد المجلات التي أشرت إليها بمراسلة دور النشر التي أصدرت أو تصدر منها.

الأخ مزيري هبري - وهران - الجزائر:

نأمل أن تكون المجلة عند حسن ظنك وظن الإخوة القراء، وأن يكون - فعلاً - فيها الكثير من المعرفة والثقافة والرؤى الجديدة، ونشكر لك أن تمسك بالقلم خصيصى بقصد إبداء الإعجاب، لما يحملنا مسؤولية كبيرة، فنأمل تلقي آراء القراء بما يساعد على الارتفاع بمستوى المجلة تحريراً وإخراجاً.

الأخ عبدالملك علي زيد المهدي - ذمار - اليمن:

نحن معك بضرورة أن يركز الإخوة القراء في إبداء الملاحظات والآراء التي تعين على تجديد شيء بالمجلة بما يناسب العصر، وهي أكثر أهمية لنا من كلمات الإطراء والإعجاب.

أما بخصوص عدم وصول المجلة أحياناً إلى ذمار فسوف نخاطب الجهة المختصة، ومرحباً بالاقتراحات التي وعدتنا بها.

الأخ حسن أحمد الرفاعي - درعا - سورية:

نشد على يدك وأنت تحاول التغلب على ظروفك، وتعمل على إثبات ذاتك بالاستزادة من العلم والمعرفة، ونرحب بنشر قصصك إذا كانت مستوفية شروط النشر بالمجلة، أما تحويلها إلى حلقات تلفازية فلا يدخل ضمن اهتمامات المجلة، ولعلك تستفيد بمن لديهم خبرة في هذا الشأن.

الأسكوريال والتراث العربي الإسلامي

محمد القاضي
طنجة - المغرب

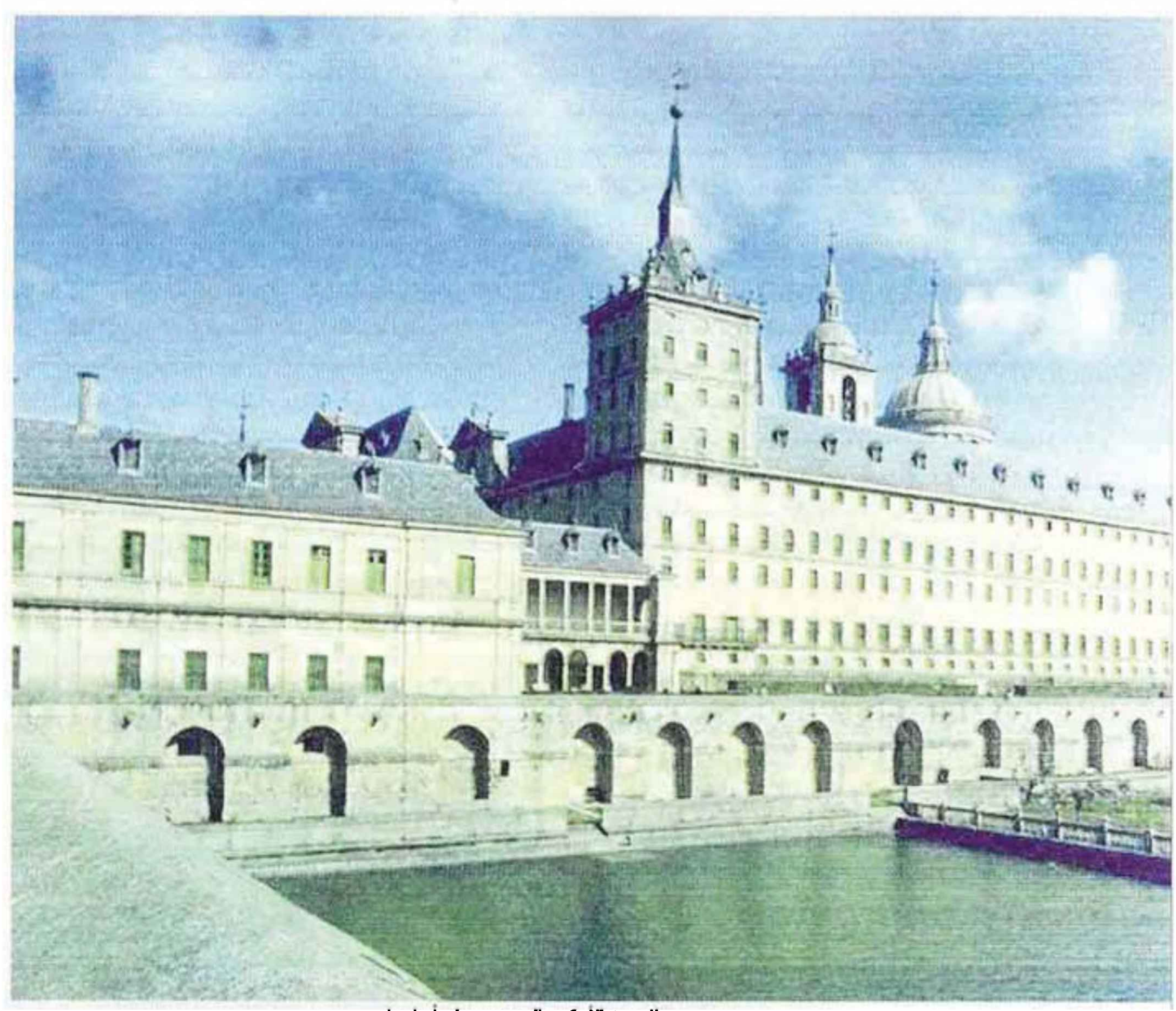
مبنى غريب، تطلب بناؤه إحدى وعشرين سنة، ويعدّ من المباني المذهلة في العالم، إنه دير الأسكوريال الذي يقع على بعد (٥٠)كم شمال غرب العاصمة الإسبانية مدريد، فوق سفح تل صخري متصل بسلسلة جبال (سِيِيرا دِي غوادِ يَراما).

بناه الملك فيليب الثاني ابن الإمبراطور شارل الخامس في النصف الثاني من القرن السادس عشر. وقد قرر بناءه على إثر انتصاره على الفرنسيين في موقعة «سان كانتان» في اليوم العاشر من شهر أغسطس/ آب عام ١٥٥٧م. وتنويها بالقديس لورنثو الذي استمد عونه في هذه المعركة. وكان قد نذر في حربه مع فرنسا التي ألجأته لهدم كنيسة تحمل اسم القديس المذكور، أنه إذا انتصر فسيبني له أفخم كنيسة، فأطلق عليه: دير القديس لورنثو بالأسكوريال. كما قرر أن يشتمل البناء على قصر يكون منزلاً له ولأبنائه وأحفاده.

ويضم المبنى سبعة أبراج، وأكثر من اثني عشر ألف باب ونافذة، وتسعاً وثمانين نافورة، وستة وثمانين سلماً توصل إلى أمكنة مختلفة، أعمدته في البناء المربع عرض كل ضلع من أضلاعها ثمانية أمتار، وعليها أقواس ترتفع عليها قبة الكنيسة، أما البهو الرئيس الذي يتوسط المكتبة فهو بهو واسع يزدان سقفه المحدب بالرسوم الفنية الملونة، وهو مقسم سبعة أقسام، أفرد كل قسم منها لربة من ربات العلوم.

الأسكوريال: قصر .. ودير.. ومكتبة

كان الملك فيليب الثاني رجلاً متديناً وحازماً، قرّب إليه


جانب من الأسكوريال ويبدو بعض أبراجها

عدداً من المستشارين من العلماء والكتاب والمؤرخين، فأشار عليه هؤلاء بأن يضم المبنى مكتبة يمكن أن تضاهي بمحتوياتها وشهرتها المكتبات التي كانت معروفة ومشهورة في ذلك العصر؛ وخاصة مكتبة الفاتيكان في روما.

وكان من بين هؤلاء المستشارين المؤرخ الإسباني (دي مورالس) الذي كتب تاريخ الملك. والذي أشار عليه أن ما يزين المكتبات ويفردها بالأهمية هو احتواؤها على المخطوطات أكثر من الكتب المطبوعة. وهكذا اتبع فيليب الثاني بحماسة فائقة الخطة التي كان قد اتبعها والده من قبله ببذل كل جهد ممكن للحصول على الكتب والمخطوطات النادرة بأي ثمن. وهكذا بدأت مكتبة الأسكوريال تنمو وتتكاثر بفضل العناية التي كان يوليها للكتب الملك فيليب الثاني، الذي عمل على تأسيس مكتبات عمومية كبرى على غرار المكتبات الإيطالية، فقد طلب من سفرائه جمع المخطوطات العربية واقتناءها، وهكذا تمكن من إغناء خزانة الأسكوريال بهذه التحف والذخائر التاريخية النفيسة(١).

وفي عام ١٦١٦م أصدر الملك فيليب الثالث أمراً طلب

فيه أن ترسل إلى مكتبة الأسكوريال نسخة من كل كتاب يطبع في الأراضي الخاضعة لحكمه، فازداد رصيدها الواسع من الكتب المطبوعة والمخطوطات، ولا سيما نوادرها العربية واللاتينية واليونانية والعبرية وغيرها، والتي تعطيها في الوقت الحاضر شهرتها العالمية.

ويذكر المستعرب الإسباني (براوليو خوستيل) الذي عمل مديراً لمكتبة الأسكوريال في السبعينيات من هذا القرن في كتابه عن هذه المكتبة أنها تحتوي على خمسة وأربعين ألفاً من الكتب المطبوعة، وخمسة آلاف مخطوط بينها ١٨٧٠ من المخطوطات العربية، و١٤٠٠ مخطوط باللغة اللاتينية، و٨٠٠ مخطوط باللغة الإسبانية. ويشير في سياق كتابه إلى أن عدد المخطوطات العربية وغيرها من المخطوطات في المكتبة ليس في الواقع إلا بقية باقية بعد الحريق الذي حصل في مكتبة الأسكوريال عام ١٦٧١م وأتلف ما يزيد على أربعة آلاف مخطوط بالإضافة إلى الكثير من اللوحات الفنية الرائعة، والتي كانت قد أهديت إلى الملك فيليب الثاني(٢). كما أن عشرين مخطوطاً ونحو ١٦٠٠ من الكتب المطبوعة اختفت من المكتبة خلال حملات نابليون على إسبانيا في مطلع القرن الماضي، وذلك بالإضافة إلى ما ضاع من المكتبة أو فقد في ظروف أخرى.

المجموعة العربية في الأسكوريال

إن أهم ما تشتهر به مكتبة الأسكوريال مجموعتها الخاصة من المخطوطات العربية، وهي أعظم مجموعة من نوعها، وتضم حسب قول المرحوم محمد عبدالله عنان(٣) نحو ألفي مجلد، ولكن أهميتها البالغة ترجع قبل كل شيء إلى تاريخها ونوعها؛ ذلك لأنها تمثل البقية الباقية من تراث الأندلس الفكري، وتتكون على الأغلب من كتب أندلسية ومغربية. وترجع من حيث التاريخ إلى عدة قرون.

ولهذه المجموعة من الكتب العربية قصة مؤثرة؛ ذلك أنه لما سقطت غرناطة آخر القواعد الأندلسية في أيدي فرناندو وإيزابيلا ملكي إسبانيا في يناير/كانون الثاني ١٤٩٢م، كانت غرناطة وباقي قواعد المملكة الإسلامية السابقة مثل: المرية ـ ومالقة، ورندة، وبسطة، ووادي آش، كلها تغص بالمكتبات والمجموعات الخاصة، وكان معظم الكتب الأندلسية، عند سقوط القواعد الأندلسية الكبرى مثل قرطبة وبلنسية ومرسية وإشبيليا وغيرها قد تسرب إلى مملكة غرناطة، وغدت بذلك آخر مستودع التراث الأندلسي الفكري، فلما سقطت، وبدأت السياسة الإسبانية في تطبيق مخططها للقضاء على مقومات الأمة المغلوبة، المادية والأدبية، كانت الكتب العربية من أهم أهداف هذا المخطط، فجمعت منها مقادير كبيرة، وأحرقت في غرناطة. ولكن هذه النظرة المدمرة إلى تراث الأمة المغلوبة الفكري، تطورت فيما بعد، وجمعت من الكتب العربية في أوائل القرن السادس عشر مقادير كثيرة، من القواعد الأندلسية القديمة، وحملت إلى المكتبة الملكية، ثم أودعت فيما بعد بقصر الأسكوريال.

الخزانة الزيدانية تصل إلى الأسكوريال

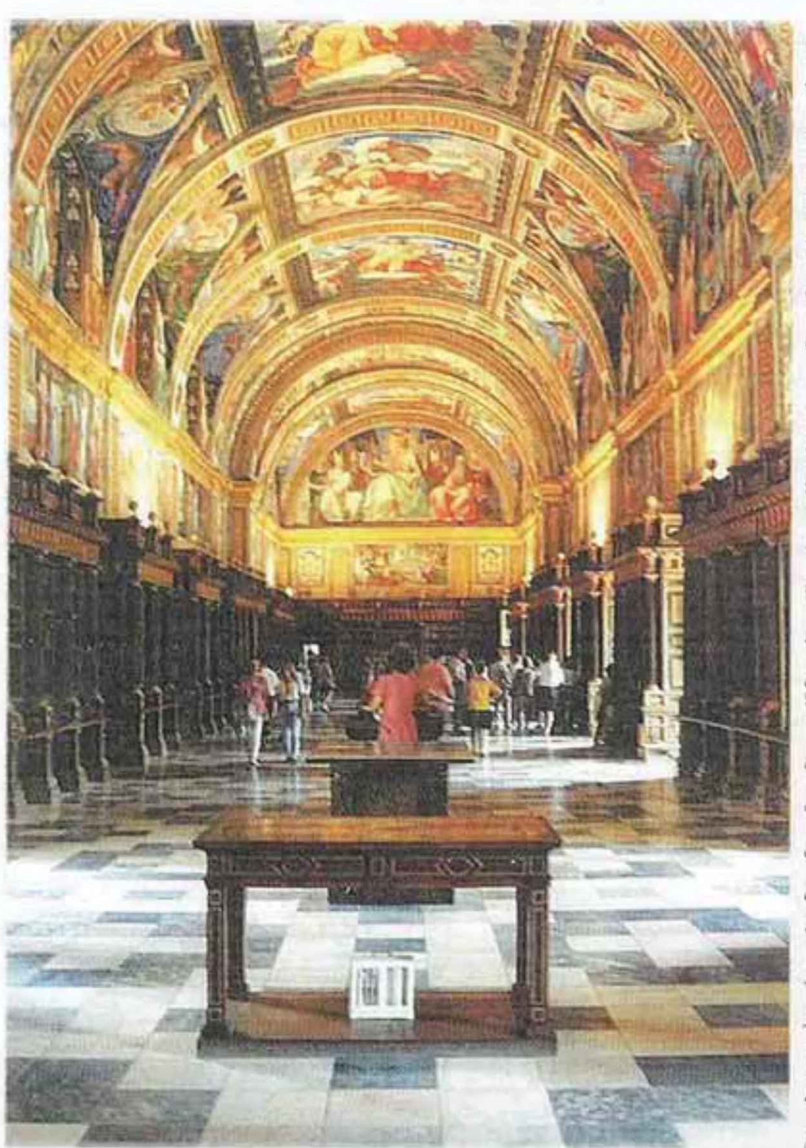
يشير عدد من المؤرخين والباحثين المهتمين بتاريخ المغرب والأندلس إلى قصة استيلاء الإسبان على مكتبة


حلم فيليب الثاني

فيليب الثاني

السلطان زيدان بن أحمد المنصور السعدي الذي بويع بعد وفاة والده (١٠١٢ - ١٠٣٧م) ودخل في حرب مع إخوته الذين كانوا ينازعونه الحكم، وقد تميزت فترة حكمه الذي استمر خمساً وعشرين سنة بالاضطرابات، كان يكبو خلالها تارة وينهض أخرى. وكان المغرب إذ ذاك يواجه الزحف الإسباني والبرتغالي والتحرشات العثمانية.

وكان إخوة زيدان يستعدون عليه هذا الجانب أو ذاك. فكان عهده على ما يحدثنا به المؤرخ الفرنسي ليفي بروفنسال حافلاً بالأحداث والثورات وخرجت عن طاعته أركان المغرب الأربعة كلها. ولقد اضطرت إحدى تلك الثورات المستمرة السلطان زيدان إلى أن يرحل من مقره بمراكش إلى ميناء آسفي على المحيط الأطلسي حاملاً معه أمتعته وخاصة خزانة كتبه. ولما وصل إلى ميناء آسفي وجد سفينة القنصل الفرنسي جان فيليب دي كاستيلو التي تسمى Notre Dame de Lagarde على أبواب الإقلاع إلى مرسيليا فحملها خزانته وأمتعته - من بينها التاج والصولجان - وأمر القنصل بحارتها بالتوجه إلى مدينة أغادير مقابل ثلاثة آلاف دوك أو درهم ذهبي. واكترى سفينة أخرى هولندية لنفسه ولخدمه ولحشمه ولبعض الفرسان المخلصين له، وصلت السفينتان معاً إلى أغادير في اليوم نفسه غادر زيدان السفينة الهولندية برفقة زوجاته وخدمه، ورفض دي كاستيلو إفراغ مركبه قبل أن يؤدي له ثلاثة آلاف درهم ذهبي، وبعد انتظار ستة أيام، فرّ دي كاستيلو من ميناء أغادير قاصداً مرسيليا حاملاً المكتبة والتاج والصولجان والألبسة وغيرها من الأمتعة، وكان ينوي تقديمها لحاكم مرسيليا Duc de gaise مقابل ما اتفق مع زيدان عليه»(٤). إلا أن الظروف قادت المركب في اتجاه مدينة سلا المغربية، لأن أربع سفن إسبانية قد تعرضت له واستولت عليه بكل سهولة، فاعتقد ملاحوها خطأً بوجود الذهب في صناديق الكتب، فلما فتحوها ولم يجدوا بها إلا الكتب، فكروا من حسن الحظ أن يقدموها هدية لملكهم، وذلك عام ١٦١٢م، فتوجهوا بها إلى مدينة بلنسية الأندلسية، ومن ثم أمر الملك فيليب الثالث الإسباني بنقل هذه المكتبة الضخمة التي تتكون من ثلاثة آلاف سفر من كتب الدين والأدب والفلسفة وغير ذلك إلى دير الأسكوريال، حيث أودعت هناك على أمل أن يتم استبدال كل الأسرى النصارى المحتجزين لدى المغرب في ذلك الوقت بهذه الكتب، وحين شاء القدر أن يحرم المغرب من



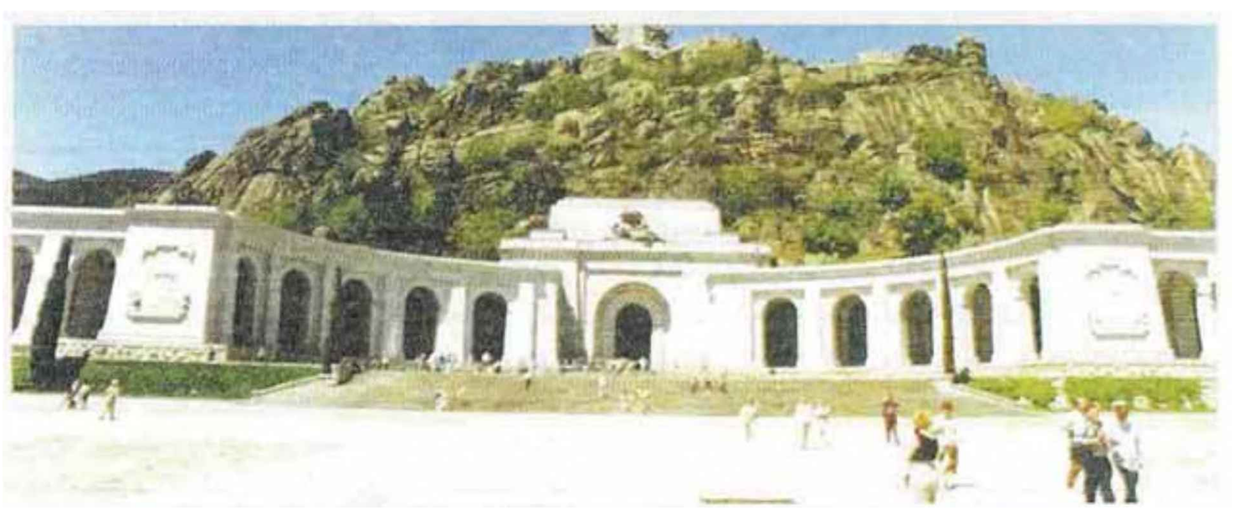
البهو الرئيس مزدان بالرسومات الفنية الملونة

هذه الخزينة أخفقت المفاوضات، فضمت إلى مكتبة الأسكوريال، فأصبحت أسيرة سنين طويلة ثم تحولت إلى كعبة للباحثين من جميع أنحاء العالم على الرغم مما ضاع منها من مخطوطات بسبب الصاعقة التي يزعم مؤرخو النصارى أنها سقطت عليها(٥).

وعلى الرغم من غنى هذه الخزانة الزيدانية وأهمية رصيدها بالنسبة إلى تاريخ إسبانيا فإن المسؤولين كانوا - بإيعاز من الفاتيكان - يخفون هذا التراث عن نظر الباحثين والمطلعين، كأنما كانوا يخشون أن يبث روح التفكير الإسلامي في تفكير إسبانيا النصرانية بعد أن بذلت كل جهد ووسيلة لقتل روح الاطلاع على الفكر الإسلامي، وقد كان الكتّاب المسيحيون أنفسهم يعرضون عن هذه المصادر التي تتحدث عن تاريخ إسبانيا وحضارتها أيام الدولة الإسلامية، ويقتصرون على المصادر القومية النصرانية، وإخفاء هذه المخطوطات عن نظر الباحثين هو الذي جعلها تبقى دون فهرسة مدة تزيد على قرنين من الزمان (٦)، إلا ما كان من محاولات سنذكرها فيما بعد. ولم ينس ملوك المغرب كتب المكتبة الزيدانية التي أخذت قهراً وقسراً في عرض البحر، فبذلوا في سبيل استردادها كثيراً من المحاولات، بدءاً بمحاولة السلطان زيدان نفسه الذي حاول أن يقدم عرضاً للتفاوض مع البلاط الإسباني في سبيل استرجاع كتبه، واقترح مقابل ذلك ستين ألف درهم ذهبي، وأعاد محاولاته هذه عدة مرات دون جدوى إلى أن وافته المنية عام ١٠٣٧م، ولم يتوقف خلفاؤه عن طلب إعادة هذه المكتبة مستعملين الوعد حيناً والوعيد حيناً آخر تجاه البلاط الإسباني.

ولم تنته المحاولات في سبيل استرجاع هذه الخزانة مع نهاية أسرة السعديين، بل استمر المغاربة يلحون على إعادة كتب تراثهم الإسلامي في عهد الملوك العلويين، غير أن طلب هؤلاء لم يقتصر على المكتبة فقط، بل تجاوزها إلى المطالبة بكل ما بقي من تراث العرب بالأندلس.

وكانت مجلة «القراءة» Lecturas الإسبانية الشهيرة قد نشرت في عددها لشهر سبتمبر/أيلول عام ١٩٨٩م دراسة حول هذا الموضوع بقلم المستعربة الإسبانية نيفيس باراديلا ألونسو، أكدت فيها أن معظم الرحّالين العرب الذين زاروا إسبانيا تعرضوا في كتاباتهم إلى الأهمية التي تنطوي عليها الكتب والمخطوطات العربية التي توجد في الأسكوريال. وتشير الباحثة الإسبانية إلى أن المكتبات والمتاحف كانت باستمرار أماكن تسترعي اهتمام مختلف الرحالين العرب على امتداد العصور، وهذا ما حدث لدير الأسكوريال، فقد كان باستمرار محط اهتمام الزوار والرحّالين الأجانب الذين كانوا يتقاطرون على إسبانيا. وقد تعرضت الباحثة في هذه الدراسة لثلاثة سفراء مغاربة زاروا إسبانيا في حقب تاريخية متفاوتة، فقد زارها الأول في القرن السابع عشر، والاثنان الآخران في القرن الثامن عشر. وكانت تجمعهم صفة واحدة، إذ كانوا جميعاً بمنزلة سفراء لبلدانهم في إسبانيا، وقد قدموا للتفاوض مع العاهلين الإسبانيين كارلوس الثاني، ثم كارلوس الثالث.



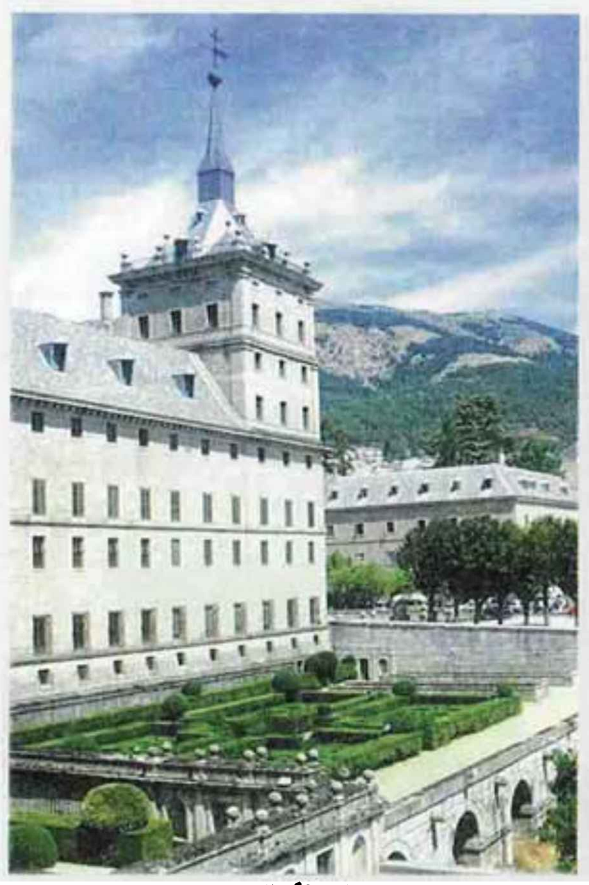
دير القديس لورنثو، ويبدو جزء من سلسلة جبال سييرا دي غواد براما

ومن المهام التي اضطلع بها هؤلاء السفراء بالإضافة إلى مهامهم السياسية، قضية المطالبة بعدد من المخطوطات المغربية الموجودة في الأسكوريال وإعادتها إلى المغرب. وهؤلاء السفراء هم:

ـ الوزير ابن عبدالوهاب الغساني الفاسي الذي كانت سفارته لإسبانيا سنة ١١٥١هـ/١٦٩٠م في عهد السلطان مولاي إسماعيل العلوي، وقد دون رحلته هذه في كتابه المعروف «رحلة الوزير في افتكاك الأسير» قام بتحقيقه ونشره الأستاذ ألفرد البستاني. وقد وصف هذا السفير الجناح الذي توجد فيه كتب السلطان ابن زيدان ومخطوطاته بالأسكوريال، كما فاوض الملك الإسباني كارلوس الثاني بشأن إطلاق سراح المسلمين، وكذا إرجاع بعض المخطوطات المغربية إلى المغرب، إلا أن الملك الإسباني استجاب للمطلب الأول وماطل في الثاني.

ـ أحمد بن المهدي الغزال سفير السلطان محمد بن عبدالله العلوي إلى العاهل الإسباني كارلوس الثالث سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٦م، وهو صاحب كتاب «نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد» حقّقه وقدّم له الأستاذ إسماعيل العربي. وتحتل قضية المخطوطات المغربية مكانة مهمة في رحلة الغزال الذي قام بزيارة الأسكوريال، وقد سلم له الملك الإسباني بعض هذه المخطوطات: «يأمر ملك إسبانيا بإخراجها من المحل الذي كانت به، ودفعت لنا، وزدنا على ما صاحبنا من الكتب كتبًا من غرناطة.. وذهبنا في هذه الجموع بعد أن قدمنا بثلاثمئة من الأسارى وجعلنا على رأس كل أسير كتابًا من كتب الإسلام أنقذها الله من بلاد الكفر»(٧).

ـ محمد بن عثمان المكناسي سفير السلطان محمد بن عبدالله العلوي لدى بلاط كارلوس الثالث الذي زار إسبانيا في الفترة المراوحة بين ١١٩٣ـ و ١١٩٤هـ/ ١٧٧٩ و ١٧٨٠م في شأن عقد معاهدة لتجديد الصلح بين الدولتين، ولافتكاك الأسارى الجزائريين الذين كانوا بإسبانيا. وهو صاحب كتاب «الإكسير في فكاك الأسير» حقّقه وعلّق عليه المرحوم الأستاذ محمد الفاسي. كما أنه لم ينس كسابقيه زيارة الأسكوريال حيث توقف بالخصوص طويلاً عند المخطوطات العربية: «وهي عندهم في غاية الحفظ لا يمكن لأحد أن يدخل إلى تلك الخزانة كائنًا من كان، ومكتوب على باب الخزانة بخط أعجمي ما نصه: أمر البابا ألاّ يخرج أحد من هذه الخزانة شيئًا، ومن اعتناء الطاغية بنا فتحوا لنا الخزانة بأمره فأرونا كتب المسلمين، وعدتها ألف وثمانمئة سفر فيها نسختان من المصحف الكريم وعدة تفاسير جلها حواش وكثير من كتب الطب، وقد طالعت ما سمح به الوقت مع ضيقه، فخرجت من الخزانة بعد أن أوقدت الأحزان بفؤادي نارها، وناديت بالثارات فلم يأخذ أحد ثأرها. يا ليتني لم أرها(٨)».



الحديقة والبرج

الغزيري يفهرس المجموعة العربية بالأسكوريال

جرت محاولات كثيرة لتنسيق هذه المخطوطات وتبويبها، فقد قام البروفسور دييغو دي أوريا ـ بعد موت ملك إسبانيا فيليب الثاني عام ١٥٩٨م ـ بفهرسة المكتبة وانتهى إعداد فهارسه عام ١٦٠٠م، كما قام المستشرق الأسكتلندي دافيد كولفيل عام ١٦٢٦م بدراسة المخطوطات العربية في مكتبة الأسكوريال وخاصة مجموعة هورتاد ودي ميندوثا، وقام بفهرستها ووصفها وصفًا مسهبًا. وكتب ملاحظاته


حديقة الأسكوريال في لقطة مأخوذة من داخل المكتبة

باللغـة اللاتينيـة عليهـا. ولـكنه لوحظ أن مـلاحظـاته التي سجلها على مجموعة السلطان مولاي زيدان كانت شديدة الإيجاز، ولا تشير إلا إلى العنوان والمحتوى في كلمات قليلة سجلها في الركن الأسفل من كل مخطوط.

وفي عـام ١٧٤٨م وصل إلى مـدريد الـراهب اللبناني ميخائيل الغزيري أو Casiri كما تدعوه المصادر الغربية، وذلك بدعوة من الحكومة الإسبانية لـلعمل في حقل الترجمة في المكتبة الملكية بمدريد، ومترجماً للملك للغات الشرقية.

تمحور عمل الغزيري في مدريد في اتجاهين: الأكاديمية الملكية والمكتبة الملكية. وكان شغله الشاغل إبراز مواهبه في اللغات الشرقية، وخصوصاً العربية أمام الإسبان، وفي اللغتين اللاتينية والإيطالية، مما دفع بالملك إلى إصدار قرار بتعيينه مديراً لمكتبة الأسكوريال، وذلك عام ١٧٤٩م ليقوم بفحص الكتب العربية، وتقديم تقرير عن كنوزها للملك بعد دراستها والتعريف بها، وتقييد الشذور التي رأى أن ينقلها منها، والملاحظات التي رأى تسجيلها، ثم عاد إلى مقر إقامته بمدريد في أواخر عام ١٧٥٣م. وكان لعمله هذا الأثر الحسن عند الإسبان، كما كان له الفضل الكبير في وضع بعض أسس الاستشراق وازدهارها في إسبانيا. ولكن أهم ما قام به هو وضعه لفهرس كبير للمجموعة العربية بمكتبة الأسكوريال على طريقة الفهرس الذي وضعه يوسف السمعاني لمخطوطات مكتبة الفاتيكان الذي عرف باسم بيبليوتيكا أورينتاليس. «واتبع في وضع فهرسه قاعدة التركيز، وهي تدور حول المواد والتحليلات، وجرى على أسلوب الاقتباسات الموجزة والمطولة في إبراز قيمة المخطوطات ذات الأهمية الخاصة، وترجمة هذه الاقتباسات إلى اللاتينية. وأصدر الغزيري في عام ١٧٦٠م الجزء الأول من فهرسه اللاتيني الشهير بعنوان: «المكتبة العربية الإسبانية في الأسكوريال».

«وأول أقسام الجزء الأول هو النحو، وأول كتب هذا

القسم الذي يحمل رقم ١ من الفهرس هو كتاب أصول النحو لسيبويه، وهو يقوم بوصف الكتاب ومحتوياته باللغة اللاتينية، ويكتب اسمه واسم مؤلفه في أسفل الصفحة باللغة العربية. ويأتي بعد النحو الفن الثاني وهو فن البلاغة.. ثم فن الشعر...(٩)».

ومضت بعد ذلك عشرة أعوام أخرى قبل أن يستطيع الغزيري إصدار المجلد الثاني من فهرسه. وهو يفتتحه بقسم الجغرافية مبتدئاً من الرقم ١٦٢٩. ومحتوياً على سبعة مخطوطات فقط، وهو يبدأ بكتاب العجايب والغرايب لمؤلفه سراج الدين بن عمر الوردي. ويليه قسم التاريخ.. وبعده يستعرض طائفة منوعة من المخطوطات المختلفة الموضوعات والصفات مما لم يدخل من قبل في الأقسام التي سبق ذكرها. ويصل بتعداد هذه المخطوطات المنوعة إلى الرقم ١٨٥١ ثم يلي ذلك كشف عام بالأعلام والكتب يستغرق نحو نصف المجلد الثاني.

وقد تمت ترجمة هذا الفهرس إلى اللغة العربية في عهد السلطان المولى سليمان العلوي (١٧٩٢ - ١٨٢٣م) باقتراح الأديب الوزير المغربي محمد بن عبدالسلام السلوي. وتوجد منه نسخة فريدة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم ٦٧٧٢، وقد صدرت بالمقدمة الآتية: «هذه جماعة الكنانيش التي اجتمعت في هذا الكتاب نسخت بأمر الفقيه الشهير وزير المقام الشريف العلي بالله، السيد محمد بن عبدالسلام السلوي وفقه الله، فلا شيء ازداد ولا نقص على ما كان كتب في السفرين اللذين طبعهما بمدريد النصراني دون ميكل كاسيري، وسمي تأليفه: «زمام الكتب العربية التي وجدت في الأسكوريال». أما تاريخ القيام بهذا التعريب فهو ما تحدده هذه الفقرة التي ختمت بها الترجمة «هذا تمام السفرين اللذين نسخا كما ذكرناه في صدر الكناش الأول، ووقع الفراغ في عشية نهار الخميس الموفى شهر ربيع الثاني عام ستة وعشرين ومئتين وألف (٢٣ مايو/أيار ١٨١١م) والحمد لله رب العالمين. آمين(١٠)».

ويبدو أن هذا العمل كان نتيجة لامتداد اهتمام المغاربة بالكتب العربية الأندلسية بصفة عامة و مخطوطات الأسكوريال بصفة خاصة.

وعلى الرغم من تعاقب ثلة من كبار المستشرقين أمثال: درنبورغ، وليفي بروفنسال، ورونو، وسواهم على إعادة فهرسة الأسكوريال وإصدار القوائم في الصحف الأوربية وبلغات مختلفة فإنه قد بقي لفهرس الغزيري قيمته. هذا الفهرس الذي أثر بعد ظهوره مباشرة في مؤلفات العلماء من المستشرقين أمثال: يوسف كوندي صاحب كتاب «تاريخ دولة العرب في إسبانيا»، ودوزي مؤلف كتاب «تاريخ المسلمين في إسبانيا» وغيرهم. ولبث فهرس الغزيري من أجلّ الأعمال العلمية المفيدة، ومرجعاً فريداً للمجموعة العربية الإسبانية في الأسكوريال، ومقصد العلماء والباحثين من سائر أنحاء العالم. وكان لما يحتويه من المعلومات والحقائق والوثائق أثر كبير في تطور الدراسات الإسبانية العربية، والكشف عن كثير من المعلومات عن نظم إسبانيا المسلمة، السياسية والاقتصادية والإدارية، وعن الحضارة الأندلسية في قمة مجدها وعزها.

المراجع والهوامش

١. مجلة «القراءة» الإسبانية الشهرية، عدد سبتمبر / أيلول ١٩٨٩م، ص ١٨و١٩.

٢. كان المعهد الإسباني العربي للثقافة في مدريد عام ١٩٧٩م قد قرر إقامة معارض لجانب من المخطوطات العربية في مكتبة الأسكوريال في كل من إسبانيا وبعض العواصم العربية. فطلب من المستعرب الدكتور براوليو خوستيل، وكان مديراً للمكتبة آنذاك أن يعد كتاباً يكون على شكل دليل لهذه المعارض، ويعرف بصورة خاصة بالمخطوطات التي يتم تصويرها للعرض وعددها ٤٧ مخطوطاً. وقام براوليو بهذا العمل وقسم كتابه قسمين رئيسين. يعطي القسم الأول منهما لمحة تاريخية وصفية عن المكتبة، بينما يتناول القسم الثاني المخطوطات العربية، وكيفية حصول المكتبة عليها، والجهود التي بذلت لتبويبها ووضع الفهارس لها.

٣. المجموعة العربية في الأسكوريال، حديث أذيع على أمواج إذاعة لندن في شهر سبتمبر /أيلول عام ١٩٦٧م. انظر مجلة «هنا لندن» لشهر أكتوبر /تشرين الأول من السنة نفسها، ص ١٦و ١٧.

٤. مجلة كلية الآداب - جامعة محمد الخامس، الرباط، عدد ٩، ص ١٣٤.

٥. ورث زيدان خزانة أبيه المنصور الذهبي، ولم يكن أقل من أبيه اهتماماً بالعلم وولعاً بالكتب والبحث عنها. وله رصيد من اللغة والعلم يكفي ليجعله من الملوك العلماء.

٦. مجلة «دعوة الحق»، عدد ٢٨١، ١٩٩٠م،، ص ١١٥.

٧. الرحلة، ص ١٤٥.

٨. الرحلة، ص ١٣٧.

٩. كتاب العربي «أندلسيات» محمد عبدالله عنان، ص ٢١٥.

١٠. «مجلة البحث العلمي» المغربية، العدد السادس، ١٩٦٥م، ص ١٩ و ٢٠.

دراسة للمرحوم العلامة المنوني عن ترجمة مغربية لفهرس الأسكوريال.

التربية البيئية

صلاح الدين شروخ
عنابة - الجزائر

إذا سلمنا بما تقود إليه الأبحاث العلمية الرصينة الكثيرة، التي تقول: إن مشكلة التلوث البيئي الناجمة عمّا كسبت أيدي الناس بما أظهروا من فساد في البر والبحر(١). والغلاف الجوي المحيط بهما، هي من أكبر مشكلات عصرنا، وربما العصور القادمة؛ بسبب الخطر المروّع الذي تتعرض له الحياة، نباتية كانت أم حيوانية أم بشرية(٢).

وإذا سلمنا بأن معطيات عصرنا تجعل الوقف التام للتلوث البيئي مستحيلاً؛ لأنه بعض ثمن المدنية الذي لا بد من دفعه(٣).

وإذا سلمنا أيضاً بأن الطبيعة وحدها، ليس بإمكانها، إذا ما تركت وحدها، مع الإبقاء على مصادر التلوث في حال نشاطها، أن تدافع عن توازناتها حتى تمنح خللاً محتملاً، أو أن تستعيد توازناتها المصابة بالخلل به. مما يجعل الإنسان مجبراً، من باب الدفاع عن النفس، وعن الأجيال القادمة، على مساعدتها(٤).

وإذا سلمنا بأن الحلول التقنية التي قدمت، حتى الآن للمشكلة البيئية لم تنجح في تحقيق مطلوبها من جهة، وأكدت أنه لابد من سلوكات بشرية رشيدة مختلفة عن السلوكات التي جعلت الفساد يظهر في البر والبحر تلوثاً بيئياً(٥)، وبصورة يتكامل فيها فعلها وفعل المسلوكات الرشيدة، أعني مع فعل الحلول التقنية والقانونية والسياسية وغيرها(٦).

وإذا سلمنا بما يُلزم به تعريف بعضهم التربية بأنها تَعديل للسلوك القَبْلي إلى سلوك بعدي عن طريق الخبرة والمران، فإن التربية تقدم بعض الحل الأساسي للمشكلة البيئية(٧) مادامت التربية ذات أبعاد مختلفة، والبعد العلاجي بعضها.

إذا سلمنا بذلك كله، وتقبلنا، بسببه، التربية سبيل علاج ومقاربة لحل الأزمة البيئية، فهل يتطلب ذلك سعياً إلى تربية بيئية خاصة؟ ذلكم ما ترجو هذه المقالة الإجابة عنه بصورة جدلية.

وليس هذا الطرح وليد المصادفة، أو هو بالقضية التي يمكن تجاهلها، ففي العشرين سنة الماضية قُدِّر لي أن أشارك بأكثر من عشرين ملتقى في الجزائر وحدها لمناقشة الأزمة البيئية، وقد تضمنت توصياتها كلها دعوة إلى تطوير التربية البيئية، كما لو كانت شكلاً تربوياً خاصاً. وهناك كُتّاب في المشرق أو في المغرب تحدثوا مثل هذا الحديث. ولكن هناك أيضاً من أعد التربية كلها بيئية، أو تعالج قضايا بيئية، ممن يجد القارئ هادياً إليهم، كلهم، في هوامش هذه المقالة.



المحافظة على البيئة أو الهلاك!!

فإن كانت التربية البيئية مستقلة من جهة، وواجبة التنفيذ من جهة أخرى، وجب أن تكون أهدافها ومناهجها وطرائقها وكتبها مستقلة عن غيرها، أو تركب الموجة الموصلة لها إلى شاطئها.

أمّا إذا لم تكن كذلك، ففي بقاء دار لقمان على حالها، ما يطمئن ويسمح بعدم القلق. وبين هذا وذاك يقع مصير حماية البيئة والدفاع عن



التعليم البيئي يساعد على المحافظة على البيئة وحمايتها

الأجيال، وفي خطئه تعريض الحياة لاستمرار الخطر.

فأما أن التربية، مهما كانت منتمية إلى بيئة محددة، تتبنى فلسفتها وثقافتها وقيمها وتطلعاتها واحتياجاتها، نجحت أو أخفقت، فكلام لا غبار عليه، ولا يمنع الأخذ به وجود المشترك الإنساني التربوي العام.

لكل بيئة تربيتها

فإذا كان للبشر - من حيث هم كذلك - أمور يشتركون فيها، كأن تأخذ تربيتهم بعلوم حديثة مثلاً، فإن لكل تربية خصوصياتها النابعة من واقعها الخاص، وواقع شعبها وأمتها.. وغير ذلك فطبيعي أن تختلف التربية العربية السعودية، في قليل أو كثير عن التربية العربية السورية، أو عن التربية الروسية أو الأمريكية، فذاك بعض واقع الحال.

وعليه فإن التربية، من هذه الناحية، مهما كانت، هي تربية بيئية(٨). ولكن هذا لا يسوّغ بأي حال من الأحوال ما يتجه إليه هؤلاء من عدم الحاجة إلى بناء تربية بيئية، فكل تربية ينطبق عليها الحال ذاته، ثم إن القول بكونها تنتمي إلى البيئة لا يكفي لجعلها في خدمة البيئة من جهة حماية البيئة من التلوث عن طريق إنقاصه بما يتناسب مع قدرتها على امتصاصه من ناحية، وزيادة قدرة الطبيعة على امتصاص هذه الملوثات من ناحية أخرى. ثم إن تداخل التربية الدينية والتربية الاجتماعية، لم يمنع من قيام تربية اجتماعية وتربية دينية مستقلة الواحدة عن الأخرى في تنظيم الدروس وإعدادها وتقديمها ومادتها المعرفية والمهاراتية أو الوجدانية، على ما بين هذه وتلك من وشائج قربى لا يمكن لأيٍّ نكرانها، ففي المجتمع العربي لا يمكن الفصل بين التربية الإسلامية والتاريخ العربي، أو بين التربية الإسلامية وأي دراسة اجتماعية عربية. ولكن وشائج القربى لم تمنع استقلال الأقارب بعضهم عن بعض، في أمور كثيرة، تعطي كلاً منهم خصوصيته(٩). وعليه فإنه لا يستقيم قول من عد كل تربية منتمية إلى البيئة مسوغاً للدعوة إلى عدم قيام تربية بيئية مستقلة.

وبدلاً من ركوب تلك الموجة الضعيفة، يحتاج الأمر إلى بيان المقصود بالتربية البيئية، وتحديد ما إذا كانت ذات موضوع

يخصها، وأهداف تختلف عن أهداف التربية الخاصة للمواد الدراسية المختلفة. إن كانت التربية البيئية تؤخذ بالمواد الدراسية، فإن في تحديد الأهداف المرجوة في مناهجها وأنشطتها إثبات أن لها طرائق تخصها دون غيرها، أو تشترك بها مع غيرها على نحو ما هو لدى أشكال التربية الأخرى، وما يتبع هذا من تقويم وتغذية راجعة، وسبل تطوير لها.

تعريفات

وللتربية البيئية تعريفات كثيرة، متأتية من تعدد تعريفات التربية من جهة، ومن التعدد الكبير والواسع لمعنى البيئة. فعدم الاتفاق على تعريف واحد لكل منهما يجعل التعاريف على قدر من التنوع يصعب حصره، وبخاصة إذا حاولنا مقاربة المفهوم بأخذ عدة لغات في الحسبان، ولكل لغة ثقافة وفلسفة وتاريخ ومعين تمتح منه. ولقد يختلف كل ذلك، في قليل، أو في كثير عن اللغات الأخرى. ففي لغتنا العربية ـ مثلاً



نيوتن

روسو

ـ مصدر الكلمة هو فعل ربا الذي يعني الزيادة والتغذية والتنمية لكل ما يُنمّى من ولد أو زرع أو غيره(١٠). أما في اللغة الجركسية التي تعد واحدة من أقدم اللغات الأوربية، إن لم تكن أقدمها على الإطلاق(١١)، فإن التربية تجمع بين التدريب والقراءة.

وأما من الناحية العملية، فالتربية تحقق نمو الفرد في جميع جوانبه الجسدية والعقلية والانفعالية والاجتماعية(١٢)، فيمكن بهذا البحث عن معنى بيولوجي للتربية من حيث هي مساعدة الطفل على الاستفادة من خبراته السابقة، وتعديل سلوكه الفطري، أي قيام الذين يحيطون بالطفل بتسهيل عملية الملاءمة بين دوافع الطفل الداخلية، والظروف الخارجية المحيطة به. كما يمكن البحث في المعنى النفسي للتربية من حيث هو جملة العلاقات والاتصالات والتفاعلات التي تقوم بين الطفل وما يحيط به من أناس وكائنات وأشياء، لتحديد سمات شخصيته المتميزة. ومنه أيضاً يمكن البحث في المعنى الاجتماعي لكون التربية عملية يتم بها تقديم ثقافة المجتمع إلى أفراده، بحيث يكونون قادرين على حملها وحمايتها.

وإضافة إلى ما سبق يمكن أن نبني على ذاك التعريف، رصد المعنى التطوري للتربية من خلال نزعة كل مجتمع، إلى تجاوز واقعه، والارتقاء به، والتطور، وتحقيق التطور الاجتماعي بتشذيب التراث وتهذيبه من جهة واكتساب الجديد من جهة أخرى(١٣).

وما سبق كله يسمح لنا بأخذ تعريف جيتس للتربية من حيث هي تعديل للسلوك عن طريق الخبرة والمران(١٤)، مع كل الاحترام الواجب لما في اجتهاد الآخرين من صواب. وأما البيئة فهي، كما سبق القول، متعددة التعريفات، تتباين الأفهام فيها. والخُلف بين معنى الكلمة في قواميس اللغة، وفي القرآن الكريم، وما يفهم ناس اليوم منها كبير. ومثل ذلك حاصل في اللغات والثقافات الأخرى.

ففي اللغة العربية تعني البيئة الرجعة، أو الإقرار بالحق(١٥)، وبهذين المعنيين، وباتخاذ المنزلة والتمكين فيها، أخذ القرآن الكريم(١٦) ولكن لا ذكر فيه للبيئة بمعنى الوسط المحيط على حد علم كاتب هذه السطور، ولكن المعاجم المحدثة تستخدم كلمة البيئة للدلالة على مجموع العوامل المكانية والاجتماعية التي تؤثر في حياة الفرد وعاطفته وفكره وموقفه، أو إنها الجماعة الفكرية والخلقية التي يعيش بينها الأديب والفنان، ويكون لها، ولانتسابه العرقي إليها، ولأجواء العصر فعل بليغ في تكوين عبقريته(١٧). وواضح بعد هذا، وكذلك قبله، أن البيئة ليست وقفاً على الفنان، كما أن فعلها يتجاوز التأثير في حياة الفرد وعاطفته وفكره وموقفه، إلى التأثير في كل كائن حي، والتأثر به.

وفي اللغة الجركسية تستخدم كلمتا «أدجه كودج»، و«حنه غون» للدلالة على الوسط، أو ما يقارب الشيء أو يحيط به.

ولكن قد تجمع دلالة البيئة بين المتضادات في لغات أخرى، ففي اللغة الفرنسية يعبر عن البيئة بكلمتي Environnement و Milieu، وذكر قاموس لاروس الصغير

الصادر في باريس عام ١٩٩١م للكلمة الأولى جملة معان مثل ما يحيط، ما يشكل الجوار، أو مجموعة العناصر الطبيعية والاصطناعية التي تحيط بالفرد أو الحيوان، أو النبات، أو النوع، أو هي تعني مجموعة العناصر الذاتية والموضوعية التي تشكل حياة الفرد.

معان متباينة

ولكن قاموساً كقاموس روبيرت كولينز الإنجليزي/ الفرنسي، والفرنسي/ الإنجليزي يقدم معاني متباينة للكلمة، فالبيئة في العلوم الحيوية، وعلم النبات والجغرافية لها معنى كلمة Milieu، أما Environnement فتدل على المحيط المعنوي، والمحيط الثقافي، ومكان الإقامة، والارتجال من الناحية الطبيعية، وتدل على الابن الطبيعي، أو الإطار الطبيعي، أو الطبقة العاملة، وقد تعني الوراثة.

وفي مجالات التلوث تستخدم بمعنى الوسط والمحيط. أما في اللغة الإنجليزية فإن كلمة Environs تعني ضواحي المدينة، بما يصل إلى ١٠٠كم منها. وواضح مما سبق أن معنى كلمة بيئة ليس واحداً في اللغات المختلفة وناسها.

والخُلف في الاصطلاح كبير أيضاً، فالفلاسفة لم يميزوا البيئة من الطبيعة، فسيطرت مفاهيم الطبيعة على دركهم للبيئة. وكان إسحق نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧م) لاحظ أن الطبيعة لا تفعل شيئاً عبثاً، وإنما هي تتخذ أبسط الطرق(١٨)، وقال جون تولاند بأن الفكر وظيفة المخ، وأن الله خلق المادة فاعلة، وهو يدبر حركات الطبيعة، فيتحقق ما في الجمادات والأحياء من نظام. بينما ذهب هارتلي إلى أن الفرق بين المادة والفكر فرق درجة، وليس فرق طبيعة(١٩). ولكن جان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨م)، ولامارك (١٧٤٨ - ١٨٢٩م) حاولا تحديد معنى البيئة، ويبقى قصب السبق في استخدام مصطلح «بيوسفير» أي «المجال الحيوي» للروسي ف. فرناندسكي المتوفى عام ١٩٤٥م(٢٠).

ومن العلماء كان المهندسون المعماريون سباقين في الانتباه إلى مفهوم البيئة، فالبيئة الحضرية، عندهم، تعني بديل المدينة، ثم صارت المدينة جزءاً منها، بحيث ترادف المسح الجغرافي لدى الجغرافيين، أي تحديد ما هو موجود من أنشطة ومظاهر مختلفة في المدينة وامتداداتها العمرانية(٢١). بينما يرى الجغرافيون البيئة حيزاً جغرافيا يشمل الأمطار والمناخ والغطاء النباتي والتضاريس والأنظمة المختلفة للتحكم في الزراعة والمياه وغيرها. أي إنها ذاك الجزء من الطبيعة الذي هو على احتكاك بالمجتمع. وتتكون البيئة الجغرافية من الأراضي المحيطة والأجزاء النباتية، والنبات والحيوان.. وغير ذلك، وهي تؤثر في الحال الراهن للمجتمع والناس.



الإنسان يتحمل مسؤولية الحفاظ على البيئة



احترام الأنظمة من أركان التربية البيئية

ويتداول الأطباء البشريون تعريفات منها ما نشرته منظمة الصحة العالمية محددة البيئة بأنها بأكملها امتداد من المسكن الشخصي إلى الجو المحيط بأكمله، وهي نظام مغلق يشمل الأرض والفضاء(٢٢).

ويأخذ التربويون بتعريفات للبيئة تجعلها أصنافاً؛ فهي إما مجموعة الظروف الخارجية المادية والاجتماعية التي تحيط بالفرد، وتؤثر في تكوينه أو نموه أو سلوكه، وإما هي بيئة سيكولوجية يقصد بها عناصر البيئة التي يلتفت إليها الفرد التفاتاً خاصاً ويتأثر بها(٢٣). أو هي مجموع الحوادث الفيزيائية والكيماوية والحيوية (البيولوجية) والاجتماعية التي تؤثر من خارج في العضويات بصورة مباشرة، أو غير

مباشرة، عاجلة كانت أم آجلة، وفي كونها مؤثرة في النشاط البشري، كذلك(٢٤). وهو التعريف الذي يتبناه القانون الجزائري(٢٥).

وأما علماء الحياة (البيولوجيون) فقد شرعوا في النظر فيها من حيث هي نتاج تفاعل مكوناتها، وليس نتاج جمع العوامل التي تؤلف المنظومة البيئية(٢٦).

ونجد في معاجم علم الاجتماع من يجعل كلمة (ايكولوجيا) مرادفةً لكلمة البيئة الجغرافية، ومعناها يتعدى عملية التكيف المادي والحضاري للإنسان مع بيئته الاجتماعية، فأيكولوجيا النبات ليست دراسة النباتات بالنسبة إلى النباتات والكائنات الأخرى التي تعيش معها في بيئة واحدة، والأيكولوجية الاجتماعية لا تهتم فقط بدراسة الاستجابة للبيئة، أي ردود الأفعال الناجمة عن الاحتكاك مع البيئة، بل تهتم أيضًا بتوزيع وظائف الجماعات وتركيبها، مع دراسة العلاقات المباشرة، وغير المباشرة التي تنشأ بين أعضاء الجماعة الواحدة من جهة، والجماعات المختلفة من جهة أخرى، إضافة إلى التركيز على طبيعة العادات والتقاليد وأهميتها في ضبط السلوك الاجتماعي للفرد(٢٧) بينما البيئة هي محيط الإنسان الاقتصادي والاجتماعي والعوامل المؤثرة فيه، والتي تهتم بالعوامل التي يعيشها الفرد، كشروط السكن والصحة، والبيئة الطبيعية التي يعيش الفرد فيها، إضافة إلى توافر البضائع والخدمات في المجتمعات الريفية والحضرية. ولكن الخُلف ملاحظ في فهم علماء الاجتماع للبيئة، بحسب تخصصاتهم، فبعضهم يجعلها من الجغرافية الحضرية، وبعضهم يرى دراستها مهمة علم النفس الاجتماعي، وفريق يعدها من الأنثروبولوجيا(٢٨)، ومعلوم أن التصنيف يتبع معاييره(٢٩). ونقصد بها هنا أسسه(٣٠).

فنأخذ، من كل ما سبق بالتعريف الإجرائي الآتي: البيئة حيز طبيعي اجتماعي روحي وثقافي محيط بالكائن الحي والإنسان، وهو حيز متعدد العناصر التي تشكله بتفاعلها التركيبي، والثنائي الاتجاه مع الكائنات الحية التي تعيش فيه، في حال تلاؤم ما بين مجالات حياتها، ونظم المجالات التي أهمها المجال الحيوي من البيئة، في حال تأثر وتأثير دائمين، وبما يتناسب مع مراحل تقدمها ونموها، واحتياجات ذلك حسب قدراتها الفردية.

ولقد أدت نسبة البيئة، باختلاف تعريفاتها التي استقرأنا منها تعريفنا السابق إلى التربية المتعددة التعريفات أيضًا إلى بروز تعريفات متعددة للتربية البيئية، من ذلك ما قدمته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على أن التربية البيئية هي عملية تكوين القيم والاتجاهات والمهارات والمدركات اللازمة لفهم العلاقات المعقدة وتقديرها والتي تربط الإنسان وحضارته بمحيطه الحيوي الفيزيقي، وتوضح حتمية المحافظة على مصادر البيئة، وضرورة حسن استغلالها لمصلحة الإنسان حفاظًا على حياته الكريمة، ورفع مستويات معيشته(٣١).

وكان ميثاق بلغراد عام ١٩٧٥م جعل التربية البيئية هادفة إلى توعية الإنسان بطبيعة البيئة المعقدة، والعلاقات المتبادلة بين عناصرها المختلفة الحيوية والثقافية والاجتماعية والطبيعية، كما ألح على وجوب أن تتاح للناس كافة، على اختلاف أعمالهم وأعمارهم، وباستخدام أساليب مناسبة لإيصالها إليهم(٣٢).

وفي عام ١٩٧٧م أكد أول مؤتمر دولي للتعليم والتربية البيئية عقد في تبليسي عاصمة جورجيا السوفياتية آنذاك، أكد أهمية التربية البيئية بصفتها سبيلاً للمحافظة على البيئة، وحمايتها، وحل مشكلاتها، والمحافظة على الصحة العامة، لما للتلوث من خطر يهدد صحة الإنسان، إضافة إلى أن التعليم البيئي يساعد على الاستغلال العقلاني للموارد الطبيعية، ويكفل استمرار تقدم البشرية(٣٣).

ولكن ما سبق متّصف بالغموض، ويتناسى الخاصية الأساسية للتربية وهي تعديل السلوك الأولي، غير الحامي للبيئة، ليكون سلوكًا يحميها ويساعد الطبيعة على زيادة قدرتها على امتصاص الملوثات. مما يستدعي الأخذ بما يأتي:



انحسار اليابسة من المهددات البيئية

عملية مستمرة

التربية البيئية هي جهد يستهدف تعديل السلوك البشري تعديلاً إيجابيًا عن طريق إكساب المتعلم المعلومات والمهارات والقيم التي يكون بها الإنسان قادرًا على تطوير بيئته (حسب التعريف الإجرائي السابق الذكر لها) بما يجعلها أقدر على امتصاص الملوثات من جهة، وبما يجعله قادرًا على التقليل الفعلي من الملوثات والتحكم بها من جهة أخرى، حفاظًا على الحياة والسعادة.

وتحليل هذا التعريف يوصلنا إلى كون التربية البيئية موجودة، ذات خصائص مميزة لها من بقية أشكال التربية وأنواعها.

فإذا كانت التربية متميزة بكونها عملية مستمرة هادفة تقوم على التفاعل بين المتعلم والوسط المحيط به، ذات طريقة ونظام، وبكونها عملية تكييف(٣٤) فإن التربية البيئية تحمل هذه الخصائص كلها، فهي مستمرة بحكم الحاجة المستمرة إليها من قبل الأفراد والجماعات، وبسبب استمرار التلوث والتلويث بما للحضارة من آثار ونواجم تلازم إيجابياتها، إضافة إلى ما يترتب على ازدياد السكان وتغير المطالب بتغير سويات الرفاه.

فأما كون التربية البيئية هادفة، فمتأت من تلازم غرضين فيهما حماية مجالات الحياة، إذ لابد من حماية البيئة عن طريق جعل التلوث أقل من قدرة الطبيعة على امتصاصه، وفي الوقت ذاته، وحرصًا على استمرار التقدم الحضاري لابد من قدرة الطبيعة على امتصاص الملوثات، ثم إعادة تحويلها إلى الحال الأصلي غير المضر بالحياة. ومن ثم فإن التربية البيئية هادفة إلى تعديل السلوكات البشرية بما يجعلها قادرة على الأمرين معًا، وبصورة متزايدة.

أهداف التربية البيئية

إذًا فإن التربية البيئية تسعى إلى ما يأتي، تحقيقا لما سبق:

- تشكيل وعي فردي وجماعي لدى المتعلمين، مبني على معرفة دقيقة بمكونات البيئة وعلاقة بعضها ببعض. وسنن فعلها، والمشكلات والأخطار الناجمة عن سوء التعامل معها.

- تطوير قدرة المتعلمين على تحويل المعارف النظرية إلى تطبيق عملي، وتطوير انتقال أثر المعرفة، إلى مجال حل المشكلات البيئية، والوقاية منها.



لكل تربية خصوصيتها النابعة من واقعها المتميز



التربية تقدم بعض الحل الأساسي للمشكلة البيئية

- اشتقاق القيم اللازمة للتربية البيئية، بما يتفق مع الخصائص الثقافية للشخصية القاعدية.

- تدريب المتعلمين على العمل الجماعي في مجال حماية البيئة والمشاركة في اتخاذ القرارات.

- تنمية القدرة على البحث في الحلول الشاملة والحكيمة للمشكلات البيئية.

- كبح جماح العدوان في نفوس المتعلمين، وتحسين علاقات التعايش البيئي بين الإنسان وبيئته ومكوناتها، وتدعيم التعاون البشري لخير الحياة.

- تنمية الاتجاهات إلى حماية البيئة، وإجراء التعديلات اللازمة على هدي التغذية الراجعة.

فالتربية البيئية ذات موضوع وأهداف، ومن ثم فلابد لها من طريقة أو طرائق في بلوغها هذه الأهداف، ومن منهج يؤطر ذلك كله، وكتب مدرسية مناسبة ومعلمين أكفياء.

تداخل

ولكن ما سبق ذكره يثير إشكالية جديدة، وهي تداخل مقومات هذه التربية والبيئة بمقومات غيرها على المستوى المدرسي، بينما يمكن أن تكون أكثر استقلالا في المستويات التطبيقية الأخرى. وإذا أخذنا بتصنيف بلوم لمجالات الأهداف التربوية، وجدناها معرفية أو حسية/ حركية، أو وجدانية(٣٥). ولكن تحقيق هذه، بالنسبة إلى التربية البيئية، عمليا، يؤكد استحالة تحققها مستقلة عن غيرها، بالتربية المدرسية. وقد أكد هذه النتيجة استقصاء قام به كاتب هذه السطور لعينة منتقاة من الفاعلين الاجتماعيين في عنابة - الجزائر، من العاملين في مجالات حماية البيئة ومكافحة التلوث، إضافة إلى نتائج تجربة قام بها في مدرسة أساسية جزائرية(٣٦). وذلك للأسباب الآتية:

- إن دور العلوم المساعدة للتربية البيئية دور كبير جداً، وبعض هذه العلوم المساعدة، وكذلك الآداب والفنون ودروسها يكاد يكون مشتركاً مع التربية البيئية. وعلى سبيل المثال، فإن مباحث الطهارة والنظافة والغسل وعدم تبذير المياه، وآداب الطريق والتعامل، وأضرار الزنا، وكيفية دفن الموتى، والحض على الزراعة، وكيفيات اختيار الأزواج، وآداب النكاح والمحرمات، مما تدرس التربية الدينية، هي من أساسيات التربية البيئية في مجالاتها المعرفية وغيرها، ومن ثم فإن رفض قيام التربية بالتكرار غير الوظيفي، وعدم إمكان إلغاء هذه المباحث وأمثالها في كل مادة درسية لمصلحة التربية البيئية، يجعل المنطقي والمعقول أن يقوم مدرس التربية الإسلامية هنا بجانب إضافي في تعليمه، يحقق به التربية البيئية وأهدافها مندمجة في هذه الجوانب المشتركة، ويفعل أساتذة التربية الدينية، غير الإسلامية، الفعل ذاته، للعرب من غير المسلمين.

وتدريس العلوم كلها هو بعض أساسيات التربية البيئية، إذ يستحيل على أي من الناس معرفة البيئة معرفة دقيقة تسمح بحمايتها، وتطوير نظمها دونما معرفة دقيقة بالفيزياء والكيمياء والعلوم الحيوية والجغرافية والتاريخ.. وغير ذلك. ولا يمكن لدروس التربية البيئية أن تحل محل دروس هذه العلوم، كما أنه من غير المجدي تكرار المشترك بينهما، في كل منهما، فالأجدى



دراسات متصلة لضمان بيئة نظيفة

أن تتولى هذه الدروس جانب التربية البيئية المكمل لها، من بعد إعداد معلميها بحيث يقدرون على هذه الإضافة.

وتحقيق المجال الوجداني لأهداف التربية البيئية، ليس وقفاً عليها وحدها. فبالإضافة إلى الدروس المعرفية، فإن للفنون دوراً مهماً في ذلك. فحب الطبيعة وتحسس الجمال بها يدفع لحمايته وصونه، وتطويره، ومحاربة العدوان في النفوس، وبعضه عدوان على البيئة، على نحو ما دعت الأمم المتحدة إليه(٣٧)، قدر مشترك مع التربية الجمالية، وكل الفعاليات التربوية التي تقوم بها المدرسة(٣٨).

ويمكن أن تستعيد هذه المواد من التربية البيئية. بعض ما خسرت من وقت لمصلحتها في الأنشطة التي تقوم بها، والموجهة لحماية البيئة ومكافحة تلوثها، مع زيادة قدرة الطبيعة على امتصاص الملوثات، وإعادة تحليلها إلى الحال الطبيعي غير الضار(٣٩) بتحقيقها بعض أهداف العلوم التي سبق لها أن ساعدتها.. ونتيجة ذلك كله أن طريقة التربية البيئية، وكذلك منهجها يتطلبان أن يكون قسمها الأكبر مندمجاً في بقية المنهج للمواد والفعاليات التربوية الأخرى. وقُل مثل هذا في أهدافها. وفي مجالاتها وأشكالها المختلفة عامة أو خاصة أو سلوكية(٤٠).

اندماج

نضرب مثلاً: فالأهداف العامة لمنهج السنة التاسعة من التعليم الأساسي في الجزائر، للغة العربية تتمثل في الجوانب التعليمية الثلاثة: المعرفة الأساسية والمهارة في الممارسة اللغوية، والسلوكات المساعدة على التكيف والانسجام، وفي هذه ندمج أهداف التربية البيئية، في منهجها المحدد من

الوزارة الوصية على النحو الآتي:

- في جانب المعرفة الأساسية: يضاف إلى الهدف:

... ويتأهل التلميذ لأن يتكيف مع بيئته التي يعيش فيها، عملاً بمبدأ ربط المدرسة بالحياة.

- في جانب الممارسة:

يدمج في هذا الجانب إنجاز المنهج لمهارة الكتابة في كل المناسبات، ومنها المناسبات البيئية، وهذا يدعى التلاميذ إلى إنجازات كتابية تخص حماية البيئة ومكافحة التلوث، مع مطالعة نصوص في المجال ذاته.

- في جانب المساعدة على التكيف والانسجام:

يدمج في هذا المجال قيام التلاميذ بعمل جماعي مثل التحقيقات والاستطلاعات والزيارات السياحية لمزيد من تعرف البيئة المحيطة، بقصد تنمية السلوكات الحامية للبيئة.

٤- في جانب النشاطات الخاصة باللغة العربية. يتم دمج التربية البيئية في:

- دراسة النصوص.
- التعبير الكتابي والعروضي.
- التراكيب النحوية والصيغ الصرفية.
- المطالعة الموجهة.
- الأعمال الموجهة.
- الموازنة بين نصين.
- المفردات والأساليب.

وكمثال على الدمج في دراسة النصوص، تعدل أهداف هذه النشاطات كأن تكون، في الفقرة رقم/٣/من/أ، يعدل النص ليكون كما يأتي:

- يتدرب التلاميذ على تصميم النصوص وترتيب الأفكار، ونقدها والتعليق عليها من حيث بعدها عن بيئة الكاتب، أو التصاقها بها، أو التصاقه بواقعه، لبيان أثر البيئة في الإنسان، من جوانبه المختلفة.

في الفقرة رقم/٥/من/ج/ يعدل النص ليكون على النحو الآتي:

- ربط النصوص بعصورها وبيئاتها آنذاك، وبما يسمح بفهم أفضل لخصوصية النص، والحالات النفسية، في ارتباطها بالبيئات، وعصورها.

ثم يكون تتابع دمج التربية البيئية في المنهج المحقق لهذه الأهداف المندمجة، كأن تكون في النصوص الأدبية على

التربية البيئية ليست مسؤولية المدرسة وحدها

النحو الآتي:

في نص بين اليوم والغد المقرر على تلاميذ السنة التاسعة، وهو للسيد عبدالله شريط يضاف السؤال الآتي التابع للتربية البيئية:

هل تنظيم النسل يعني التقليل منه دومًا؟ (وذلك، في ص٦١ نصوص).

وفي التعبير الكتابي للسنة ذاتها من المدرسة الأساسية الجزائرية، والى ص٦١ نصوص، فقرة ٤، مادة ٢، يضاف: ما آثار النمو السكاني في البيئة؟... وهكذا. ثم يستمر هذا الدمج في تحضير الدروس، فتشمل الأهداف السلوكية لها ما يُتوصل بها إلى الأهداف السابق ذكرها.

وكأية مادة تربوية/ تعليمية أخرى، تستخدم التربية البيئية الطريقة التربوية التي تتناسب مع الهدف السلوكي المخطط.

إلا أن الأنشطة التربوية البيئية أكثر إبرازاً للتربية البيئية كفعالية تربوية معرفية وعلاجية. وهي في هذا تعتمد على عملية إحداث التغيير داخل الفرد، وتأخذ في تحقيق هذا، بأكثر الإرشادات فائدة، أي بالنموذج المبني على فكرة المرحلية في عملية تبني الأفكار، فالناس يمرون بسلسلة من المراحل التي يمكن تمييزها قبل تبني ممارسة جديدة، والقرار المتخذ بتبني ممارستها أو رفضها، هو نتاج سلسلة من المؤثرات يتفاعل بعضها مع بعض، بمضي الوقت، وهي الوعي، والاهتمام، والتقويم، والتجربة، والتبني(٤١).

وبعض أنشطة التربية البيئية المدرسية ملزمة بحكم أوضاع عربية كثيرة، ومنها انتشار الأمية ملزمة بأن تكون تربية بيئية مندمجة تصاعدية. أي من الطفل إلى الأسرة على

نحو يجعل التربية البيئية تشبه كرة ثلجية تزداد حجماً كلما تدحرجت على الثلج أكثر. وهنا تقوم التربية البيئية المدرسية بالانتقال إلى البيئة لتؤدي وظيفتها كحامية وعلاج؛ وذلك عن طريق النوادي والأسر والجمعيات المدرسية مستخدمة طرائق متنوعة، كطريقة الفرد والمجتمع أو أسلوبهما، أو طريقة المجموعات الصغيرة، أو الطريقة، الجماهيرية، أو طريقة تنظيم المجتمع(٤٢) أو غير ذلك من الطرائق المبتكرة الأكثر جدوى.

جماعية المسؤولية

ولكن التربية البيئية كأي تربية أخرى، ليست مهمة المدرسة وحدها؛ فالبيئة للجميع، والتلوث من فعل الجميع غالباً، وما تفعله المدرسة وحدها لن يكون مجدياً إذا كانت البيئة الاجتماعية والأفراد والجماعات تنقض غزل المدرسة، وتعوق تحقق السلوكات التي تطمح إليها. ولهذا فمن واجب الأحزاب والجمعيات والإعلام والقوات المسلحة والمسجد والكنيسة والأسرة والهيئات والمنظمات الشعبية والقومية والأممية وغيرها أن تقوم كل منها في مجالها، بالتربية البيئية، في إطار أهدافها التربوية، وبصورة متناسقة، متكاملة، حتى تكون الوقاية والحماية وتطوير قدرات الطبيعة على امتصاص الملوثات في أفضل حالاتها، ولكل من هذه طرائق تناسبها، وأساليب أكثر تحقيقاً لأغراضها، وشرح ذلك كله أو بعضه يحتاج إلى أبحاث مستفيضة مما لا تتسع هذه المقالة المتواضعة لذكره. ولكن من كل ما سبق نستنتج أن التربية البيئية تربية موجودة بصورة مستقلة في جوهرها، ولكن الأنسب عملياً تحقيقها مندمجة في غيرها. والله أعلم.

الهوامش والمراجع

١. من الآية الكريمة: ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس. الروم:٤١.
٢. روبيرت لافون جراسون، التلوث، ترجمة: نادية القباني، الطبعة العربية، شركة ترادكسيم، ١٩٧٧م، جنيف ص١٠.
٣. عقيلة عز الدين محوطة، عرض كتاب زين العابدين بن عبدالسلام: تلوث البيئة ثمن المدنية، مجلة الإدارة العامة، الرياض العدد١/١٩٩٥م، ص٢٠٤.
٤. و.س. كلارك، إدارة كوكب الأرض، مجلة العلوم الأمريكية، الطبعة العربية، الكويت، المجلد ٧ العدد ٣ لعام ١٩٩٠م، ص٦، انظر أيضاً: روبيرت لافون ص١١٧ و١٢٠، وكذلك: محمد عبدالفتاح القصاص، التصحر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت العدد ٢٤٢ لعام ١٩٩٩م، ص٢٧ (تصدر هذه السلسلة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت)، وانظر أيضاً: الطونيو مورينو: الرؤية الشمولية في مجال التربية البيئية، ترجمة: غازي أبو شقرة، مجلة رسالة الخليج العربي، الرياض، العدد ١٦ لعام ١٩٨٥م، ص٣٢١.
٥. أنطونيو مورينو ص٣٢١.
٦. ك.أ. بيشاروتي، دليل إدماج التربية الصحية في برامج صحة البيئة، منظمة الصحة العالمية، جنيف، الطبعة العربية ١٩٨١م، ص١.
٧. المرجع السابق ص١.
٨. انظر مثلاً من ذلك توصيات اليوم الدراسي حول البيئة والمحيط، النادي العلمي للعلوم الطبيعية بجامعة باجي مختار بعنابة بتاريخ ١٨ مايو/أيار ١٩٩٩م، وانظر أيضاً توصيات الملتقى الوطني بورقله - الجزائر ٨ - ١٠/١٠/١٩٩٩م حول زراعة المناطق الجافة وشبه الجافة.
٩. انظر مثلاً: مديرية التعليم الأساسي بوزارة التربية والتعليم بالجزائر. مناهج التعليم الأساسي طبعة ١٩٩٦ص ٣٠٣ فقد وازن بين التربية الاجتماعية والتربية الإسلامية، والتربية التكنولوجية، والتربية التشكيلية، والتربية الموسيقية، والتربية البدنية والرياضة، وتفعل التربية العربية السورية مثل ذلك، انظر مثلاً: وزارة التربية، دليل المعلم في التربية الاجتماعية، دمشق ١٩٧٧ - ١٩٧٨م، وهو مقرر أيضاً في المملكة الأردنية الهاشمية، انظر صفحة الغلاف الداخلي الأول من الكتاب المذكور.
١٠. هداية صدقي ومنصف فلوح، التربية العامة، دمشق ١٩٧٧م، ص١٤، انظر أيضاً: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت ط١ عام ١٩٦٧م، ص٢٣٢.
١١. عادل عبدالسلام، جغرافية سورية، ج١، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٧٣م، ص٣٧٢.
١٢. هداية صدقي ومنصف فلوح، ص١٤.
١٣. أحمد منير مصلح، التربية وطرائق التدريس، دمشق ١٩٧١ - ١٩٧٢م، ص١١ - ١٥.
١٤. أرثرجيتس وآخرون، علم النفس التربوي - ترجمة إبراهيم حافظ ومحمد عثمان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٤م، الكتاب الثاني ص٥.
١٥. محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ص٦٨.
١٦. البقرة ٦١، ٩٠ آل عمران ١١٢، المائدة: ٢٩، الأعراف: ٧٤، يونس ٩٣، الحج:٢٦، آل عمران ١٢١، النحل: ٤١، العنكبوت:٥٨.
١٧. جبور عبدالنور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م، ص٨٣/٨٤.
١٨. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢م، ص٢٠٢ - ٢٠٣.
١٩. المرجع السابق، ص١٥٦.
٢٠. روبيرت لافون، ص ٦، ٨، ١٦.
٢١. إسحق يعقوب القطب، وعبدالإله أبو عياش، النمو والتخطيط الحضري في دول الخليج العربي، الكويت ١٩٨٠م، ص٢٠٤ - ٢٠٥.
٢٢. أ.ب. شبتولين، النظرية العلمية في الطبيعة والمجتمع والمعرفة، دار الفارابي، بيروت ١٩٨١م، ص١٦٢.
٢٣. كتاب منظمة الصحة العالمية، البرامج الوطنية لصحة البيئة، الطبعة العربية، جنيف ١٩٨٠م، ص٧، ١٢، ١٣.
٢٤. أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٣م، ص١٣.
٢٥. خير الله عصار، مدخل في قضايا التعليم في العلوم الاجتماعية، دار طلاس، دمشق ١٩٩٣م، ص٥٩.
٢٦. م. بودهان، حماية البيئة في القانون الجزائري، جريدة السلام - الجزائر، ١٨/٤/١٩٩٣م، ص٤.
٢٧. انطونيو مورينو، ص٣٢٣.
٢٨. دينكن ميتشل، معجم عالم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت ١٩٨١م ص٨٠ ـ٨١.
٢٩. المرجع السابق، ص٨٧ - ٨٨. والأنثروبولوجيا تعني: علم الإنسان.
٣٠. عبدالرحمن بدوي، المنطق الصوري والرياضي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٣م، ص٨٨.
٣١. فهمي محمود، نحو تخطيط وتعميق التربية البيئية في المجتمع الفلسطيني، مجلة صامد الاقتصادي، دار الكرمل، عمان العدد ٩١ لعام ١٩٩٣م، ص٨٦.
٣٢. محمد محمود سليمان، التعليم والتربية البيئية في الوطن العربي، مجلة شؤون عربية يونيو/ حزيران ١٩٩٧م، القاهرة ص١٧٨.
٣٣. المرجع السابق، ص١٧٨.
٣٤. هداية صدقي ومنصف فلوح ص١٤/١٥.
٣٥. المرجع السابق ص٢٠٢.
٣٦. وذلك في إعداد أطروحتي لدكتوراه الدولة في علم الاجتماع التربوي، وعنوانها: البيئة والتلوث والإنسان، مشروع اجتماعي تربوي لمنهج المدرسة الأساسية في الجزائر، عنابة مثلاً تطبيقياً، وذلك في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة باجي مختار - عنابة.
٣٧. انظر التوصية ٤١٢١٢ التي صدرت عن المؤتمر العام لليونسكو، الجلسة ٥٠، باريس، مارس/آذار ١٩٥٠م، والتي أكدت أهمية دور الفلسفة في محاربة روح العدوان. انظر أيضاً أيدجافور: تعلم لتكون، ترجمة حنفي بن عيسى الجزائر ١٩٧٦، ص١٥٨ ذكر أنها مهمة التربية، الجزائر ١٩٧٦، ص١٥٨، وقد ذكر أنها مهمة التربية.
٣٨. ايدجافور، ص١٩٠.
٣٩. أحمد زكي صالح، الأسس النفسية للتعليم الثانوي، دار النهضة العربية،القاهرة ١٩٧٢م، ص٣٣٦.
٤٠. لتعرف معاني الأهداف التربوية المذكورة. انظر: هداية صدقي ومنصف فلوح، ص١٥٧، وانظر أيضاً: إلياس شوك، ونبيه جمعة، الطرائق العامة في التدريس، وزارة التربية، مديرية المطبوعات والكتب المدرسية، دمشق ١٩٧٣ - ١٩٧٤م، ولمزيد من تعرف الهدف السلوكي وإعداد الدروس على هدية انظر: فخر الدين القلا، تصميم الدروس وفق الأهداف السلوكية، مديرية التدريب المستمر للمعلمين في أثناء الخدمة بوزارة التربية والتعليم السورية، وذلك ضمن كتاب تنظيم عملية التعلم في المدرسة الابتدائية، دمشق، عام؟ ص ٣ - ٤ وما يليها.
علماً بأن المدرسة الأساسية الجزائرية شرعت في السنوات الأخيرة بنشر التدريس بالأهداف السلوكية في أقسامها.
٤١. ك. أ. بيشاروتي ص٢٦.
٤٢. المرجع السابق ص١٨ - ٢٣، وبالنسبة إلى التربية التصاعدية، انظر: وزارة الصحة ووزارة التربية والتعليم الأساسي ص٤.

ديك الجن الحمصي وعطيل شكسبير: نظرة مقارنة

فؤاد عبدالمطلب
حمص - سورية

لم تفقد دراسة التداين الأدبي مكانتها قط بوصفها فرعاً مهماً من فروع البحث الأدبي ضمن آداب عدة، خصوصاً في حقل الأدب المقارن. وفي الوقت نفسه تتوالى الدراسات عن العلاقات الأدبية المباشرة وغير المباشرة، والتداين في تزويد البحث الأدبي بالمادة الأساسية، وأن مكانتها في الأدب المقارن - كما يظهر أي ثبت للمراجع في الدراسات الأدبية - لم تتناقص. وثمة أحاديث عن احتمال وجود تأثر وتأثير بين قصة ديك الجن الحمصي ومسرحية شكسبير «عطيل، مغربي البندقية» وكون القصة مصدراً أساسياً للمسرحية. وعلى أية حال، فإن العلاقة بينهما غدت موضوعاً يطرق على نحو شبه دائم في حلقات البحث، أو المشروعات الدراسية التي يقوم بها طلبة مقررات الأدب المقارن في الأقسام الجامعية التي تعنى بالأدب واللغة.

بيد أنه لم ينشر سوى القليل من هذه الحلقات والمشروعات، ولعل ذلك عائد إلى الصعوبات التي يفرضها تناول مثل هذا الموضوع، ثم إن دراسة هذه العلاقة تطرح مشكلات منهجية أولية تتعلق بالبحث الأدبي المقارن. وبذلك تبدو المصطلحات الأكثر تناولاً في قضية التداين الأدبي هي الترجمة والمحاكاة والأسلبة والاقتراضات والمصادر والنظائر والتأثير(١). وفي مسرحية عطيل ليس هناك ما يدل على محاكاة أو أسلبة أو اقتراض واضح من قصة ديك الجن، لهذا فإن دراسة العلاقة بين القصة والمسرحية إنما تقوم على استقصاء لمصدر الثانية وبيان مدى تأثرها بالأولى عن طريق الترجمة والانتقال في الأغلب الأعم. وفي حدود اطلاعي فإن دراستين فقط عالجتا هذا الموضوع: الأولى: محاضرة(٢) ألقيت في مؤتمر للأدب المقارن، والثانية: صدرت في صحيفة أدبية(٣)، والدراسة الثانية تستند إلى الأولى بصورة كلية ولا تضيف شيئاً سوى تأكيد أن ديك الجن كان سلمونيا(٤)، وليس حمصيا دون تقديم دلائل وبينات واضحة؛ لذلك جاءت هذه الورقة محاولة جديدة في سبيل إثارة الموضوع، وطرح تساؤلات أكثر من أن تجيء بإجابات.

تشابه وفوارق

وتقوم دراسة العلاقة بين قصة الشاعر ديك الجن، كما وردت في الأدب العربي، ومسرحية عطيل مغربي البندقية، كما وردت في الأدب الإنجليزي للشاعر والكاتب المسرحي وليام شكسبير، على تناظر أو تشابه في الأفكار والأحداث، والشخصيات التي تكتنفها القصة والمسرحية، على الرغم من الفوارق الكبيرة بين حياة ديك الجن وعطيل من حيث الشخصية والمكان والزمان، فقد كان ديك الجن، كما ورد في كتاب الأغاني، شاعراً من ساكني حمص، ولم يبرح نواحي الشام، ولا وفد إلى العراق، ولا إلى غيره منتجعا بشعره، ولا متصدياً لأحد. أما عطيل فهو قائد عسكري من أهالي البندقية في إيطاليا، جاب أرضها ومياهها متصدياً لأعدائها، وزائراً أصقاعاً عدة من الأرض. كما يفصل بين حياة الشخصين زمن طويل، فقد عاش ديك الجن قبل مؤلف مسرحية عطيل بنحو ثماني مئة سنة، وتوفي الأول عام ٨٥٠م، وتوفي الثاني عام ١٦١٦م. ووردت قصة الديك في الأصل خبراً لقصة، من المفترض أنها حقيقية، صاغتها مخيلة الأدباء وبلاغتهم فيما بعد. أما حكاية عطيل فقد جاءت من حيث الأساس عملاً أدبياً بارعاً. وأهم ما يميز حياة ديك الجن وعطيل هو العمق المأساوي لتجربتهما الإنسانية.

وردت ترجمة مستفيضة للشاعر عبدالسلام بن رغبان(٥) الملقب بديك الجن في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني(٦)، ونجد تراجم له في كتب أخرى من كتب التراث(٧)، بيد أن ترجمة الأغاني أكثرها صحة وإقناعاً؛ لأنها الأقرب عهداً إلى الحادثة، والأكثر شمولاً في تناولها ومنطقية في تسلسل الأحداث. ولم تبق حكاية ديك الجن على حالها، كما جاء في كتاب الأغاني، بل قام المتأخرون بالتغيير في نسيج الأحداث والشخصيات. وكلما ابتعد المؤلف في الزمن عن الحادثة، أدخل عنصراً جديداً، وهذا الجديد على

الأغلب نابع من خيال المؤلف؛ إذ يبدو أن مأساة الشاعر قد ألهبت مشاعر الأدباء والكتّاب المتأخرين، فجعلتهم ينسجون، ويضيفون.

مأساة ديك الجن

وسنحاول في هذا المقال تلمس أحداث مأساة ديك الجن كما وردت في كتاب الأغاني، فقد صاغ أبو الفرج في كتابه مأساة ديك الجن وقصته مع زوجته «ورد» من خلال رواية نقلها من كتاب محمد بن طاهر، أخبره بها ابن أخ لديك الجن يقال له أبو وهب الحمصي، وينقل الأصفهاني على لسان أبي وهب الحمصي قوله: وكان عبدالسلام قد اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص هويها، وتمادى به الأمر حتى غلبت عليه، وذهبت به، فلما اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوج بها، فأجابته لعلمها برغبته فيها، وأسلمت على يده، فتزوجها، وكان اسمها وردًا. ويذكر الأصفهاني الأبيات التي يتحدث فيها ديك الجن عنها، ومنها:

انظر إلى شمس القصور وبدرها
وإلى خزاماها وبهجة زهرها
لم تبلُ عينك أبيضًا في أسود
جمع الجمال كوجهها في شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها
من ريقها من لا يحيط بخبرها(٨)

وكان لديك الجن ابن عم يكنى أبا الطيب يعظه وينهاه عما يفعله، ويحول بينه وبين ما يؤثره ويركبه من لذاته، وربما هجم عليه وعنده قوم من السفهاء والمجان وأهل الخلاعة، فيستخف بهم وبه. فلما كثر ذلك على عبدالسلام هجاه هجاء موجعًا، وافتتح قصيدته بما كان ينهاه عنه، بالغزل والخمرة، فهو يقول:

مولاتنا يا غلامُ مبتكرهْ
فباكر الكأس لي بلا نظرهْ
غدت على اللهو والمجون، على
أن الفتاة الحيية الخفرهْ
لحبها ـ لا عدمتها ـ خرقٌ
مطوية في الحشا ومنتشرهْ(٩)

ثم يهجو أبا الطيب، فيرى فيه رأسًا صلبًا تنبو عنه المعاول، وتزل عنه البغال، كما يرى فيه ملك الموت الذي يغتال لذتهم، ويهدم مجالسهم، وهو الجاهل الذي يدع أمه عرضة لشتائم المجان من أصحاب ديك الجن. ثم يختتم هذه القصيدة بقوله:

سبحانَ منْ يمسك السماءَ على الـ
أرض وفيها أخلاقك القذرهْ(١٠)

تقوم دراسة العلاقة بين قصة الشاعر ديك الجن، ومسرحية عطيل مغربي البندقية، على تناظر أو تشابه في الأفكار والأحداث، والشخصيات التي تكتنفها القصة والمسرحية، على الرغم من الفوارق الكبيرة بين حياة ديك الجن وعطيل من حيث الشخصية والمكان والزمان

ويقول أبو الفرج الأصفهاني: إن ديك الجن قد أعسر، واختلت حاله، فرحل إلى سلمية قاصدًا أحمد بن علي الهاشمي، فأقام عنده مدة طويلة، حمل ابن عمه بغضه إياه بعد موته له، وإشفاقه عليه بسبب هجائه له على أن أذاع على تلك المرأة التي تزوجها عبدالسلام أنها تهوى غلامًا له، وقرر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه، وشاع ذلك الخبر حتى أتى عبدالسلام، فكتب إلى احمد بن علي شعرًا يستأذنه في الرجوع إلى حمص، ويعلمه ما بلغه من خبر المرأة من قصيدة أولها:

إنّ ريب الزمان طال انتكاثهْ
كم رمتني بحادثٍ أحداثهْ

ويقول فيها:

ظبي إنس قلبي مقيل ضحاه
وفؤادي بريرهْ وكباثهْ

ومنها:

خيفةً أن يخون عهدي وأن يُضـ
حي لغيري حجوله ورعاثه(١١)

فأذن له أحمد، فعاد إلى حمص، وقدّر ابن عمه وقت قدومه، فأرصد قومًا يعلمونه بموافاته باب حمص. فلما وافاه خرج إليه مستقبلًا ومعنفًا تمسكه بهذه بعدما شاع من ذكرها بالفساد، وأشار عليه بطلاقها، وأعلمه أنها قد أحدثت في مغيبة حادثة لا يجمل به معها المقام عليها، ودس الرجل الذي رماها به، وقال له: إذا قدم عبدالسلام، ودخل منزله فقف على بابه كأنك لم تعلم بقدومه، وناد باسم ورد، فإذا قال: من أنت؟ فقل أنا فلان. فلما نزل عبدالسلام منزله، وألقى ثيابه سألها عن الخبر، وأغلظ عليها، فأجابته جواب من لم يعرف من القصة شيئًا، فبينما هو في ذلك إذ قرع الرجل الباب، فقال: من هذا؟ فقال: أنا فلان، فقال لها عبدالسلام: يازانية، زعمت أنك لا تعرفين من هذا الأمر شيئًا! ثم اخترط سيفه، فضربها به حتى قتلها، وقال في ذلك:

ليتني لم أكن لعطفك نلتُ
وإلى ذلك الوصال وصلتُ
فالذي مني اشتملت عليه
ألعار ما قد عليه اشتملتُ
قال ذو الجهل قد حلمتَ ولا أعـ
لم أني حلمتُ حتى جهلتُ
لائمٌ لي بجهله ولماذا
أنا وحدي أحببتُ ثم قتلتُ؟
سوف آسى طول الحياة وأبكيـ
ك على ما فعلتِ لا ما فعلتُ

وقال فيها أيضًا:

لك نفسٌ مواتيهْ
والمنايا معاديهْ
أيها القلب لا تعدْ
لهوى البيض ثانيهْ
ليس برقٌ يكون أخـ
لب من برق غانيهْ
خنتِ سري ولم أخنـ
ك فموتي علانيهْ(١٢)

ويذكر الأصفهاني عن أبي وهب الحمصي أنه بلغ السلطان الخبر، فطلبه، فخرج إلى دمشق، فأقام بها أياماً، وكتب أحمد بن علي إلى أمير دمشق أن يؤمنه، وتحمل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته، فقدم حمص، وبلغه الخبر على حقيقته وصحته، واستيقنه، فندم، ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء، ولا يطعم من الطعام إلا ما يقيم رمقه، وقال في ندمه على قتلها:

يا طلعة طلع الحمام عليها
وجنى لها ثمر الردى بيديها
قد بات سيفي في مجال وشاحها
ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وما وطئ الحصى
شيء أعز عليّ من نعليها
ما كان قتليها لأني لم أكن
أبكي إذا سقط الغبار عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها
وأنفت من نظر الحسود إليها(١٣)

وينهي أبو الفرج مأساة ديك الجن بالأبيات التي نظمها في حبه وندمه وإشفاقه على زوجته المقتولة:

أشفقت أن يرد الزمان بغدره
أو أبتلى بعد الوصال بهجره
قمر أنا استخرجته من دجنه
لبليتي وجلوته من خدره
فقتلته وله علي كرامة
ملء الحشى وله الفؤاد بأسره
عهدي به ميتاً كأحسن نائم
والحزن يسفح عبرتي في نحره
لو كان يدري الميت ماذا بعده
بالحي حل بكى له في قبره
غصص تكاد تفيظ منها نفسه
وتكاد تخرج قلبه من صدره(١٤)

ولو تركنا كتاب الأغاني جانباً، واكتفينا بقراءة ما كتبه ديك الجن من شعر مصوراً هذه الحادثة، وأعدنا ترتيب ما كتب لخرجنا بقصة واضحة مشابهة لقصة الأغاني(١٥).

ولا شك أن ديك الجن عندما قتل ورداً، حبه الإنساني الأول والأخير، كان قد قتل نفسه بوصفه إنساناً، وفجر أشعاراً رائعة لدى


صورة متخيلة لقصر عطيل

الديك الشاعر الحزين. يقول شوقي ضيف في هذا الإطار: وليس من شك في أن أروع أشعار ديك الجن ما نظمه في بكاء صاحبته متفجعاً متحسراً نادماً كما لم يندم أحد(١٦).

ومازال ديك الجن يقول شعراً في ورد حتى أصبح طيفها يزوره في كل حين، فيحاول التهرب من الطيف، فيناجيها:

قولي لطيفك ينثني
عن مضجعي عند المنام
فعسى أنام فتنطفي
نار تأجج في العظام
جسد تقلبه الأكف
على فراش من سقام
أما أنا فكما علمـ
ـت فهل لوصلك من دوام؟(١٧)

عطيل وصراع الخير والشر

كتب الشاعر والكاتب المسرحي وليام شكسبير مسرحية «مأساة عطيل، مغربي البندقية» نحو عام ١٦٠٢م، وقد قدمت على المسرح أول مرة عام ١٦٠٤م، وطبعت عام ١٦٢٢م(١٨).

وتعد هذه المسرحية من المسرحيات المأساوية الأربع الكبرى التي ألفت فيما يسميه مؤرخو الأدب فترة اليأس في حياة شكسبير، وهي الفترة الممتدة بين عامي ١٦٠١ - ١٦٠٩م، إذ كان الشاعر فيها مهتماً بالصراع الدائر بين الخير والشر في النفس الإنسانية، وينشغل بالطبيعة العميقة للشر التي دائماً تكون سبباً في خلق معاناة إنسانية رهيبة، هذا الشر الذي لا يظهر طرفاً سلبياً سطحياً منافياً للخير، أو مواجهاً له، بل يتبدى كأنه قوة إيجابية تحاول أن تؤدي عملاً طيباً ونزيهاً في العالم(١٩). إن مصدر هذا السبر العميق للشر هو بعض الأحاسيس والمشاعر التي كانت تعتمل في نفس المؤلف الإنجليزي آنذاك. ويمكن القول: إن مسرحية عطيل التي كتبها بعد «هاملت» وقبل «الملك لير»، و«مكبث»، تتميز من مآسي شكسبير الأربع بأنها مسرحية أسوأ شخصية جاء ذكرها في كتب الأدب، وأشدها نزوعاً إلى الشر، وإمعاناً في القسوة. وفي هذه المسرحية يتخذ الكاتب من محبة امرأة ومقتلها محوراً لبناء خطة درامية مأساوية محكمة الخيوط. إن واقعية الأحداث، ومصداقيتها في مسرحية عطيل، وصفات الشخصيات فيها، وقدرة شكسبير على استخدام المصدر الأصلي للمادة المعالجة تعد انتصاراً فنياً عظيماً للأديب المسرحي.

تشكل قصة «عطيل» مأساة كاملة، فعطيل جندي شجاع، بسيط، صريح، ونبيل أحب دزديمونه الجميلة ابنة برابانتيو أحد

شيوخ البندقية وأحبته فتزوجها دون موافقة أبيها، وكان حبهما ساميا جديرا بهما، فلم تشبه شائبة حتى تسلل الواشي أياغو إلى عقل عطيل، فأثار الشكوك فيه، وأربكه وحيره، ثم دفع به إلى المحنة الرهيبة، فقتل الزوجة التي كان يحبها، وكان حبه - وهو يزهق روحها - لا يزال في قوته، وسرعان ما تستبين له الحقيقة، فلا يجد تكفيرا عن خطئه إلا أن يقتل نفسه.

يتبدى هنا التشابه واضحا في الفكرة والحبكة والشخصيات بين حياة ديك الجن الحمصي ومسرحية عطيل. وتكاد تجمع مصادر النقد الأدبي والمسرحي الإنجليزي المكتوب عن مسرحية عطيل على أن شكسبير - كعادته في اقتراض موضوعات مسرحياته - قد استمد قصة عطيل من مجموعة قصصية إيطالية عنوانها «هيكاتوميثي» أي (مئة حكاية) للكاتب الإيطالي جيرالدي تشنثيو، ولم يستمدها من قصة حياة ديك الجن الحمصي، فقد نشر هذا الكتاب في البندقية عام ١٥٦٦م، وترجمه إلى الفرنسية غبرييل تشابيس عام ١٥٨٤م. ومن المحتمل أن شكسبير قد عرف القصة من الكتاب الأصل، أو من خلال ترجمته بالفرنسية، إذ إنه لم توجد ترجمة إنجليزية لهذا الكتاب قبل عام ١٧٥٣م(٢٠).

ديك الجن في إيطاليا

يقول الدكتور نسيب نشاوي: «لقد وجدت تشابها بين حياة ديك الجن ومسرحية عطيل، حتى ذهب بي الظن إلى أن شكسبير اطلع على حياة ديك الجن من خلال المصادر اللاتينية التي نقلت الآداب العربية إلى أوربا»(٢١) وهذا الكلام يرد دون تحديد عام أو خاص، أو أي تعليق عليها. ويردد د. عارف تامر كلمات النشاوي على نحو حرفي(٢٢)، ويطرح سؤالاً آخر: «هل تأثر الشاعر الإنجليزي بعد هذا بالبعد الزمني بعبدالسلام بن رغبان المعروف بديك الجن؟ وهل اطلع فعلاً على سيرة حياته كاملة؟ وكيف تسنى له ذلك، حتى كتب مسرحيته الشهيرة المعروفة «عطيل» مقلداً ومشبهاً ومستعيراً الأفكار والأدوار والأشخاص؟»(٢٣)، ولا يجيب تامر، أو يناقش على أي نحو كان تقليد شكسبير ديك الجن، والتشبه به، والاستعارة منه؟ والحق أن هذه القضية تظل رهن البحث والتقصي. إن مصدر مادة عطيل شكسبير معروف في النقد الأدبي والمسرحي الإنجليزي، وهو ثابت علمياً، والذي يجب النظر فيه عموماً هو كيفية انتقال كتب التراث العربي، وما تحويه من كنوز أدبية، عن طريق الترجمة وغيرها إلى أوربا، وعبر جزيرة صقلية والأندلس، والحرب مع الفرنجة، والأتراك العثمانيين(٢٤). إن الإجابة الأكثر تحديداً يجب أن تكون عن السؤال: كيف وصلت أخبار ديك الجن إلى الوسط الإيطالي؟ وكيف وصلت إلى فيلسوف فيرارا الأرستقراطي، والكاتب الإيطالي تشنثيو؟

> **مسرحية عطيل تتميز من مآسي شكسبير الأربع بأنها مسرحية أسوأ شخصية جاء ذكرها في كتب الأدب، وأشدها نزوعًا إلى الشر، وإمعانًا في القسوة**

يقول خالدوف أحد الباحثين في كتاب الأغاني: وقد أعار المستعربون الأوربيون منذ أمد بعيد الاهتمام بكتاب الأغاني وهم يستخدمونه، ويفيدون منه لكونه كنزاً للمعلومات اللغوية والأدبية والتاريخية.. لم يترجم كتاب الأغاني بعد إلى أية لغة من اللغات الأوربية، باستثناء بعض المقتطفات المقتبسة، والأحاديث المنقولة والمروية(٢٥).

إن هذه المقتطفات والأحاديث من هذا الكتاب تحديداً، وغيره من كتب التراث العربي، وعبورها إلى أوربا وتأثيرها في المدونات الأدبية المختلفة هناك لا تزال مجالاً خصباً لدراسة العلاقة بين الأعمال التي تتحدث عنها وغيرها من الروائع الأدبية.

وفي ما يتعلق بالحكاية الإيطالية، فإننا نجد فيها الشخصيات الرئيسة التي وضعها شكسبير في مسرحيته كلها، عدا الدوق، وغراتيانو، ونبلاء البندقية الآخرين، ومونتانو ورودريغو. ولكن الشخصية الوحيدة التي لها اسم معين في الحكاية هي دزديمونة (والاسم مشتق من كلمتين إغريقيتين تعنيان معاً الروح الشقية ill fated soul. أما عطيل فيدعى المغربي Moro، وإياغو يدعى حامل العلم، وكاسيو يدعى رئيس الفيلق، وإيميليا تدعى الحسناء الفاضلة زوجة حامل العلم، وهكذا دواليك. فالأسماء كلها، عدا دزديمونه، هي من وضع شكسبير، بما في ذلك اسم البطل. وأحداث الفصل الأول من المسرحية كاملاً من إبداع شكسبير. وقد كتب تشنثيو قصته على الطريقة السردية القديمة التي قلما تجعل من الحوار طريقاً إلى تصوير النوازع الداخلية للشخصيات. ومن الطبيعي أن تخلو قصة تشنثيو وأسلوبه السردي من رهافة التحليل والتركيب؛ فالمغربي عنده مجرد رجل شجاع طيب، ولكنه ساذج لا يحتاج حامل العلم إلى دهاء للتغرير به. ولا نرى فيه ذلك التناقض الرمزي الذي صنعه شكسبير بين سواد الوجه وبياض القلب، كمقابل لوجوه بيضاء لا تخفي وراءها إلا قلوباً سوداء. وحامل العلم في الحكاية ليس أكثر من «نذل» ينتمي إلى المدرسة الإيطالية المعروفة بهذا النوع من الشخصيات الشريرة. أما إياغو فهو كعطيل إبداع من إبداعات شكسبير الرائعة.

تماثل المراحل

إن المقارنة أو الموازنة بين الحدث الدرامي في سيرة ديك الجن وسيرة عطيل تستدعي النظر في مراحل متماثلة مرت بها تجربة ديك الجن مع ورد، وتجربة عطيل مع دزديمونه، وفي أربع مراحل واضحة، هذه المراحل كل مترابط ومتكامل في التجربتين معاً، لكن الفصل بين هذه المراحل وترتيبها إنما هو فصل نظري يساعد على الدراسة والتحليل(٢٦).

أولاً - لقاء ديك الجن بورد وزواجه بها

الذي يماثل معرفة عطيل دزديمونه وزواجه بها، فورد ودزديمونه تنتميان معاً إلى بيئتين مختلفتين.

ثانياً - مرحلة الشك بكلتا المرأتين بعد عيشة هانئة، وحب صادق.

ثالثاً - انتهاء الشك بثورة الغضب والقتل.

رابعاً - استفاقة الديك وعطيل من ثورة الغضب وظهور الحقيقة. وتتشابه شخصية ديك الجن وشخصية عطيل في كونهما عربيين يتصفان بصفات بدوية، الأول شامي، والثاني مغربي، وكلاهما يفاخر بشرف نسبه وبصفاته المتميزة. يقف عطيل في المشهد الثاني من الفصل الأول، ويقول:

.. إنهم يجهلون
ما سوف أذيعه ساعة أوقن
أنَّ في التباهي شرفاً لي وهو أنني
أستمد حياتي وكياني
من أسرة ملكية السدة. وأن مزاياي
بإمكانها أن تخاطب، والرأس عال، هذه
المصاهرة السامية
التي أدركتها. فاعلم يا إياغو،
أنني لولا حبي دزديمونة الكريمة
لما أقحمت حريتي الطليقة
داخل طوق وحدود.. ولو أعطيت
ثروات البحر كلها(٢٧).

ويقول ديك الجن مفاخراً:

إني امرؤ بازل في ذروتي شرف
....
حرف أمون ورأي غير مشترك
وصارم من سيوف الهند ذو شطب
خواض ليل تهاب الجن لُجّته
وينطوي جيشها عن جيشه اللجب
وليس يعرف لي قدري ولا أدبي
إلا امرؤ كان ذا قدر وذا أدب(٢٨)

مصدر الفخر

يتركز الفخر والاعتزاز عند عطيل في أعمال الحرب والبطولة والشجاعة بصورة أساسية، ويوازي ذلك عالم الأدب والشعر والعزة الشخصية لدى ديك الجن، لكن عطيلاً هو الشخصية الشكسبيرية الوحيدة التي تقترب من شخصية ديك الجن في رؤيتها الأخلاقية للعالم، وفي درجة حساسيتها وانفعالها وجرأتها وتعقيدها. إن هذه الصفات تحديداً هي التي أدّت إليه ما أدّت إليه من مأساة في حياة الرجلين، وهي بحاجة إلى مزيد من الدرس والتعمق. إن معرفة ديك الجن من امرأة تخالفه في المعتقد الديني، والتقارب الذي حدث بينهما بسبب الحب والزواج، يقابله معرفة عطيل لامرأة من أسرة نبيلة خالفت أهلها والأعراف، وتزوجت منه. ويقول والد دزديمونه برابانيتو في المشهد الثاني من الفصل الأول، عندما جاء إلى الدوق يشكو عطيلاً:



دزديمونه الوديعة في مسرحية «عطيل»

عذراء حيية أبداً،
ساكنة الروح، وديعتها. حتى لتحمرّ خجلاً
من عواطفها. وإذا هي، رغم الطبيعة
والسن، والتصديق، رغم كل شيء
تقع في غرام من كانت تفزع من النظر
إليه!
إنه لحكم مبتور شديد النقص
في من يقرُّ بأن الكمال قد يشط هكذا
ضد قواعد الطبيعة كلها. فيضطر المرء
إلى البحث عن مكايد جهنمية المكر
في تأويل ذلك. ولذا فإنني أؤكد ثانية
أنه سيطر عليها بمزيج ما،
يتحكم بالدم والهوى،
أو شراب ما مشحون بالتعازيم(٢٩)

وداعة

وكما تتشابه شخصيات ديك الجن وعطيل في النظرة الأخلاقية والسلوك والشك والغيرة، تتشابه شخصيتا ورد ودزديمونه في كونهما زوجتين وتبعتين عفيفتين مخلصتين، وغائبتين عن دائرة الفعل دائماً، وتحاك حولهما قصة خيانة ملفقة، وتفاجأ كلتاهما بصاحبها أو زوجها وهو يهم بقتلها. كلتاهما بريئتان من الخيانة، لكن يد القتل كانت أسرع من أن تتيح لهما أية فرصة لإثبات براءتهما. ونتيجة لهذه المأساة يجن الرجل الأول حزناً وندماً وأرقاً، وينتحر الثاني كمداً وتكفيراً عن خطيئته. أما الشخصيتان اللتان تحتاجان إلى دراسة خاصة متأنية فهما شخصيتا أبي الطيب في قصة ديك الجن، وشخصية إياغو حامل علم عطيل في مسرحية شكسبير؛ وذلك لتشابه دورهما، ولعمق الشر الكامن في شخصيتهما. فكلاهما ينتقم من صاحبه عن طريق الإيقاع بالزوجة التي يحوك حولها قصة خيانة زائفة. فبعد سفر ديك الجن إلى سلمية جاءه من ينقل له إشاعة كاذبة تحكي أن ورداً عاشرت غلاماً له، ولما عاد ديك الجن مسرعاً قدّر أبو الطيب وقتاً ليستقبل ديك الجن، وليعنفه على تمسكه بهذه المرأة الفاسدة، وأشار عليه بطلاقها:

ويمكن موازنة خطوات هذا الحدث بخطة إياغو وموقفه حيال عطيل. ويخاطب إياغو عطيلاً في المشهد الثالث من الفصل الثالث:

إياغو: انتبه إلى زوجتك، لاحظها جيداً مع كاسيو

واجعل عينيك هكذا: لا غيوراً ولا واثقاً

لن أرضى لك، بطبعك النبيل السمح

أن تُخدع، لطيبة ذاتك، انتبه

إني أعرف طرائق بلدنا حق معرفة:

فالنساء في البندقية يسمحن للسماء أن ترى الألاعيب

التي لا يجسرن على أن يرينها أزواجهن

خير الضمير عندهن

لا أن يحجمن عن فعل الشيء، بل أن يبقينه مجهولاً(٣٠)

شك ودهاء

ويحاول إياغو على نحو هادئ ومحكم إدخال الشك في نفس عطيل؛ ليتمكن من السيطرة على عقله رويداً رويداً بعد تفكير ودأب حثيثين. أما أبو الطيب فإنه يعتمد التمهيد في حوك مؤامراته، ثم المباغتة؛ ليسدد الضربة النهائية إلى نفس الديك. فكلاهما يتصرف بدهاء وثقة.

وكما تغدو شخصية إياغو أبدع مثال أدبي في مدرسة الشخصيات الإنجليزية الشريرة، فإن أبا الطيب «وغد» ينتمي إلى جماعة الأشرار الذين تعج بهم الحياة العربية، ذلك النوع من الأشرار الذي يدعي الشرف والأمانة والاستقامة، وهو - فعلياً - غارق حتى أذنيه في مستنقع الخطيئة. فأبو الطيب يعظ الناس، وينهاهم عما هم فيه، ويحول بينهم وبين ما يؤثرونه، وربما هجم عليهم، واستخف بهم، وحقرهم، ويقوم بما تحذر منه الشرائع، وتنكره الأعراف من عدم فرض الهداية على أحد، وعدم التدخل عنوة في شؤون الآخرين، وممارسة الوصاية عليهم.

ويبدو أن أبا الطيب لم يخدع قومه في زمانه بسلوكه الحافظ المحتشم فحسب، بل تمكن من خداع بعض الدارسين المعاصرين لسيرة ديك الجن؛ فقد كتب أحد الباحثين: «لقد أحكم أبو الطيب خيوط المؤامرة، وإن كنا لا نشك مطلقاً في أنه لم يكن يريد لها أن تحدث كما حدثت، ولكن أزمة الأمور أفلتت من يديه. كان يريد لها أن تنتهي بالطلاق، ولكنها انتهت بالقتل، وهذا ما لم يكن يريده قطعاً. فأبو الطيب لم يكن إنساناً خبيثاً محباً للأذى، غيوراً فاجراً، بل كان إنساناً محافظاً كارهاً للمجون والفجور، لم يأل جهداً في إصلاح ديك الجن»(٣١). إن إشارة أبي الطيب إلى الديك بأن يطلق زوجته ما هي إلا جزء من خطته الجهنمية التي ترمي إلى عدم إثارة شكوك الديك حول مقصده الناصح الطيب.



مشهد مسرحي: قمة المأساة في مسرحية «عطيل» لحظة مقتل دزديمونه

وهذا ما يفعله إياغو تماماً عندما يزرع أول بذرة شك في ذهن عطيل عن خيانة دزديمونه، يقول مخاطباً عطيلاً: «مولاي، أرجو أن تسمح لي بالتوسل إلى سيادتك بأن تكف عن التمعن في هذا الأمر، اتركه للزمن(٣٢) بيد أن الأعمال يمكن أن تقوم بنهاياتها في كلتا الحالتين، ومما يجدر ذكره أيضاً أن إياغو يتمكن من خداع الجميع، فهو في بداية المسرحية حتى نهايتها يدعى بالرجل الأمين الشريف. إن الشر يشكل القاع النفسي لكلا الشخصين، بحيث يغدوان مثالين غنيين في دراسة أدبية تستخدم التحليل النفسي منهجاً لها. وعندما يطلق عطيل، في المشهد الثالث من الفصل الثالث، صيحاته تجاه إياغو طالباً الدليل المرئي، فإن الأخير يجيبه بكل ثقة، ودون خوف(٣٣): لكن إياغو كان يعد العدة ليقدم دليلاً مادياً مزيفاً، فقد حصل على منديل دزديمونه عن طريق زوجته، ورماه في غرفة كاسيو، ثم دفع الأخير إلى زيارة دزديمونه في بيتها كي تتوسط له لدى عطيل من أجل إعادته إلى وظيفته، ثم راح يؤكد أن دزديمونه تبادل كاسيو الحب، وإنها تنوي الزواج منه، وراح إياغو يذكر عطيلاً بمنديله الذي كان أول هدية يقدمها إلى دزديمونه. وكما بعث أبو الطيب الرجل المتهم إلى منزل الديك قائلاً له: إذا قدم عبدالسلام، ودخل منزله فقف على بابه كأنك لم تعلم بقدومه وناد باسم ورد، فإذا قال: من أنت؟ فقل: أنا فلان. فإن إياغو حالما يرى كاسيو خارجاً من بيت دزديمونه عندما يذهب لطلب الوساطة منها؛ يقول لعطيل: «لا أستطيع تصور ذلك، أيخرج متسللاً كمجرم حالما يراك قادماً؟(٣٤) ولكي يؤكد إياغو خيانة دزديمونه المزعومة فإنه يستدرج كاسيو إلى القصر، ويهمس في أذنه بسؤال عن حبيبته النعمة بيانكا وعطيل متخف خلف الستارة في الغرفة نفسها، وبذلك يحدث إياغو تغييراً في المواقف، فيظن عطيل أن الحوار الجاري بينهما إنما يدور حول دزديمونه، بينما هو في الواقع يدور حول بيانكا(٣٥). وهنا يمكن القول: إن النهاية المأساوية في مسرحية عطيل تتشابه مع نهاية قصة ديك الجن. فحين

يسأل ديك الجن ورداً عن الرجل وعلاقتها به، ويغلظ عليها، تجيبه جواب من لم يعرف من القصة شيئاً. وكذلك الأمر عندما يسأل عطيل دزديمونه عن علاقتها بكاسيو تقع دزديمونه في مشكلة مماثلة في المشهد الثاني من الفصل الخامس:

عطيل: فكري بخطاياك

دزديمونه: إنه الحب الذي أكنه لك.

عطيل: نعم، ومن أجل ذلك ستموتين.

دزديمونه: إنه لموت شاذ ذاك الذي يقتل بسبب الحب

وا حسرتاه، لماذا تعض هكذا شفتك السفلى؟

عطيل: ذلك المنديل الذي كنت أحبه جداً، وأعطيتك إياه.

أعطيته أنت لكاسيو.

دزديمونه: أبداً قسماً بحياتي وروحي!

أرسل في طلب الرجل واسأله.

عطيل: ... يجب أن تموتي.. رأيت منديلي في يده!

دزديمونه: إذن فهو قد عثر عليه

أما أنا فما أعطيته إياه قط، أرسل في طلبه، وليعترف بالحقيقة.

عطيل: لقد اعترف.

دزديمونه: بماذا يا مولاي؟

عطيل: بأنه واصلك.

دزديمونه: كيف؟ أحراماً؟

عطيل: نعم

دزديمونه: لن يقول ذلك.

عطيل: لا؛ لأن فاه قد سد.

إياغو الأمين قد دبر ذلك.

دزديمونه: يا ويلي! خانوه ودمروني..

عطيل: ابعدي، يا عاهرة، أتبكين عليه أمام وجهي؟(٣٦)

وفي هذه اللحظة يهجم عطيل عليها، ويخنقها. أما ديك الجن فيستل سيفه، ويضربها به، فيقتلها. وتوحي كلمات عطيل في هذا المشهد كثيراً بما حدث مع ديك الجن، إذ إن كلاً منهما أخذ يصرخ ويهذي:

زوجتي؟ زوجتي؟ أية زوجة؟ لا زوجة لي!

آه لا يطاق! يا للساعة الثقيلة...!

لأحسب أن الشمس والقمر ينبغي لهما أن يخسفا الآن(٣٧).

وتدخل هنا إميليا، زوجة إياغو، فتروعها الجريمة، وتعلم عطيلاً بكذب إياغو بالأدلة، فتقع المأساة المسرحية الثانية أمام أعيان من البندقية الذين أحاطوا بعطيل، فيقول لهم كلاماً قريباً مما قاله ديك الجن ساعتئذ:

مهلاً! كلمة أو اثنتين قبل أن تذهبوا.

لقد أديت للدولة بعض الخدمات، وهم على علم بها

فلا حاجة لقول المزيد منها. إني لأرجوكم في رسائلكم

عندما تروون وقائع الشؤم هذه،

أن تتحدثوا عني كما أنا. لا تلطفوا شيئاً

ولا تدونوا شيئاً بضغينة. عليكم عندها أن تتحدثوا

عن رجل لم يعقل في حبه، ولكنه أسرف فيه.

رجل ليس حاضر الريبة.. ولكنه إذا أثير

وقع في أشد التخبط، رجل رمى عنه بيده

(كهندي غبي جاهل) لؤلؤة

أثمن من عشيرته كلها، رجل إذا انفعل

درت عينه، وإن لم يكن الذرف من دأبها

دموعاً سراعاً كما تدر أشجار العرب

صمغها الشافي. هذا دونوه

وقولوا أيضاً إنني ذات مرة في حلب،

حيث هوى تركي شرير معمم

على بندقي بالضرب وأهان الدولة،

أمسكت بالكلب من عنقه

وضربته.. هكذا!

(يطعن نفسه) ويخاطب جثمان دزديمونه

قبل أن أقتلك، قبلتك. وما من سبيل آخر

قتلت نفسي، لأموت على قبلتك

(يقع على الفراش، ويموت)(٣٨).

وتأسيساً على ما تقدم يمكننا تقسيم حياة ديك الجن ثلاثة أطوار: الطفولة، والشباب، والكهولة(٣٩)، بيد أن كتب التراث لا تذكر أحداثاً بارزة في الطفولة، كما أنه لا يوجد لدينا الكثير مما نقوله عن الكهولة، أي إن هناك نوعاً من الغموض الذي يكتنف حياة ديك الجن، عدا مرحلة الشباب، وغرامه بورد، وقتلها، إن هناك شيئاً مماثلاً في حياة مبدع عطيل، شكسبير، والذي لا نعرف عن حياته إلا القليل القليل، وإن ما كتب عن حياته ضرب من التكهن والتخيل والافتراض الذي يعوزه الدليل الموثوق؛ لذلك كانت هناك نظريات عن تأليف تلك الأعمال التي تعزى إلى شكسبير، لكننا نقبل على سبيل الدراسة أنه هو كاتبها، ونقبل بعض التفاصيل التي نطرحها كتب السيرة والنقد عنه. ومما له علاقة بموضوعنا هو أن شكسبير كان قد كتب ١٥٤ قصيدة، تصنف عادة في ثلاث مجموعات: من القصيدة الأولى إلى ١٢٦ قصائد قد كتبت عن شاب صغير اسمه يبدأ بالأحرف W.H. ومن القصيدة ١٢٧ إلى ١٥٢ كتبت عن سيدة شابة يطلق عليها السيدة السوداء، وفي هاتين المجموعتين ما يشير إلى غرام المؤلف بذلك الشاب الذي خانه مع السيدة السوداء عبر لوعة صادقة، وألم حقيقي مما حدث. والمجموعة الثالثة تتضمن قصيدتين ١٥٣ و١٥٤، وهما ترجمتان لقصيدتين إغريقيتين. وفي المجموعتين الأولى والثانية ملامح شفافة من قصة ديك الجن. إن فكرة الغيرة هي المحور الأساسي الذي تستند إليه قصة ديك الجن كما وردت في كتب التراث؛ فقد كتب داود الأنطاكي فصلاً بعنوان «ذكر الغيرة وما فيها من الحيرة وقرع سن ديك الجن» فيقول: «ومنهم من بالغ الغيرة حتى قتل محبوبته. كما ذكر ذلك عن جماعة، من جملتهم ديك الجن الحمصي»(٤٠) كما غدا

يتركز الفخر والاعتزاز عند عطيل في أعمال الحرب والبطولة والشجاعة بصورة أساسية، ويوازي ذلك عالم الأدب والشعر والعزة الشخصية لدى ديك الجن

موضوع الغيرة أيضاً الموضوع الرئيس في النقد الأدبي والمسرحي الإنجليزي الذي يتناول شخصية عطيل بالدراسة والتحليل. إن الموازنة

بين الغيرة لدى ديك الجن والغيرة لدى عطيل، أسبابها وطبيعتها ونتائجها، تستدعي دراسة مستقلة ومتخصصة.

لقد سطر الشعر الذي نظمه ديك الجن سيرة حياته، كما سطر الشعر المسرحي الذي نظمه شكسبير حياة عطيل، لكن هناك سمات فنية لابد من ذكرها عن لغة شكسبير، والتي تلتقي ولغة الشعراء العرب في الكلف بالتعبير الدقيق، والولوج إلى العالم الداخلي للشخصيات، وفي تصوير النوازع الخاصة، وتلوين اللغة بالمجاز والكناية والتشبيه، والمبالغة في التعبير والوصف للوصول إلى نهايات الصور. وقد كان الشاعر خليل مطران أول من أشار إلى التشابه بين الشاعر الإنجليزي شكسبير والشعراء العرب، فيقول في مقدمة ترجمته لمسرحية «عطيل»: «إن في نفس شكسبير شيئاً عربياً بلا منازعة، وهو أبين فيها مما بان في نفس فيكتور هوغو؛ ترى أقرأ لغتنا أم نقلت إليه عنها بعض المترجمات الصحيحة؟ لا أعلم، ولكن بينه وبيننا من وجوه متعددة مشاكلة محيرة، فإن عنده مثل ما عندنا جرأة على الاستعارة، وذهاباً بضروبها في كل مذهب، وله مثل ما لنا: كلف بالتنقل الوثبي من غير تمهيد ولا استئذان يدفعك من القصد إلى القصد وشيكاً، وعليك أن تتمهل في فكرك، وتجد الرابطة، وبه مثل ما بنا من الهيام في المبالغة التي لا يقبلها من الكاتبين، ولا يعقلها من القارئين إلا الذين في تصورهم حدة وجماح كما يكون عادة عند الشرقيين، وخصوصاً عند العرب، وعلى الجملة ففي كل ما يكتبه شكسبير شيء من روح البداوة قوامه الرجوع الدائم إلى الفطرة الحرة»(٤١).

والخلاصة أن البحث في هذه القضية مازال مفتوحاً أمام الباحثين المقارنين، وحسبي في هذه العجالة أني أثرت هذا الموضوع، وأشرت إلى بعض مفاتيحه الأساسية.

الهوامش والمراجع

١. انظر. بحث جوزيف ت. شو عن «التباين الأدبي والدراسات الأدبية المقارنة» في كتاب الأدب المقارن: المنهج والمنظور ترجمة د. فؤاد عبدالمطلب. جامعة ساوثرن الينوي الولايات المتحدة ١٩٧٣م. والصادرة في مجلة الموقف الأدبي العدد ٢٦٨ آب / أغسطس ١٩٩٣م ص٧٩ - ٨٨.
٢. محاضرات ألقاها الدكتور نسيب نشاوي في المؤتمر العالمي للأدب المقارن بجامعة عنابة من ١٤ - ١٩ أيار / مايو ١٩٨٣م وصدرت ضمن أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب. وزارة التعليم العالي. جامعة عنابة. الجزائر. ص ١٦٣ - ١٨٥.
٣. مقالة نشرها الدكتور عارف تامر في صحيفة الأسبوع الأدبي. العدد ٢٩٩. ٦ شباط / فبراير ١٩٩٢م. ص٤ و١١.
٤. نسبة إلى سلمية. وهي مدينة بالشام بالقرب من حماة.
٥. ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان (ج١: ص٤٢٥) وقد جاء فيه: «ومولده سنة ١٦١هـ وتوفي في أيام المتوكل سنة ٢٣٥ أو سنة ٢٣٦هـ». انظر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني. دار إحياء التراث العربي: بيروت. ١٩٩٤م. ج١٤. ص٢٨٧.
٦. عاش أبو الفرج الأصفهاني سبعين عاماً حسب التقويم الميلادي؛ أي ما يعادل ٧٢ عاماً حسب التقويم الهجري وتوفي في بغداد سنة ٣٥٦هـ - ٩٦٧م. ويرجح أن أبا الفرج قد فرغ من تأليف كتابه بين عامي ٩٦٢ و ٩٧٦م. وعن هذا الموضوع انظر. كتاب الأغاني المعطيات السابقة. ج١. ص٢١. وانظر أيضاً دراسة خالدوف كتاب «الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني» في بحوث سوفييتية في الأدب العربي: مجموعة مقالات. دار رادوغا موسكو. ١٩٨٩م. ص٣٨ - ٤٠.
٧. يعرض الباحث مظهر الحجي حياة ديك الجن ومأساته كما وردت في كتاب الأغاني، وعدد من كتب التراث العربي مثل: تاريخ دمشق لابن عساكر، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان، و«الكشكول» للعاملي، و«تزيين الأسواق في أخبار العشاق» للشيخ داود الأنطاكي. ويفاضل الحجي بين تلك التراجم في كتابه: ديك الجن الحمصي. دار طلاس: دمشق. ١٩٨٩م. ص٤٦ - ٦٣.
٨. كتاب الأغاني ص٢٩٠. انظر ديوانه:١١٥. انظر ديك الجن. جمع وتحقيق مظهر الحجي. مطبوعات وزارة الثقافة: دمشق ١٩٨٧م (سلسلة إحياء التراث العربي ٧٣).
٩. المرجع السابق. ص٢٨٨. وانظر ديوانه:١٠٠.
١٠. المرجع السابق. ص٢٨٨ - ٢٨٩.
١١. المرجع السابق. ص٢٩٠ وانظر ديوانه: ٧٥. البرير: الأول من ثمر الأراك. والكباث النضيج من ثمر الأراك.
١٢. المرجع السابق. ص٢٩١. وانظر ديوانه:١٩٦.
١٣. المرجع السابق. ص٢٩١. ديوانه ٢٢٤ - ٢٢٥.
١٤. المرجع السابق. ٢٩٣. انظر ديوانه ١٠٨. ١٠٩.
١٥. يؤكد هذا القول الباحث مظهر الحجي في كتابه. ديك الجن الحمصي. ص٥٠.
١٦. د. شوقي ضيف. العصر العباسي الأول. دار المعارف بمصر. القاهرة ١٩٧٥م. ص٣٢٦.
١٧. انظر مصطفى صادق الرافعي. تاريخ آداب العرب. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٩٧٤م. ج٣. ص٣٧٣. والديوان ص ١٨٦ - ١٨٧.
١٨. لمزيد من التفاصيل عن كتابة هذه المسرحية وتمثيلها وطباعتها. انظر مثلاً. ساندرا كلارك. معجم شكسبير. هتشنسن: لندن ١٩٨٦م. ص٢٢٥ - ٢٢٧.
١٩. انظر. سدني فارا. الأدب الانجليزي. جمعية غروليير: لندن. ١٩٦٥م. ص١٠٧ - ١٠٨. (بالإنجليزية. ومحمد فريد أبو حديد. شكسبير. دار المعارف بمصر. ص٤٩ - ١٠٣.
٢٠. كثيرة هي الكتب التي تناولت هذا الموضوع. وأكدت الفكرة المذكورة. انظر على سبيل المثال: ساندرا كلارك. معجم شكسبير. المعطيات نفسها. ص٢٢٥ - ٢٢٧. عطيل تحرير غاميني سالاداغو. نيوسوان شكسبير. لونغمان: لندن. ١٩٨٠م. ص١٨ - ٢٠ (بالإنجليزية). وانظر مراجعة جبرا إبراهيم جبرا في مقدمته لترجمته المآسي الكبرى: هاملت. عطيل الملك لير. مكبث. المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت. ١٩٩٠م. ص٣٨٤ - ٣٨٦. وانظر مقدمة خليل مطران لترجمة. عطيل دار المعارف بمصر. ١٩٧٦م. ص٣ - ٤.
٢١. د. نسيب نشاوي «عطيل شكسبير وديك الجن الحمصي» أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب. المعطيات السابقة. ص١٧٣. ولابد أن نذكر أن لهذا الباحث فضل ريادة هذا الموضوع على الرغم من الملاحظات الكثيرة التي يمكن أن توجه إلى بحثه.
٢٢. انظر. د. عارف تامر. ديك الجن وشكسبير. الاسبوع الأدبي. المعطيات السابقة. ص٤. ولا يعيد تامر كتابة كلمات النشاوي وأفكاره كاملة وبالحرف فحسب. بل يردد الأخطاء التي وقع فيها. يقول النشاوي مثلاً «تقع مسرحية عطيل في أربعة فصول. وتدور أحداثها..» وتردد هذه العبارة حرفياً في مقال تامر دون تدقيق (ص٤) علماً أن مسرحية عطيل تتألف من خمسة فصول في النص الشكسبيري. وفي مختلف الترجمات العربية.
٢٣. المرجع السابق. ص٤.
٢٤. انظر. الدكتور طه ندا. الأدب المقارن. دار المعرفة الجامعية: مصر. ١٩٩٥م ص٢٤٩ - ٢٥٠. خصص ندا في كتابه فصلاً يبحث في تأثير الآداب الإسلامية والعربية في الآداب الأوربية. انظر ص ٢٤٩ - ٢٨٠.
٢٥. خالدوف. «كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني» بحوث سوفييتية في الأدب العربي: مجموعة مقالات. المعطيات السابقة. ص٤٨.
٢٦. يقسم الباحث مظهر حجي تجربة ديك الجن إلى هذه المراحل الأربع التي نتحدث عنها والتي تتطابق مع تجربة عطيل. انظر. ديك الجن الحمصي ص٣٩ - ٤٥.
٢٧. جبرا إبراهيم جبرا. المآسي الكبرى: هاملت. عطيل. الملك لير. مكبث. ص٤٧٠.
٢٨. ديك الجن الحمصي. جمع وتحقيق مظهر الحجي. ص٦٠ - ٦١.
٢٩. جبرا إبراهيم جبرا. المآسي الكبرى: هاملت. عطيل. الملك لير. مكبث. ص٤٧٨.
٣٠. المرجع السابق. ص٥٣١.
٣١. مظهر الحجي. ديك الجن الحمصي. ٤٩.
٣٢. جبرا إبراهيم جبرا. المآسي الكبرى. عطيل. الملك لير. مكبث. ص٥٣٣.
٣٣. المرجع السابق. ص٥٣٨.
٣٤. المرجع السابق. ص٥٢٥.
٣٥. انظر المشهد الأول من الفصل الرابع. المرجع السابق. ص٥٥٧ - ٥٦٠.
٣٦. المرجع السابق. ص٥٨٩ - ٥٩١.
٣٧. المرجع السابق. ص٥٩٩.
٣٨. المرجع السابق. ص٦٠٢ - ٦٠٣.
٣٩. انظر مظهر الحجي. ديك الجن الحمصي. ص ٣١ - ٤٦.
٤٠. داود الأنطاكي. تزيين الأسواق في أخبار العشاق. دار حمد ومحيو. بيروت ١٩٧٢م ص٩٦ - ٩٧.
٤١. خليل مطران: عطيل: المعطيات السابقة. ص٧ - ٨.

فكر

أثر الاستشراق في استغراب الفكر العربي

سلامة موسى نموذجًا من خلال كتابه «الدنيا بعد ثلاثين عامًا»

أحمد عيساوي

تبسة - الجزائر


سلامة موسى

حظيت ظاهرة الاستشراق - بوصفها قضية علمية في سياق المكونات الأساسية للمنظومة الفكرية والتراثية العربية الإسلامية - بنصيب وافر من اهتمامات الباحثين ودراساتهم على اختلاف اتجاهاتهم ولغاتهم ومستوياتهم وأدواتهم ونياتهم؛ حتى غدت المكتبة العربية متخمة بالعناوين المتعلقة بها، أسوة بالمكتبة الغربية التي كانت سباقة إلى تناولها والدعاية لها، في محاولة منها لإيجاد المسوّغ لأعمال المستشرقين المسيحيين واليهود وجهودهم عبر تاريخهم الاستشراقي الطويل(١).

وقد تباينت متون تلك الدراسات وتحليلاتها ونتائجها تبعًا لمنطلقات الدارسين لها ونياتهم وأهدافهم وأدواتهم، غير أنهم كانوا مشدودين بوتر منهجي واحد، شكّل لهم إطارًا مرجعيًا وحيدًا، تمثل في التدليل على فرضياتهم التي افترضوها وانطلقوا منها، فكان منهم - حسب رأيه هو أو تحليلات ناقديه - المحايد المطلق الحياد والموضوعية، وكان منهم المنفعل المنحاز الموتور لغة وفكرًا ومستوى خطابيًا، إما تأييدًا لمسألة ما، وإمّا نقدًا ومعارضة لمسألة أخرى، وكان منهم الذي احتمى حينًا ببعض ضوابط الموضوعية المنهجية في بعض المسائل، وخاب في غيرها، فمال مع هواه ونياته ورواسبه النفسية الدخيلة، فتباينت تحليلاته وقراءاته ونتائجه تبعًا لدرجة نقاء مسلماته وبدهياته وفرضياته وأدواته ووضوحها ونشوهها، فجاءت دراسته بين الشوائب والنقاء(٢).

مجالات الاستشراق

وقد صنف المتخصصون في مجال الدراسات الاستشراقية على اختلاف لغاتهم وثقافتهم وأدواتهم جميع الجهود العلمية التي تراكمت في هذا الحقل العلمي، وحصروها في مجالاتها الحقيقية، بعد أن ردوا ما فيها من رواسب وشوائب غير علمية،

ويمكننا تلخيصها فيما يأتي:
- فيما له صلة بالمصطلح - الاستشراق. المستشرق(٣).
- فيما له صلة بنشأة الاستشراق ودوافعه وأهدافه الحقيقية(٤).
- فيما له صلة بمرحلة تطور الاستشراق(٥).
- فيما له صلة بمضمون الخطاب الاستشراقي ومستواه وحدوده(٦).
- فيما له صلة باهتمامات المستشرقين ومناهجهم وأدواتهم البحثية(٧).
- فيما له صلة بنتاجات المستشرقين(٨).
- فيما له صلة بطبقات المستشرقين وتراجمهم وسيرهم(٩).
- فيما له صلة بالجانب الدعائي والوقائي التحشيدي من الاستشراق والمستشرقين(١٠).

ودون الدخول في سياقات القضايا الاستشراقية التخصصية نود التنبيه على أن مصطلح الاستشراق الذي أطلق على نوع معين من الدارسين والدراسات، كان قد نشأ ضمن معطيات اتصالية وإعلامية وفكرية وعلمية وجغرافية معينة، أفرزتها مسلمات الحقب الفكرية السالفة، بحيث يعني مصطلح الشرق عندها الجهة الجغرافية الواقعة على الحدود الشرقية لأوربا، ومعه نشأ المصطلح النقيض والمضاد: الاستغراب، ليدل على كل ما تمركز في الجهة الغربية للشرق.

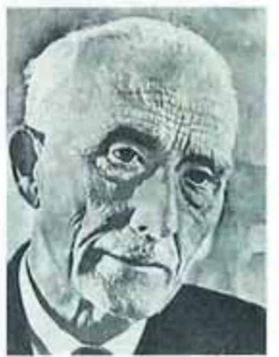
الاستشراق ليس إلا حالات الاختراق الفكري والاختلاس القيمي والعبور القسري لعوالم الوحي الرسالي بعيون عوالم المرئيات وأدواتها فقط

إعادة النظر في المسلمات

والملاحظ - من وجهة نظرنا - أن المصطلح الذي أفرزته مسلمات تاريخية معينة يجب أن يعاد النظر فيه اليوم في ظل المعطيات والمسلمات الإعلامية والاتصالية الحديثة، وفي ظل تبدل جميع المسلمات العلمية والتقنية والجغرافية والسياسية والفكرية والإعلامية. بعد الثورة التقانية (التكنولوجية) الهائلة التي شهدها العالم في نهايات القرن العشرين، وبعد تجاوزه للكثير من المسلمات التي عرفها في بداياته، فنظرية مارشال ماكلوهان وغيرها التي بشرت بتحول العالم إلى قرية إعلامية إلكترونية صغيرة، لم تعد تصلح اليوم قاعدة إعلامية لتفاعل الاتصالات العالمية، بفضل سرعة الوسائل الإعلامية والاتصالية المعاصرة وكثافتها ويسرها وفاعليتها [البريد الإلكتروني، النشر الإلكتروني، الإنترنت..]، ولم تعد الكرة الأرضية اليوم بفضل الثورة (التكنولوجية) الهائلة مقسومة إلى شرق وغرب وشمال وجنوب، بمقدار ما هي اليوم أصغر من قرية صغيرة، بل هي غرفة صغيرة يرى ويسمع ويتكلم ويتحاور الجالسون فيها بعضهم مع بعض.

وعليه، فإن مصطلح الاستشراق والاستغراب الذي عنونا به جزءاً رئيساً من دراستنا، لتتبع ظواهر التبعية بين فكرين متدافعين، إنما هو من قبيل الاستئناس بمدلولات المسلمات الاصطلاحية التقليدية الكامنة فيه.

والمسألة - في اعتقادي - أكبر من أن نحصرها ضمن حيّز الرقعة الجغرافية (الاستشراق، الاستغراب) فقط، بمقدار ما هي عملية واسعة ومعقدة، تختزل عدة عمليات فكرية متنوعة ومتشابكة ترمي بالأساس إلى رصد تدافع عوالم القيم والمثل العليا وتشخيصه ومراقبته وتعييره بين منظومتين فكريتين وعقيدتين متباينتين كل التباين: إحداهما تمثل عالم التلقي والوحي والتفاعل الرسالي العاقل مع عناصر ومكونات الكون وموجده، وثانيتهما تمثل عالم التفاعل مع عناصر ومكونات الكون المرئية فقط.


لويس ماسينيون

اختراق فكري

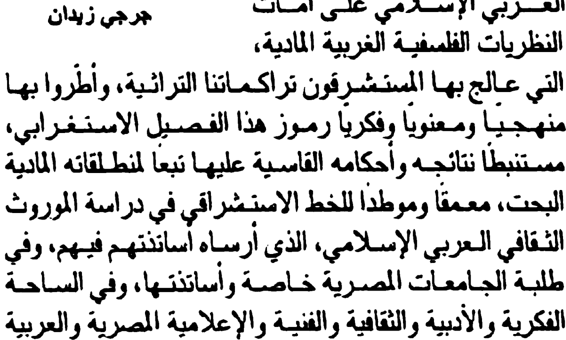
الشرق في منظورنا ليس إلا عالم القيم السماوي، والغرب في منظورنا ليس إلا عالم الوثنية الوضعي، والاستشراق في منظورنا ليس إلا حالات الاختراق الفكري، والاختلاس القيمي، والعبور القسري لعوالم الوحي الرسالي بعيون عوالم المرئيات وأدواتها فقط، دون النظر في إمارات الحيز الجغرافي للشرق أو للغرب.

لأن المستشرقين الذين يعبرون إلى الحيز الثقافي والفكري العربي الإسلامي ممتلكين الكثير من أدواته، إنما يعبرونه مجردين من ظلاله وإيحاءاته الحقيقية الكامنة فيه كافة، فيعبرونه قسراً بغير عدته، ومن ثم يتجنون عليه تحليلاً وتجزيئاً وتركيباً ومنهجاً وخلاصة.. يفتقدون، في عبورهم ومقارباتهم للنص المقدس [الكتاب - السنة] أو للتراكمات التراثية التي قامت حوله، إلى روحه وجوهره ومقصده، فلا يستطيعون بفعل تأثير رواسب التربية والتكوين والمناخ البيئي والاجتماعي والفكري والنفسي أن يدركوا الأعماق الدفينة لجوهره، ومن ثم يتجنون عليه، ويظلمونه عندما ينزلونه إلى معاييرهم الغربية

عن روحه وجوهره، وحسبنا من ذلك توماس كارليل المنصف المعتدل منهم، الذي يتعامل مع القرآن ونبي الإسلام بأشياء عوالم المرئيات فقط، فظلم نفسه ومدرسته وغيره، وخرج بنتائج مجانبة للصواب(١١).

وبناء على تجنيهم ومجانبتهم السافرة لروح الحقيقة العلمية فقد أشاعوا حركة بلبلة فكرية واسعة النطاق في صفوف الكتاب والمفكرين العرب والمسلمين، شغلتهم بقوة، واستفرغت الكثير من مجهوداتهم حيناً من الدهر لتجلية الحقيقة التي عميت عن كثير من المستشرقين، ولكن استفاقتهم كانت متأخرة بعد أن استطاعوا إيجاد فصيل من أبنائهم الروحيين ممن تربى بين أحضانهم فكراً وروحاً وهدفاً ومنهجاً..، ممن برع في تنويع أساليب الخطاب المحلية والإقليمية والعالمية والاستهلاكية، والمصدرة تبعاً للظروف والملابسات المحيطة بنتاجه، وكان منهم سلامة موسى وأمثاله من مناصري تيار الاستغراب في الفكر العربي الإسلامي، ومن مروجي المشروع الثقافي والفكري الاستغرابي في المنظومة الفكرية والثقافية والحضارية العربية الإسلامية.

وقد شكل هذا الفصيل من المفكرين العرب الطليعة الاستغرابية بين مجموع كتاب العربية ومفكريها في منتصف القرن الماضي، مؤسساً دراساته وقراءاته للموروث الحضاري العربي الإسلامي على أمات النظريات الفلسفية الغربية المادية، التي عالج بها المستشرقون تراكماتنا التراثية، وأطّروا بها منهجياً ومعنوياً وفكرياً رموز هذا الفصيل الاستغرابي، مستنبطاً نتائجه وأحكامه القاسية عليها تبعاً لمنطلقاته المادية البحت، معمقاً وموطداً للخط الاستشراقي في دراسة الموروث الثقافي العربي الإسلامي، الذي أرساه أساتذتهم فيهم، وفي طلبة الجامعات المصرية خاصة وأساتذتها، وفي الساحة الفكرية والأدبية والثقافية والفنية والإعلامية المصرية والعربية عامة.



جرجي زيدان



طه حسين

وقد بدا خطهم الاستغرابي واضحاً وقوياً في كتابات محمد حسين هيكل وكتابه «حياة محمد» نموذجا، وفي كتابات طه حسين وكتابيه «في الشعر الجاهلي» ١٩٢٥، و«مستقبل الثقافة في مصر» ١٩٣٢م، وجرجي زيدان و«تاريخ التمدن الإسلامي» [illegible]

ومصطفى الحداد التونسي وكتابه «تحرير المرأة»..

ومن سبقهم وتبعهم من الكتاب اللبنانيين والسوريين المهاجرين إلى مصر كشبلي الشميل، وفرح أنطون، ويعقوب صروف، وأنيس المقدسي، ومارون عبود، وأنيس فريحة صاحب الآراء الغربية، والداعي للتنكر للموروث اللغوي والتركيبي والبنائي العربي الأصيل، ومحمد خلف الله أحمد ورسالة دكتوراه من السوربون عن القصة في القرآن الكريم ١٩٥٢م، ومن تبعهم من الكتاب لاحقاً ك: فرج فودة، وفؤاد زكريا، وعبد الرحمن بدوي، وزكي نجيب محمود، وحسن حنفي، وحسين مروة..، وهشام جعيط التونسي، والطيب تيزيني، ومحمد عابد الجابري المغربيين، ومحمد أركون الجزائري، وغيرهم من أصحاب الدعوات الإقليمية والجهوية والمحلية الفكرية والسياسية واللغوية في مركز دراسات الوحدة العربية، واتحادات الكتاب العربية في سورية ولبنان ومصر والعراق والكويت وتونس والجزائر وليبيا.

ومن بين هؤلاء الكتاب الذين تبنوا منهج التفكير الغربي منطلقاً وأداة ووسيلة وغاية، الذي أرساه بمصر خاصة غلاة المستشرقين أمثال: رجيز بلاشير وكارولو نالينو وهاملتون جب ولويس ماسينيون - الكاتب المصري سلامة موسى.

يقدم سلامة موسى أفكاره الاستغرابية صراحة، يعلن فيها دونما تردد أو خجل تبعيته ووفاءه للفكر اللاتيني القديم، وللموروث الثقافي والفكري الغربي الحديث، شأنه في ذلك شأن صديقه عميد الأدب العربي طه حسين في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» الذي طبعه عام ١٩٣٢م، والذي نادى من قبله بالآراء نفسها، وتطلع فيه إلى التطلعات نفسها، واضعاً منهج النهوض بمصر خاصة وبالشرق العربي والإسلامي المتخلف عامة وسبيله بالخروج من آسيا وإفريقية المتخلفة والدخول في أوربا اليونانية القديمة واللاتينية الوسيطية والغربية الحديثة.

إن سلامة موسى مع غيره من الكتاب، يقدم آراءه الوثنية هاته ضمن موجة استغرابية عارمة اجتاحت يومها مصر والعالم العربي والإسلامي، غير آبه البتة بالحقائق العلمية والمنهجية الموضوعية، وغير مكترث بالقيم الروحية والدينية والأدبية والتاريخية المشرقة للحضارة العربية الإسلامية، وغير [illegible]

تفتيشها الأقليات المعارضة، وأفنت الأغلبيات المسلمة في الأندلس وأوربا الشرقية وأواسط آسيا.

كما يدعو سلامة موسى في سائر كتاباته إلى ضرورة كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية، شأنه في ذلك شأن طه حسين وأنيس فريحة، ومن قبلهم واقع وموقف تركيا الكمالية وموقفها من الحرف العربي، وواقع الاستعمار الروسي والإنجليزي والهولندي والإسباني والفرنسي وموقفه مع الشعوب التي استعمرتها، والتي كانت تستعمل الحرف العربي لكتابة لغاتها.

فلم يكن دور مثل هؤلاء الكتاب المأجورين إلا سدانة مثل هذه المشاريع الاستكبارية، وتبنيها، والدعاية الإعلامية الرخيصة لها في الساحتين الثقافية والفكرية والعربية والإسلامية.

ولطالما صرح سلامة موسى بآرائه الاستغرابية تلك، ونادى بصوته عاليا لإسماعها عبر الصحف المسيحية والعلمانية الصادرة بمصر، أو عن طريق دار الطباعة التي كانت تحمل اسمه «سلامة موسى للنشر والتوزيع».

ففي كتابه «الدنيا بعد ثلاثين سنة» ستكون لنا إطلالات عميقة على فكره، وقراءات وتحليلات منهجية لتوجهاته ومنطلقاته وقيمه وتطلعاته وغاياته، حيث بدا لنا خلاله معاديا لكل ما هو عربي أصيل، ولكل ما هو إسلامي، لغة!. أم تشريعا!. أم تربية!.

سلامة موسى

لو أردت أن أقدم الكاتب والأديب سلامة موسى بعد أكثر من خمسين عاماً على وفاته (١٨٨٧ - ١٩٥٨م) لقراء العربية المحدثين الذين لم يعاصروا جيل الرواد، لوجدت نفسي ملزماً بتقديمه لهم من خلال إحدى مقالاته التي اختزل فيها روحه التجديدية المتململة، وأودع فيها جوهر فكره الثائر على رواسب الماضي العربي الإسلامي ومخلفاته، وطعمه بتطلعه الحداثي، وطبعه بتصوراته المادية، ودعا فيه بقوة إلى التوجه المستقبلي كخيار أحادي للنهضة والتطور، لقدمته للقراء عبر مقاله الشهير «ما هي النهضة»؟(١٢).

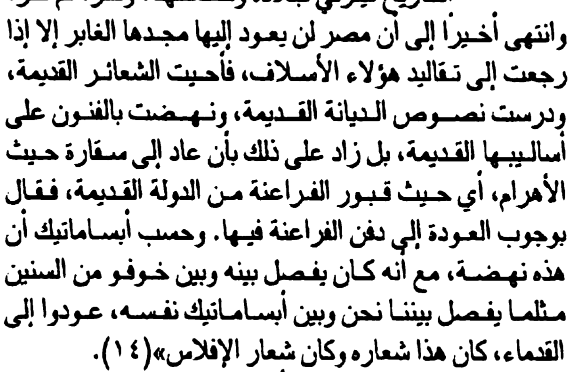
فقد بدا - لنا - الأديب الكاتب سلامة موسى من خلال مقاله السالف الذكر مفكراً حداثياً، منبتاً من الماضي، متبرئاً من رواسبه، متملصاً حتى من فترات عزه ومجده، داعياً جمهور القراء إلى الثورة عليه، ناقماً على كل المتمسكين بأمراسه، باسطاً فكره للقراء عبر مجموعة من الأمثلة الوثنية البراقة، متجاوزاً الحقبة الإسلامية المضيئة، مستلهماً العبر من المرحلة الفرعونية السحيقة.

وقد بدأ مقاله بالحديث عن النهضة ومعانيها وواقعيتها في مصر، وهي - حسب زعمه - مرادفة للثراء والقوة والثقافة والصحة والشباب، إذ قال: «نحن في نهضة فيجب أن نفهم معاني النهضة، ويجب أيضاً ألا نقف منها موقف المتفرجين، إذ علينا أن نعمل فيها ونعاونها ونعيش اتجاهاتها نحو المستقبل. النهضة ثراء وقوة وثقافة وصحة وشباب، ولكن قد يكون الثراء مؤلفاً من نقود زائفة، كما تكون القوة والثقافة والصحة والشباب خداعاً، وليست حقيقة»(١٣).

ليقدم لجمهور قرائه مثالاً تراثياً - لكونه من دعاة إحياء الوثنيات - من التاريخ الفرعوني السحيق كإطار مرجعي، يضمن له التأسيس التاريخي، والتأصيل الفلسفي لأفكاره المستقبلية في نقد الماضي ومحاكمته وجلده، فقد كتب بأسلوبه السهل: «..كان - أبسماتيك - فرعوناً على مصر، تولى الحكم فيما بين ٦٦٦ و ٧١٢ قبل الميلاد، وهو مؤسس الأسرة السادسة والعشرين، وكلمة مؤسس تعني أنه كافح أعداء، ونصب أهدافاً، ودرس وحقق، ولكنه كان رجلاً خالص النية في خدمة وطنه، أكثر مما كان ذكياً بصيراً بمستقبل بلاده، وكان أعداء مصر يحيطون بها، فمن الغرب غارات، ومن الجنوب غارات، وفي الشرق هزائم، والمستقبل مظلم والأمة مفككة، وولاء الشعب موزع بين الكهنة والعرش، والدسائس لا تنقطع. وفكر الرجل في نية خالصة وعزم حديد فيما أصاب مصر، وذكر تلك القرون الأولى حين كان خوفو يقول: شيدوا لي هرماً، فما هي إلا سنوات حتى يراه ينطح السماء، وكان ابسماتيك يرى الأهرام كما نراها نحن الآن، وكان يقرأ التاريخ فيرثي لبلاده وضعفها، وفكر، وفكر، ثم فكر، وانتهى أخيراً إلى أن مصر لن يعود إليها مجدها الغابر إلا إذا رجعت إلى تقاليد هؤلاء الأسلاف، فأحييت الشعائر القديمة، ودرست نصوص الديانة القديمة، ونهضت بالفنون على أساليبها القديمة، بل زاد على ذلك بأن عاد إلى مقارة حيث الأهرام، أي حيث قبور الفراعنة من الدولة القديمة، فقال بوجوب العودة إلى دفن الفراعنة فيها. وحسب أبسماتيك أن هذه نهضة، مع أنه كان يفصل بينه وبين خوفو من السنين مثلما يفصل بيننا نحن وبين أبسماتيك نفسه، عودوا إلى القدماء، كان هذا شعاره وكان شعار الإفلاس»(١٤).



محمد أركون



وسرعان ما يحس القارئ أن سلامة موسى سيدخله في جيب من جيوب التاريخ حيث العزة والسؤدد، وأنه سيشعر معه بالعزة والكرامة حتى يخيب ظنه، ويريه من حقائق التاريخ أسوأها، ويدفعه إلى التطلع إلى منجزات العرب والمسلمين الفكرية والثقافية والحضارية من باب التجهم والانتقاص.

يلوم بقوة ركود أوربا وسباتها في عصور الضعف والظلام، وينبادر إلى ذهن القارئ أنه سيثني على العرب والمسلمين، ولكن سرعان ما يظهرهم له أنهم مجرد نقلة سيئين، ومترجمين مخفقين للفلسفة اليونانية، وليسوا إلا قدماء يقلدون قدماء، وهي الحقيقة التي اكتشفها الأوربيون عندما تلمذوا لهم في الأندلس وصقلية وفي الشرق العربي في أثناء الحروب الصليبية، إذ يقول: «.. ومضى الناهضون يجترئون ويفكرون، ولكن رويداً رويداً اتضح لهم أنهم قد خرجوا وتخلصوا من قدماء الكنيسة إلى قدماء الإغريق. قدماء بدلا من قدماء. وأن العرب لا يختلفون عن القدماء؛ لأنهم اعتمدوا عليهم، أي على القدماء..»(١٥).

ويختم سلامة موسى مقاله بما أبداه نفسه ليؤكد في ذهن القراء فكرة النهضة الحداثية المبتوتة من كل الجذور، وليغرس في مخيلتهم صورة معينة للنهضة تتمثل - حسب زعمه - في التملص من الماضي، والعبث به، والتنكر للأصول والثوابت، وصناعة تقاليد جديدة تعادي بقوة روح التقاليد الماضية، فقد كتب يقول: «.. لقد انطلقت في أيامنا حيوية جديدة في بلادنا، تجدد القيم والأوزان في معاني الحياة والاجتماع والرقي، ولكننا لا نزال في اختلاط وارتباك وتردد، لا نعرف هل نأخذ بالقيم القديمة أم بالقيم الجديدة؟».

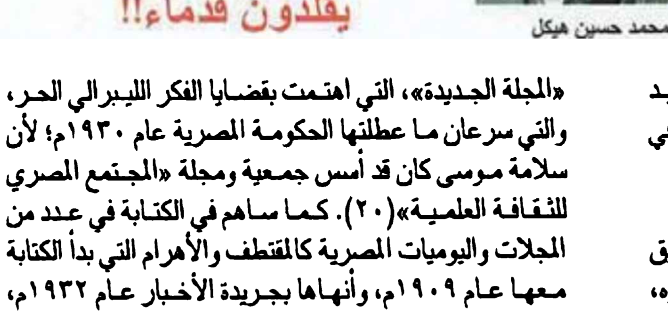
وليطرح بقوة مجموعة من الأسئلة عن النهضة، ومعاييرها إذ يقول: «.. ما هي النهضة؟ هل هي القيم القديمة؟ إن أسوأ ما أخشاه أن ننتصر على المستعمرين ونطردهم، وأن ننتصر على المستغلين ونخضعهم، ثم نعجز عن أن نهزم القرون الوسطى في حياتنا ونعود إلى دعوة «عودوا إلى القدماء». هل نعيد مأساة أبماماتيك؟ هل يعني الرقي والتقدم أن ندفن موتانا في سقارة؟»(١٦).

نشأته وتعلمه

ولد سلامة موسى في يناير/ كانون الثاني ١٨٨٧م بالزقازيق بمديرية الشرقية، وقد مات أبوه وهو في الثانية من عمره، ودخل المدرسة الابتدائية وحصل على الشهادة الابتدائية التي أهلته للانتقال إلى القاهرة التي تابع فيها تعليمه الثانوي(١٧).

وفي سن العشرين سافر إلى أوربا واستقر بمدينة باريس لمتابعة دراسته، وبعدها انتقل إلى لندن فالتحق بالجمعية (الفابية)، وهناك تعرف زعماء هذه الجمعية الاشتراكية وعلى رأسهم الأديب الكاتب برنارد شو، وفي مدينة لندن انضم إلى جمعية العقلانيين، التي أنسته كل ماضيه الغيبي - حسب قوله في كتابه «تربية سلامة موسى» وتربيته وذهنيته الصحراوية التي تفتقر إلى التفكير الخصب(١٨). وبعد تشبعه بالعقلانية الغربية المادية عاد إلى مصر، وأصدر أول كتاب له عن الاشتراكية عام ١٩١٣م، فكان أول كتاب في العالم العربي والإسلامي يقدم عن الاشتراكية الفابية القائمة على الإصلاح والتي ترفض الصراع الطبقي حسب اشتراكية ماركس العلمية القائمة على الصراع الطبقي(١٩).

وقد بدأ الكتابة في مجلة «الهلال» التي كان قد أسسها صديقه اللبناني جرجي زيدان ورأس تحريرها وإدارتها، ثم أسس هو جريدة «المستقبل» التي توقفت عن الصدور في أثناء الحرب العالمية الأولى، لينتقل إلى العمل في جريدة «المحروسة» التي كان يصدرها أبو الأديبة الكاتبة مي زيادة، ثم تركها هرباً من مقص الرقابة، ليعود ثانية إلى الكتابة في الهلال مع صديقه جرجي زيدان سنوات ١٩٢٣ - ١٩٢٩م، وليصبح رئيساً لتحريرها مع مجلة «كل شيء»، ليترك العمل الصحفي عند الآخرين، وليؤسس مجلته الشهرية الخاصة



محمد حسين هيكل

«المجلة الجديدة»، التي اهتمت بقضايا الفكر الليبرالي الحر، والتي سرعان ما عطلتها الحكومة المصرية عام ١٩٣٠م؛ لأن سلامة موسى كان قد أسس جمعية ومجلة «المجتمع المصري للثقافة العلمية»(٢٠). كما ساهم في الكتابة في عدد من المجلات واليوميات المصرية كالمقتطف والأهرام التي بدأ الكتابة معها عام ١٩٠٩م، وأنهاها بجريدة الأخبار عام ١٩٣٢م، لينشئ دار سلامة للنشر والتوزيع يطبع فيها مؤلفاته(٢١).

الدنيا بعد ثلاثين عاماً

صدر هذا الكتاب عام ١٩٣٦م عن دار سلامة موسى للنشر والتوزيع بالقاهرة، وقد ضم تسعة عشر مقالاً للمؤلف نفسه، في مئة وخمس صفحات، وهي مجموعة مقالات منشورة في الصحف والمجلات المصرية: «كتب التكهنات»، و«سيطرة العلم القادمة»، و«التكهن عن مستقبل الزراعة»، و«مستقبل الزراعة أيضاً»، و«في التكهن الزراعي أيضاً»، و«مستقبل

الصحة»، و«المنزل القادم»، و«ملابسنا القادمة»، و«الفراغ القادم»، و«المدارس الجديدة»، و«أدبنا ولغتنا وهجاؤنا»، و«التثقيف القادم»، و«مستقبل الصحافة»، و«اللغة العالمية»، و«الزواج والأسرة»، و«اليوجينية وصحة السلالة»، و«تطور الحكومة»، و«السجون والجرائم»، و«عصبة الأمم والحرب»(٢١).

ومن خلال قراءتنا الكاملة لكل مقالات الكتاب أمكننا ـ بوضوح ودقة ـ تحديد الملامح العامة، والسمات الخاصة لفكر سلامة موسى وتصوره وموقفه وتطلعه وخطه وهدفه ومنهجه، الذي ينطلق ـ أساساً ـ من معاداته للشرق الإسلامي ولروحه ولدينه ولتاريخه، وينقم على تراثه وماضيه بكل أشكاله وصيغه النظرية والسلوكية والاجتماعية في مختلف المجالات.

بدا لنا سلامة موسى من خلال قراءتنا له حداثياً إلى أقصى حدود الحداثة، موغلاً في العصرنة إلى أبعد حدودها، يحاول الخروج من إطاره الزماني، والتنصل من حيثيات واقعه،

سلامة موسى: كلما ازدادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوربا زاد حبي لها وتعلقي بها

والتبرم من إطاره المكاني، والتبرؤ من ظروفه المحيطة به، والكفر بالشرق العربي الإسلامي الذي يعيش في وسطه.

ومن هيامه بالحداثة والعصرنة تطلع للعيش ـ عبر كتاباته وأدبه ـ متقدماً واقعه بثلاثين سنة، مما حدا به توقه للعصرنة، أن يعنون كتابه بعنوان موغل في الاستقبال، تطلع بتنبؤاته فيه لمستقبل لم يعشه، ومات قبله بعشر سنين، لا تجد فيه رضاه وقناعته على الشرق العربي، بل تلحظ فيه من غير كثير عناء التنصل منه زمانياً ومكانياً وكيانياً وواقعياً، والدعوة القوية والملحة للالتحاق بالغرب المتقدم والدخول معه في أوربا والخروج من آسيا، وتنسم روح الاستغراب حتى النهاية.

وأهم القضايا التي تناولها في كتابه هي:

الثورة على القديم

صب سلامة موسى جام غضبه على الحضارة العربية الإسلامية في عصورها المتقدمة، ونقم منها ومن أصحابها،

وكان يعد التطلع إلى الماضي ـ ولو على سبيل الاستلهام والتذكر ـ نوعاً من الهمجية والتخلف، حاثاً قراءه على فكرة التعجيل في انتظار المستقبل، والتشوق الزائد إلى حرق المراحل الآنية والواقعية للدخول في الغد المجهول المفعم ـ حسب رأيه ـ بالخير والتقدم والسعادة، غير آبه ألبتة بسنن التغيير والتحول، وبنواميس التطور والرقي، وبقوانين النمو الطبيعية المخبوءة في كنه الموجودات وجبلتها، إذ يقول: «.. وهو أن يكتب تاريخ المستقبل في حدود الظن الذي يقرب من الترجيح. وقد أكثرنا من قراءة التاريخ للعصور الماضية، فلماذا لا نقرأ التاريخ للعصر القادم، وخاصة القريبة منه ونعرف ما يحدث لنا وللعالم بعد نصف قرن مثلاً؟»(٢٢).

والمتبادر إلى ذهن القارئ أن سلامة موسى يدعوه ـ وهو يقرأ حقائق التاريخ العربي الإسلامي وأحداثه ـ إلى آفاق التطلع المستقبلي، وهو أمر مرغوب فيه حضارياً، إذا استوفى شروط قراءاته الحضارية له، ولكنه لا يدعوه إلى قراءته وفق مساره الحقيقي، بل يحثه بطرق الإيحاء والتأثير الأدبي واللغوي والفكري على التنصل التام منه، أو أن يشكل له خلفية تأسيسية لصناعته المستقبلية، وهذا هو الطرح المرفوض في فكر سلامة موسى.


مارون عبود

التطلع الحداثي المبتوت الأصال

جعل سلامة موسى الغرب المسيحي قبلته فكراً وروحاً وتصوراً وسلوكاً وتجربة فما تكاد تشيع نظرية في الغرب المسيحي، أو يعلو مبدأ وينتشر، أو يروج لمشروع تربوي أو تعليمي أو تكويني أو إعلامي أو اجتماعي، حتى يبادر مسرعاً إلى تبنيه والدعوة له، والترويج له بشتى الطرائق والوسائل والأساليب الأدبية والفكرية والإعلامية، غير آبه بشروط الصحة والمناعة والسلامة لهذا المشروع الغربي، الذي نشأ في ظل ظروف ومعطيات ومسلمات.. مغايرة للمجتمع الشرقي الذي يتمنى أن يتبناه ويطبقه، معتبراً ـ بشكل مسبق وابتدائي ـ أن أي مشروع يطرح ويقدم في الغرب محكوم عليه بداءة بالصحة والنجاح والفاعلية، بقطع النظر عن ظروفه وملابساته ودواعيه، منطلقاً من مبدئه الأساسي بتأليه أوربا والغرب المسيحي، هذا المبدأ الذي صرح به في كتابه «اليوم والغد» قائلاً: «.. فإني كلما ازدادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوربا زاد حبي وتعلقي بها، وزاد شعوري بأنها مني، وأنا منها. هذا هو مذهبي الذي أعمل له طوال حياتي سراً وجهراً، فأنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب..»(٢٣).

طبقت بلجيكا مثلاً مشروعاً تربوياً في مدارسها وضع أسسه

علماء التربية وعلم النفس الغربيون، وسرعان ما تحمّس سلامة موسى لنقله والتبشير والتعريف به في مصر، إذ عرضه في مقاله «المدارس الجديدة» مختصراً إياه في مجموعة من المبادئ والمكونات الأساسية بهدف تزيينه لجمهور القراء، حشد فيه مبادئه وقيمه الفلسفية والتربوية المادية، وبشر بداءة بنتائجه الرائعة ـ لو طبق في مصر والعالم العربي ـ وبتأثيراته الإيجابية المستقبلية في تطور الأجيال المتوثبة حضارياً ونموها في مصر والعالم العربي.

ويقوم هذا المشروع التربوي الحداثي على المبادئ المادية الآتية:

ـ ضرب النظام الأسري عموماً، وتقويض دعائم الخلية الاجتماعية الأولى كما بلورها الدين الإسلامي في تعاليمه الخاتمة، حيث كتب: «... المدارس الجديدة يجب أن تكون مدارس داخلية لكي تستغل الوسط كله فلا تترك بعضه يذهب جزافاً، وهي لا تفعل ذلك اعتقاداً أن النظام الداخلي للمدارس خير الأنظمة، إذ هي تعترف بأن وسط الأسرة الحسنة هو خير وسط للتربية، ولكنها ترى في الوقت الحاضر أن الأسرة الحسنة ليست متوافرة..»(٢٤)، فهو بظنه أن الأسرة الشرقية فاسدة، وغير موجودة أصلاً، ولذا يجب استبدال أسرته المدرسية الجديدة التي يدعو لها بها.

ولضرب هذا الصرح الفطري الأسري يقترح أسرة بديلة يراها مثالية عبر تمريره النموذج المدرسي المطبق في بلجيكا، إذ يقترح علينا شكل الأسرة الجديدة البديلة، التي: «.. يجب أن يعيش تلاميذها جماعات لا تزيد على عشرة أو اثني عشر تلميذاً في بيت أحد المعلمين وزوجته. بحيث يعاشر التلميذ الزوجين، فيجد الوسط البيتي أي وسط الأسرة، وهو وسط لا يعرف في المدارس الداخلية الآن لأنها تجمع التلاميذ فيما يشبه الثكنة العسكرية..»(٢٥).

ـ تهديم القيم والتعاليم الدينية: هذه الأسرة المدرسية الجديدة توفر للتلميذ والتلميذة مناخ الاختلاط بين الجنسين، تزول معه قيم الدين والفطرة الراسخة في الإنسان المسلم، فهي أسرة تعتمد على التآلف بين الجنسين منذ المراحل التعليمية الأولى، لتزول معها ـ بزعمه ـ الكثير من الأمراض والعقد النفسية، ولتحقق الكثير من المكاسب التربوية في الأجيال القادمة، هذه المدرسة التي من مقوماتها الأساسية: «...الاعتماد على التربية المشتركة، أي يقعد التلاميذ مع التلميذات في الدرس، ويشتركون في جميع الأعمال المدرسية، إذ وجد أن لهذا الاشتراك أثراً حسناً في الأخلاق والنشاط الذهني»(٢٦).

وبهذا الاختلاط المشين يسعى سلامة موسى إلى دفع الأجيال الشرقية إلى الاختلاط بين الجنسين دونما حواجز الفطرة التي فطر الله الناس عليها، بهدف تهديم القيم الدينية القابعة في قلوب الشرقيين.

ـ إشاعة روح الفوضى والتسيب القيمي والسلوكي: يدعو سلامة موسى صراحة المجتمع العربي المسلم إلى تربية أبنائه على قواعد النظام الاشتراكي الفوضوي المشاعي، بحيث يختلط بعضهم مع بعض في النزهات والرحلات، في مختلف أيام الأسبوع، ويقطعون في جولات الاختلاط هذه الليالي والأيام الآثمة، تحت أدبيات التربية والتكوين والتحرر والسلامة من العقد، وذلك ضماناً لتربيتهم الجديدة الفاضلة، إذ يرى أن: «خروج التلاميذ جماعات على الأقدام أو على البسكليتات، ومعهم خيامهم، يجب أن يعد ضمن التربية الحديثة، وعلى التلاميذ أن يقوموا بأنفسهم بتهيئة طعامهم»(٢٧).

ـ تحطيم صرح الأخلاق: استلهم موسى نظاماً أخلاقياً تتربى عليه الأجيال العربية من صميم فلسفته المادية، غير آبه بسنن التربية الإسلامية وقواعدها الربانية، وبطبيعة العلاقة الترابطية بين الأجيال السالفة واللاحقة بعضها ببعض، إذ راح يقدم تصوراته هو من خلال التجربة التربوية البلجيكية، وراح يقترح منظومة أخلاقية جديدة، يرى فيها أن: «.. تعليم الأخلاق يجب ألا يكون بقوة السلطة التي للمعلم، بل يجب أن يصدر من التلميذ، ويمرن التلميذ على أعمال تطالبه بالأخلاق. كأن تصبح المدرسة حكومة جمهورية على رأسها الناظر، ولها جمعية مؤلفة من التلاميذ والمعلمين، بل أحياناً يشترك معهم خدم المدرسة، وهؤلاء جميعاً يسنون القوانين لتنظيم الأعمال في المدرسة، وهذه الطريقة من أفعل الطرائق لتعليم الأخلاق»(٢٨).



قاسم أمين

ولكن القراءة النقدية الداخلية للنص تنبئنا أن سلامة موسى قد حشر الكثير من آرائه وتصوراته وأفكاره الإباحية في صميم التجربة التربوية البلجيكية، وأراد تمريرها من خلال عرضه لمشروعها التربوي، وعلى الرغم من تبشيره وتنبئه بالمستقبل الزاهر لهذه المدرسة، فإنها لم تؤت ثمارها في العالم الغربي نفسه إلى اليوم.

وهي الأفكار والآراء الاستغرابية نفسها التي سبق له أن طرحها في كتاباته السابقة، فقد كتب مدافعاً ومنبهاً عن القيم التربوية والتعليمية والثقافية العصرية: «.. أريد من التعليم أن يكون تعليماً أوربياً لا سلطان للدين عليه، ولا دخول له

فيه»(٢٩). وهكذا سائر مقالاته في كتابه الدنيا بعد ثلاثين عاماً.

ـ الدعوة إلى التحلل من القيم الإسلامية: لا يترك سلامة موسى أي فرصة تواتيه للنيل من الدين الإسلامي إلا استغلها، والمطلع على الكثير من مقالاته يجده قد بث فيها الكثير من سمومه للنيل من هذا الدين، ففي مقال كتبه عن مستقبل الزراعة في مصر استغل فرصة الحديث عن الزراعة والصناعة الزراعية التحويلية في مصر ليتهكم بالدين الإسلامي، بأسلوبه الماكر البالغ في التأثير، فقال في معرض حديثه عن زراعة الكروم وصناعة النبيذ: «وبعيداً جداً أن نظن أن صناعة النبيذ ستنتشر في الريف كما هي منتشرة في أوربا، حيث يصنع كل فلاح نبيذه بمنزله، وذلك لمخالفة هذه الصناعة للإسلام»(٣٠).

وقد سبق له أن صرح بازدرائه للدين الإسلامي في عدد من كتاباته السابقة؛ إذ عبر عن نجربته معه فقال: «كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي في الأدب كما أزاوله، فهي تتلخص في أنه يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلتحق بأوربا.. لماذا إذن لا نصطنع جميعنا الثقافة والحضارة الأوربية، ونخلع ما تقمصناه من ثياب آسيا»(٣١).

وهي الثقافة التي يجب أن نعرفها فقط لنحذرها ونتجنبها، «فالثقافة الشرقية يجب أن نعرفها لكي نتجنبها لما نرى من آثارها في الشرق: آثار العبودية والذل والتوكل على الآلهة»(٣٢).

ويذهب بعيداً في دعواه إلى محاولة علمنة الشرق الإسلامي، إذ العلمانية بزعمه منقذة الشرق من فوضاه التشريعية، ومخلصته من هيمنة الآلهة عليه: «فمن أهم النزعات العلمانية، بإطلاق المدارس والحكومات من القيود الدينية، لأن العلمانية نزعة أوربية تشمل جميع الأمم المتمدنة تقريباً»(٣٣).

ذهب بعيداً في دعواه إلى محاولة علمنة الشرق الإسلامي، إذ العلمانية بزعمه منقذة الشرق من فوضاه التشريعية



توماس كارليل

ـ ازدراء القيم الثقافية الإسلامية: أطلق سلامة موسى العنان لقلمه كي يعبث بالشريعة الإسلامية، ونصب نفسه مقام الله تعالى يشرع للناس، ويلتوي على شريعة الله يعاكسها، فنادى بمنع الطلاق وتحريمه، وبمنع تعدد الزوجات وإباحة الحرية الجنسية، حيث كتب عن نظام أسرته وتشريعه العلماني الجديد: «بحيث يعاقب بالسجن كل من يتزوج أكثر من امرأة، ويمنع الطلاق إلا بحكم محكمة»(٣٤).

وفي أثناء كتابته عن الملابس ودور القيم الثقافية في تحديد الأزياء والأنماط والأشكال الاجتماعية، كتب عن هذه القضية الاجتماعية الحساسة بكثير من البرودة والاستهزاء، محتكماً لمذهبه المادي في رسم المعايير والقيم التي تحكم الأزياء والملابس في المجتمع، ففي مقاله «ملابسنا القادمة» كتب عن حركة العري التي تسود العالم الغربي متمنياً أن تنتقل تلك الموجة التحررية للمجتمعات الشرقية المنغلقة، غير آبه بالقيم الثقافية الإسلامية المحددة لنوعية اللباس وشكله في المجتمع الإسلامي، عاداً موجة العري والتحلل القيمي إحدى سمات العالم الأوربي المتمدن، فـ: «حركة العري التي تطفو من وقت لآخر هي قمة الموجة التي تسير في أنحاء العالم المتمدن، فإن هذا العالم يعكس النظرية عن الملابس، ويطلب التخفف منها، وهذا التخفف يقوم على اعتبارات صحية وحياتية يبالغ فيها بعضهم فيصل بها إلى حد العري»(٣٥).

ثم ينحو باللائمة على القيم الثقافية الإسلامية التي كانت تعد الإكثار من الثياب ميزة للثراء والتمدن، من خلال تقديمه مثلين تراثيين: أحدهما عن أزياء مرحلة ما قبل الميلاد، وثانيهما عن الشاعر أبي الطيب المتنبي، «.. فقد كان الوقار والغنى يطلبان من رجال الطبقة العالية ونسائها الاستكثار من الملابس، كما يتضح من الرسوم القديمة التي ترى في المتحف الآن. والقصة المروية عن أبي الطيب المتنبي حين زار بغداد فكان يبدو لزائريه و هو في نحو عشرة أثواب متراكمة، تدلنا على أن الوقار كان يحسب بثقل اللباس، بل هناك من رجال الدين من كان يعزو الطيش إلى أولئك الذين يستغنون عن العمامة»(٣٦).

ثم يتابع مناقشة قضية العري من بوابتي الاستحسان والاستقباح العقليين الماديين، غير المستأنستين بقيم الوحي وهديه، فهي بالنسبة إليه ظاهرة مستقبحة غريزياً، وليس عقلياً أو خلقياً أو روحياً، فاستقباح ظاهرة العري ليس له علاقة عنده بالحشمة والحياء والأخلاق والدين، وأن الاستكثار من الثياب أو الانتقاص منها ليس له علاقة بالوقار والمهابة والمكانة، بمقدار ما له علاقة وطيدة بالغريزة الجنسية من جهة، وبالمواطن

القبيحة في جسد الإنسان، الواجب سترها ضماناً لفوران العواطف الجنسية في بني البشر، مصرحاً بآرائه الوقحة تلك: «ولكننا في عصرنا الحاضر قد قلبنا النظرية، لأننا نطلب التخفف من الملابس حتى حين نستقبح الدعوة إلى العري. وعندي أنه إذا كانت هذه الدعوة صائرة إلى الخيبة، فليس ذلك لأن العري ينافي الوقار أو الحياء، بل لأنه قبيح. ونحن لا نطيق أن نرى أجسام الناس بلا زينة تخفف من قبحهم، والملابس هي الزينة التي تستر كثيراً من القبح والدمامة والنقص والخلل في أعضاء الجسم»(٣٧).

ثم يفلسف ـ بحسب زعمه ـ انهزام حركة العري أمام مد الستر والحشمة إلى سبب غريزي فقط؛ لأن الحياء مفهوم اجتماعي مشترك قابل للتغير والتحول وفق العقد الاجتماعي بين أفراد المجتمع، كما أن له علاقة وطيدة بعالم العواطف الجنسية، وهي وحدها الكفيلة بتحديد أنماطه وأزيائه فقط، وقد أكد رأيه الشاذ ذلك بقوله: «ولن تنهزم حركة العري للحياء، لأن الحياء عادة يمكن أن تنقح أو تبدل. والحياء مشتق من الحيا، وهو لذلك قريب الاتصال بالعواطف الجنسية التي تحركها الملابس أكثر مما يحركها العري»(٣٨).

ثم يطالب أن تخرج فلسفة الأزياء والأنماط من تحكم دائرة الوقار والقبح والحشمة والأخلاق الدينية فيها إلى دائرة العلاقة بالفوران الجنسي للغريزة في الإنسان: «فليس هناك شك في أن الملابس تتصل بالعواطف الجنسية اتصالا وثيقاً، كما يتضح من الأزياء النسوية التي تبرز بعض الأعضاء وتخفي بعضها، وتجعل التأكيد في ناحية دون سائر النواحي من الجسم، فإذا كان وزن الملابس سيقل، فلن يكون ذلك لأن الناس سيقصدون إلى زيادة الإغراء الجنسي منها بل إلى نقصه.. وإذن لابد أن تبقى للملابس قيمتها الجنسية»(٣٩).

ويصل في النهاية إلى أن ظاهرة نقصان الثياب لن تتحكم فيه لا القيم، ولا العواطف الجنسية، بل التطور الاقتصادي والصناعي والصحي الذي سيكون عليه المجتمع والفرد الحداثي العصري في القرن الحادي والعشرين: «ولكن إذا كان سيحدث شيء من التطور للملابس؛ فلذلك سيعود في أكثره إلى اعتبارات صحية وصناعية، وليس إلى اعتبارات حيائية أو جنسية»(٤٠).

فؤاد زكريا



زكي نجيب محمود

وهكذا يسخر سلامة موسى من القيم الثقافية الإسلامية في عالم الملابس والأزياء التي هي في صميمها تعبير حقيقي وصادق عن العقيدة الإسلامية الكامنة في مشاعر أفراد المجتمع المسلم ووجدانهم وسلوكهم.

ـ الدعوة اللاتينية: لم يكتف سلامة موسى ـ وهو الكاتب الذي يستخدم اللغة العربية ـ بالدعوة صراحة إلى الاستغراب في كل شيء، بل دعا إلى أخطر قضية عرفتها الأمم الإسلامية غير العربية الواقعة تحت سيطرة الاستعمار، من تغيير أبجديتها الكتابية العربية إلى الأبجدية اللاتينية، كما هو شأن لغات الشعوب الإسلامية الآتية: (الهند، وتركيا، وشعوب الملايو، وسومطرة، وأواسط آسيا..)، بل عدّ سلامة اللغة العربية ووقوفها قوية في القرن التاسع عشر والعشرين ضرباً من ضروب التقليد والتخلف، وأن التقدم والحداثة ـ في نظره ـ يكمنان في ترك الأبجدية والنحو العربي واستعمال الأبجدية اللاتينية، وإلغاء قواعد النحو والصرف العربي بتاتا.

وراح يعرض لهذه القضية محللاً إياها وفق تخيلاته الخاصة وظنونه التي كان يعدها تلامذته وأساتذته ضرباً من الموضوعية والمنهجية والحداثة والمستقبلية، فقد كتب عن هذه القضية العلمية بظنه الذي كان يعده حداثة علمية عاداً الاستسلام للأبجدية اللاتينية أمراً لا مفر منه: «ولكني أظن أننا سوف نصطدم بعقبة الهجاء العربي، وأننا سنضطر إلى اتخاذ الخط اللاتيني راضين أو كارهين، وربما تكون العراق السباقة إلى اتخاذ هذا الخط، فهي تتحمل ضغط تركيا من الشمال وإيران من الجنوب، وكلتاهما قد انتهت إلى التفرنج بلا قيد ولا شرط»(٤١).

وقد خاب في تنبؤاته تلك فقد كشف العقد الأخير من القرن العشرين عكس ما توقعه أو دعا إليه بلغة الإرجاف والمرجفين، وكتب في هذه المسألة: «ونحن واهمون إذا كنا نعتقد أن إيران لا تنوي اتخاذ الخط اللاتيني؛ لأن القوة الجديدة التي تشعر بها، ومجاورتها لروسيا وتركيا، ستدفعانها إلى التفرنج بأقصى حدوده، ولا يطيق العراقيون هذا الضغط وهم سكوت، وأرجح الظن أنهم سيسبقون أقطار العالم العربي جميعها إلى اتخاذ الخط اللاتيني»(٤٢).

ويندفع بعدها لتقديم مسوغات قبول العالم العربي للتخلي عن أبجديته العربية واتخاذ الخط اللاتيني بإرادة التقدم

والعصرنة والمدنية والحضارة، فقد جاء في معرض تناوله لهذه المسألة قوله: «ولكن ما الذي يدعو العالم العربي إلى اتخاذ الخط اللاتيني؟ هو عموم الحضارة العصرية، فإن هذه الحضارة التي ولدت في أوربا - بل في إنجلترا - هي حضارة العلم والصناعة، وهي تنمو الآن في أنحاء العالم، وكل أمة تريد أن تتحضر يجب أن تتخذ من الثقافة العلمية أداة لرقيها الاجتماعي، وهذه الثقافة غير ممكنة في لغتنا كما تكتب الآن بالهجاء العربي»(٤٣).

ويضيف مسوغاً آخر يهاجم من خلاله اللغة العربية ويضعها في موضع العاجز عن استيعاب قيم المدنية المعاصرة.. ومفاهيمها ومسمياتها ومصطلحاتها، إذ يقول: «وهذه الثقافة غير ممكنة في لغتنا كما تكتب الآن بالهجاء العربي، فإننا نستطيع أن نعرب لفظة فنوغراف، ولكن جهلنا بتشريح الكلمة يضيع علينا معناها. مع أننا حين نقرؤها بالهجاء اللاتيني تتضح لنا أجزاؤها فنفهم مدلولها، وهكذا الشأن في جميع الألفاظ العلمية، التي لا يكفي أن تعرب كما هي في الأصل، بل يجب أن تقرأ بحروفها»(٤٤).

ويندفع بعدها لتقديم مسوغ الحاجز النفسي الذي يعترض طريق الشرقيين للتفرنج وخلع تراثهم وماضيهم وتاريخهم العربي الإسلامي، الذي سرعان ما يزول لأنه حتمي ومفروض عليهم، وبمجرد الدخول في عالم التفرنج تحصل المعجزة ويتقدم الشرق المتخلف بسرعة، لأن: «نزعة التفرنج التي سوف نسير إليها بقوة، ستجعلنا نتخذ القبعة ولا نعارض في اتخاذ هذا الخط، وجمودنا الحاضر عندما لا تطلبه وتدعو إليه جهات رجعية مختلفة تنتفع به، إنما هو ثمرة الخوف والتردد، وهما بالطبع زائلان قريباً، وبزوالهما لن نخشى مجابهة المستقبل كما جابهته إيران وتركيا»(٤٥)، وهكذا سائر كتاباته.

والمتتبع لمقالات كتابه «الدنيا بعد ثلاثين عاماً» لا يجد فيه إلا النقمة على الشرق والتبرم منه، والسخط على ثقافته وحضارته.. والشوق إلى الغرب، والدعوة إليه، والتبشير بحضارته.

المراجع والهوامش

١. انظر مثلاً:
- د. نجيب العقيقي. الاستشراق والمستشرقون. دار المعارف. القاهرة. دون طبعة وتاريخ.
- د. قاسم السامرائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية. منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع. الرياض. الطبعة الأولى. ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- نخبة من العلماء. الإسلام والمستشرقون. منشورات عالم المعرفة. جدة. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- أنور الجندي. سموم الاستشراق والمستشرقين. دار الشهاب. باتنة. الجزائر. دون طبعة وتاريخ.
- إدوارد سعيد. الاستشراق: المعرفة. السلطة. الإنشاء. ترجمة: كمال أبو ديب. مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت. الطبعة الثانية. ١٩٨٤م.

٢. انظر على سبيل المثال المستشرق البريطاني - المعتدل في نظر الكثير من الدارسين الشرقيين توماس كارليل في القرآن الكريم. فقد أورد الدكتور قاسم السامرائي في كتابه القيم «الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية» موقفه الحقيقي بعد قراءته لترجمة المستشرق الإنجليزي سيل للقرآن الكريم. فقد كتب: «إنني يجب أن أقول: إنني لم أعان قراءة متعبة كقراءته أبداً. مجموعة مشوشة مضطربة. فج. مضطرب: تكرار بلا نهاية. التواء طويل. تشابك فج جداً. مشوش. غباوة لا تحتمل»، وعوض أن يحمل نفسه مسؤولية قصوره وضعف فهمه للغته القوية. انطلق يتهجم عليه بمثل هذه الأحكام القاسية. التي يجب ألا تصدر من عالم يدعي الموضوعية والتجرد العلمي.
أما إعجابه بمحمد الذي تهاوى في نظره بعد قراءته للقرآن الكريم فقد كان مجرد إعجاب برجل مصلح كمارتن لوثر في إصلاحه للنظام الكنسي.
- انظر د. قاسم السامرائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية. ص١٨.

٣. المرجع السابق. ص١٠٧.

٤. المرجع السابق. ص١٠٨. ود. محمود حمدي زقزوق. الإسلام والاستشراق. ضمن مؤلف مشترك الإسلام والمستشرقون. ص٧٢- وخليق أحمد النظامي. عهود متعددة لأفكار المستشرقين ونظرياتهم. ص١١٢.
- نخبة من العلماء. الإسلام والمستشرقون.

٥. خليق أحمد النظامي. عهود متعددة لأفكار المستشرقين ونظرياتهم. ضمن مؤلف مشترك الإسلام والمستشرقون. ص١٠٣.
- نخبة من العلماء. الإسلام والمستشرقون. منشورات عالم المعرفة. جدة. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٦. أبو الحسن الندوي. الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين. ضمن مؤلف مشترك الإسلام والمستشرقون. ص١٦.
- نخبة من العلماء. الإسلام والمستشرقون.

٧. د. محمود حمدي زقزوق. الإسلام والاستشراق. ضمن مؤلف مشترك الإسلام والمستشرقون. ص٨٢- خليق أحمد النظامي. عهود متعددة لأفكار المستشرقين ونظرياتهم. ص١١٣.
- نخبة من العلماء. الإسلام والمستشرقون.

٨. محمد علوي المالكي الحسني. المستشرقون بين الإنصاف والعصبية. ص١٥٩.. ضمن مؤلف مشترك الإسلام والمستشرقون.
- نخبة من العلماء. الإسلام والمستشرقون.

٩. د. نجيب العقيقي. الاستشراق والمستشرقون. دار المعارف. القاهرة. دون طبعة وتاريخ.

١٠. أنور الجندي. سموم الاستشراق والمستشرقين.

١١. د. قاسم السامرائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية. ص١٨ وما بعدها.

١٢. سلامة موسى. ما هي النهضة. دار موفم للنشر. الجزائر. الطبعة الثانية ١٩٩٠م. ص٣.

١٣، ١٤. المرجع نفسه. ص ٣، ٤.

١٥، ١٦. المرجع نفسه. ص٦.

١٧. سلامة موسى. ما هي النهضة. ١٩٩٠م. ص٣. مقدمة الناشر.

١٨. المرجع نفسه. ص٣.

١٩. المرجع نفسه. ص٣، ٤.

٢٠. المرجع نفسه. ص٤، ٥، ٩.

٢١. انظر محتويات كتاب سلامة موسى: الدنيا بعد ثلاثين عاماً. دار سلامة موسى للنشر والتوزيع. القاهرة. الطبعة الثانية، ١٩٦٦م.

٢٢. سلامة موسى. الدنيا بعد ثلاثين عاماً. مقال: كتاب التكهنات. ص ١٠.

٢٣. سلامة موسى. اليوم والغد. دار سلامة موسى للنشر والتوزيع. القاهرة. الطبعة الأولى. ١٩٤٦م. ص٧.

٢٤. سلامة موسى. الدنيا بعد ثلاثين عاماً. مقال: المدارس الجديدة. ص٦٠.

٢٥. المرجع نفسه. ص٦٠.

٢٦، ٢٧. المرجع نفسه. ص٦١.

٢٨. المرجع نفسه. ص٦٣.

٢٩. سلامة موسى. اليوم والغد. ص٨.

٣٠. سلامة موسى. الدنيا بعد ثلاثين عاماً. مقال: التكهن عن مستقبل الزراعة. ص١٩.

٣١. سلامة موسى. اليوم والغد. ص٧، ٨.

٣٢. المرجع نفسه. ص٨، ٩.

٣٣. المرجع نفسه. ص١٢.

٣٤. المرجع نفسه. ص٨.

٣٥. سلامة موسى. الدنيا بعد ثلاثين عاماً. مقال: ملابسنا القادمة. ص٤٧.

٣٦. المرجع نفسه. ص٤٧، ٤٨.

٣٧، ٣٨. المرجع نفسه. ص٤٨.

٣٩. المرجع نفسه. ص٤٨، ٤٩.

٤٠. المرجع نفسه. ص٤٩.

٤١. المرجع نفسه. ص٦٨.

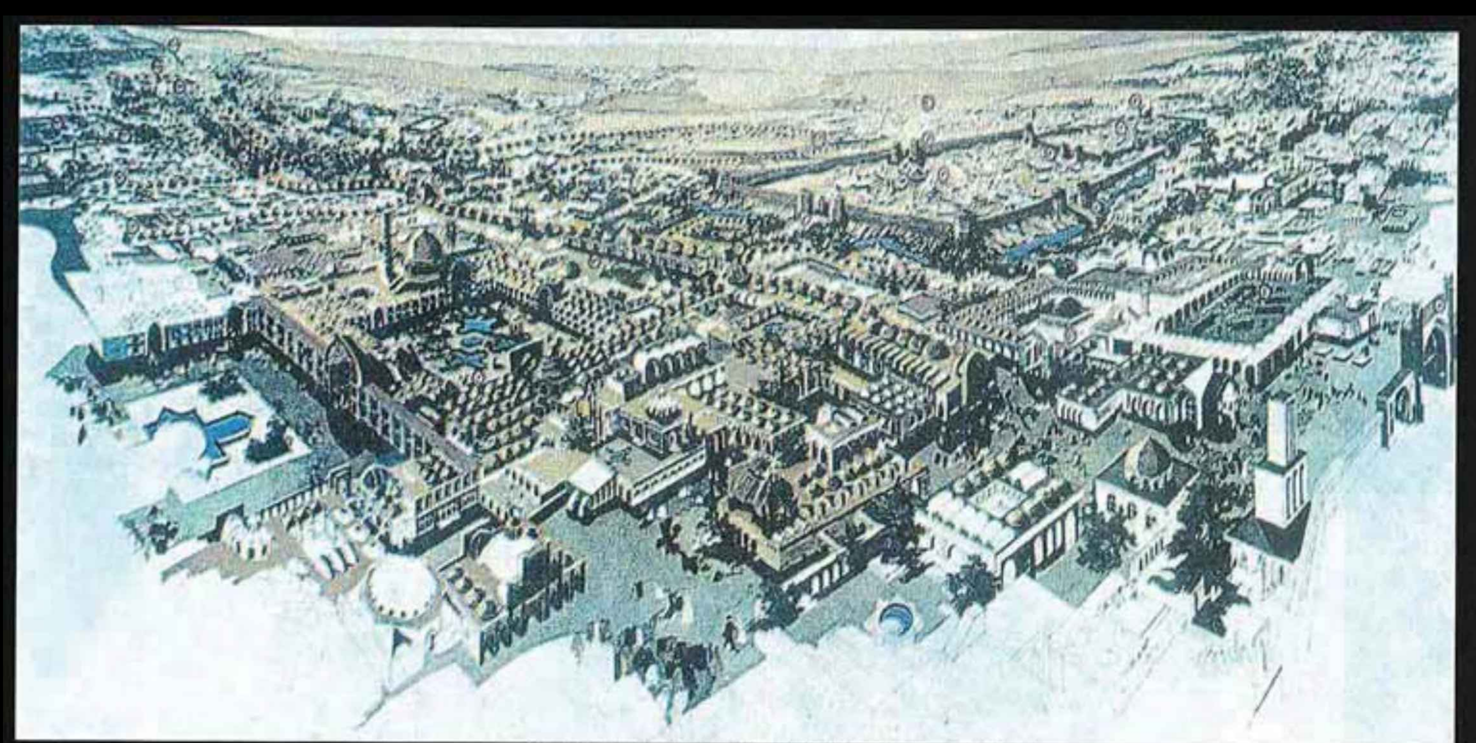
٤٢. المرجع نفسه. ص٦٨.

٤٣، ٤٤، ٤٥. المرجع نفسه. ص٦٩.



نيسابور مدينة السحاب

صادق العبادي
طهران - إيران



إعادة رسم المدينة القديمة بناءً على المعلومات القديمة

عندما استقر الإسلام في الجزيرة العربية، بدأت الفتوحات الإسلامية بالاتجاهات الأربعة. وكانت بلاد خراسان من المناطق الأولى التي وصل إليها المسلمون في صدر الإسلام، ولكونها كانت على طريق الحرير، الطريق الدولي المهم في ذلك اليوم، فقد أصبحت نيسابور أهم مدينة في خراسان، ومركزًا للمسلمين خلال عدة قرون. في هذا التحقيق سنقوم باستعراض تاريخ نيسابور القديمة، علمائها، وشعرائها، وآثارها، ومن ثم معالمها المعاصرة اليوم.

صادق العبادي

ليس هناك مطلع على التاريخ الإسلامي ولم يسمع عن نيسابور، فهي حاضرة في كل تاريخ وعلم ومتحف، وليس هناك تاريخ إسلامي أو علمي إلا ولنيسابور حضور فيه، كيف هي الآن؟ وأين ذلك الماضي العريق؟ وكيف دفنت هذه المدينة تحت الأرض، وأصبحت متحفاً كبيراً تحمل في طياتها العبر والتاريخ؟ ففي كل جزء منها هناك أطلال وآثار من بناء، وصحون من خزف، وشاهدة قبر تدل على تاريخها العظيم.

نيسابور جزء من تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية، وزيارة نيسابور تذكرنا بذلك الجزء المهم من تاريخنا.

إنها عصارة التاريخ الإسلامي في إيران. هكذا يعرفها الباحث الإيراني شفيع كدكني. فليس هناك مدينة تحمل العبر والذكريات كنيسابور، وهذا الكلام يدركه أصحاب البحث والتحقيق والمعرفة.

لقد كانت نيسابور مدينة مهمة حتى قبل الإسلام، وكان فيها أحد معابد النار الثلاثة للزرادشت، وفي العصر الإسلامي كانت أول عاصمة إسلامية في إيران في عهد الصفاريين، وعندما حكمها عمرو بن الصفار قال في حقها: حكمت مدينة زهورها نرگل، ونباتها الرواند (الريباس)، وأحجارها الفيروز.

وفي عصر السامانيين والغزنويين كانت المدينة الثانية في أهميتها بعد العاصمة، وحسب مؤلف تاريخ البيهقي (ت ٥٦٥هـ) فإن أهل نيسابور ساهموا في صعود السلاجقة إلى الحكم، فقد توج طغرل نفسه في هذه المدينة، وأعلنها عاصمة له.

نيسابور قبل الإسلام

حسب تاريخ نيسابور لأبي عبدالله الحاكم، إن أول من بناها أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام. وهذا يعني أنها ضاربة في القدم، وحسب المصادر القديمة الإيرانية أن بانيها هو شابور الأول ابن مؤسس السلسلة الساسانية في القرن الرابع الميلادي. ويبدو أنها كانت منذ القدم، وذلك لوقوعها على طريق الحرير، وملتقى طرق التجارة، ولكونها محلاً تكثر فيه المياه والأمطار بسبب جبالها الشاهقة، وأراضيها الخصبة.

أما تسميتها بنيسابور فإنها جاءت من كلمة فارسية قديمة هي «نيو شاه بور» أي العمل الجيد للشاه. وتنسب إلى عمل شابور الثاني الذي جدد بناء المدينة في القرن الرابع الميلادي، وسماها المسلمون بـ «نيسابور» بتبديل الشين سيناً. وكانت في العصر الأموي والعباسي تسمى بـ «أبر شهر» أي مدينة السحاب، لكثرة سحابها وأمطارها، حتى إن مسكوكات هذه الفترة جاءت بهذه التسمية. وفي «أحسن التقاسيم»، ذكرها المقدسي باسم «إيران شهر» أي بلاد إيران، ويبدو أنها كانت تسمية رسمية فقط.

الفتح الإسلامي لنيسابور

فتح المسلمون نيسابور سنة ٢٩ للهجرة بقيادة عبدالله بن عامر، فقد قصدها من البصرة متجهاً إلى فارس وإصطخر، ثم إلى خراسان عبر نيسابور وطوس وسرخس، وأخيراً مرو(١).



أطلال شه مير التاريخية - من آثار نيسابور القديمة



أطلال ترب آباد التاريخية القديمة



منظر جوي لنيسابور القديمة

وأهمية نيسابور تأتي من أنها كانت جزءاً مهماً من خراسان.

وخراسان في الفارسية القديمة تعني «أرض الشرق»، وكانت تطلق قديماً على الولايات الإسلامية الواقعة شرق صحراء لوط، حتى شمال الهند، بما فيها بلاد ما وراء النهر. وكانت تحدها شرقاً في آسيا الوسطى صحارى الصين وبامير، وجنوبا جبال الهند؛ ولكن بمرور الزمان تقلصت هذه المساحة. وكانت خراسان، على عصر الحكومات الإسلامية العربية، تقسم أربعة أرباع، وكل ربع تسمى باسم المدينة التي يستقر فيها كرسي الإمارة وهي: نيسابور، ومرو، وهرات، وبلخ. ففي الفتح الإسلامي الأول كان كرسي الخلافة لخراسان قائماً في مرو وبلخ، ولكن بعد أن جاء الطاهريون نقلوا مقر الإمارة إلى جهة الغرب، وجعلوا نيسابور التي كانت أهم مدينة في غرب خراسان مركزاً لإمارتهم(٢).

الصحابة في نيسابور

من الصحابة الذين مروا بخراسان ونيسابور حسب رواية الحاكم النيسابوري العباس بن عبدالمطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم عندما ذهب إليها للتجارة، وبريدة بن حصيب بن عبدالله الأسلمي وكان من الصحابة الذين بعثهم الرسول إلى خراسان، ودفن بمرو. والصحابي الحكم بن عمرو الغفاري الذي عين عاملاً على خراسان، وكذلك أخوه عطية بن عمرو الغفاري، والصحابي عامر بن سليم الأسلمي حامل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض المغازي ذهب إلى نيسابور وتوفي بها، وعثمان بن أبي العاصي الثقفي.

وقثم بن عباس بن عبدالمطلب، وقد عدّ الحاكم ثمانية وعشرين صحابياً وردوا نيسابور(٣).

ويضم تراب نيسابور قبر الكثير من الصحابة والفقهاء والزهاد والمحدثين والتابعين وأتباع التابعين.. وقد عدّ الحاكم النيسابوري كثيراً منهم، فقد دفن فيها نصر بن زياد القاضي، وهمام بن زيد، وعامر بن مسلم الأسلمي، وأبو برزة عبدالله الأسلمي، وعفان بن حبيب، وسعد بن حريث، وعبدالله بن خازم السلمي وآخرون.

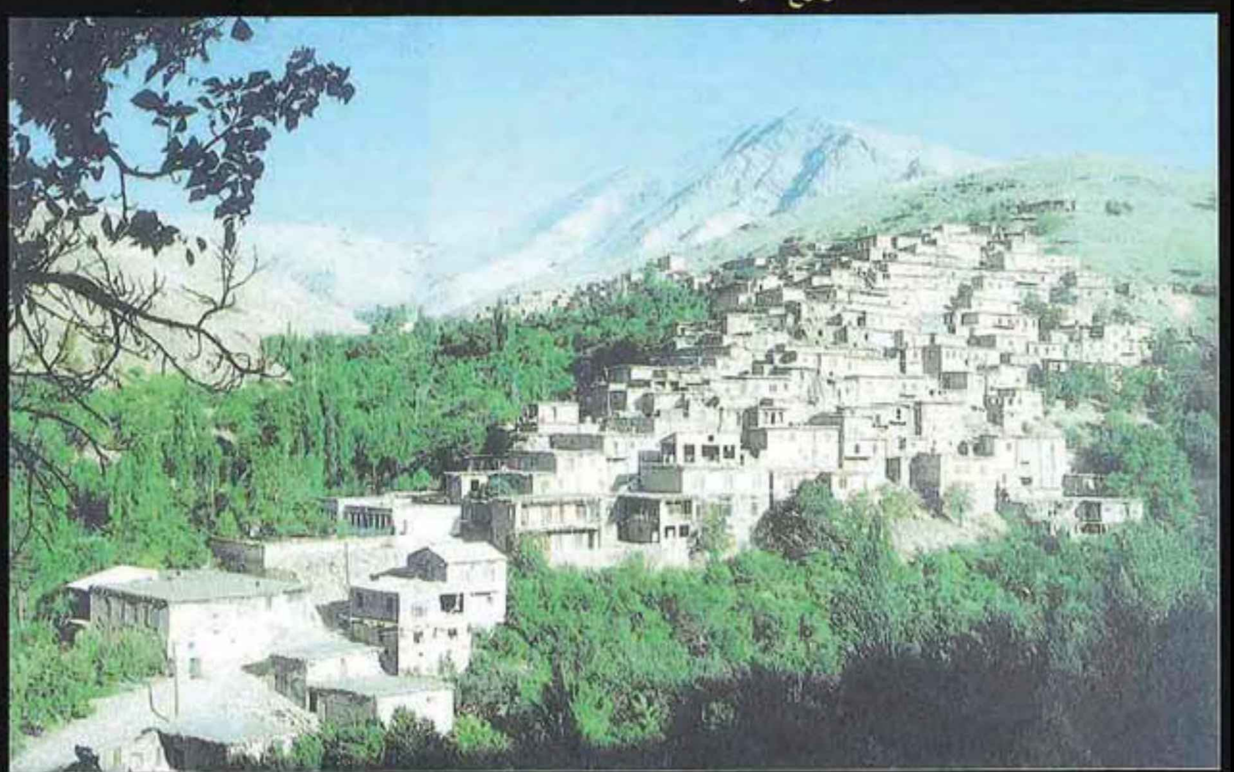
ومن أهم المراجع عن تاريخ الإسلام في نيسابور هو كتاب «تاريخ نيسابور» لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري (٣٢١-٤٠٥هـ). ويبدو أن أصل هذا الكتاب مفقود، وقد جاء ذكره في أكثر كتب الرجال والتاريخ، ولقد شمل كتاب الحاكم فضائل خراسان ونيسابور، ثم الصحابة الذين زاروها أو أقاموا فيها، ثم الأتباع، وأتباع الأتباع، وذكر علماء نيسابور على مختلف طبقاتهم. وقد ذكر فيه نحو ٢٩٠٠ من رجال نيسابور الذين أقاموا فيها. وقد نشر المحقق محمد رضا شفيعي كدكني أخيراً كتاباً باسم «تاريخ نيسابور»(٤) ترجمة بالفارسية لأصل الكتاب قام به محمد بن حسين خليفة النيسابوري، تلميذ الحاكم النيسابوري، وقد قام المترجم بالاحتفاظ بالأسماء، وحذف ما ورد في الكتاب الأصلي من أحاديث وأشعار وأمور متفرقة أخرى، والكتاب يسد فراغاً كبيراً في هذا المجال.

نيسابور القديمة

قديماً كانت نيسابور مدينة عامرة دمرتها الحروب والزلازل والأحداث السياسية



أحد الشوارع الحديثة



إحدى قرى نيسابور

مدينة الفضائل

نَيْسَابُور: بفتح أوله، والعامة يسمونه نَشَاوُور: وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء ومنبع العلماء، لم أرَ فيما طوّفتُ من البلاد مدينة كانت مثلها.

واختُلف في تسميتها بهذا الاسم فقال بعضهم: إنما سميت بذلك لأن سابور مرّ بها وفيها قصب كثير فقال: يصلح أن يكون ههنا مدينة، فقيل لها نيْسابور، وقيل في تسمية نيسابور وسابور خواست وجنديسابور: إن سابور لما فقدوه حين خرج من مملكته لقول المنجمين، كما ذكرناه في «منارة الحوافر»، خرج أصحابه يطلبونه، فبلغوا نيسابور فلم يجدوه، فقالوا: نيست سابور أي ليس سابور، فرجعوا حتى وقعوا إلى سابور خواست فقيل لهم: ما تريدون؟ فقالوا: سابور خواست، معناه سابور نطلب، ثم وقعوا إلى جنديسابور فقالوا: وند سابور أي وُجد سابور، ومن أسماء نيسابور أبْرَشَهْر وبعضهم يقول: إيرانشهر، والصحيح أن إيرانشهر هي ما بين جيحون إلى القادسية.

وكان المسلمون قد فتحوها في أيام عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وفتحها الأمير عبدالله بن عامر بن كُرَيْز في سنة ٣١هـ صلحاً، وبنى بها جامعاً، وقيل: إنها فتحت في أيام عمر، رضي الله عنه، على يد الأحنف بن قيس، وإنما انتقضت في أيام عثمان، فأرسل إليها عبدالله بن عامر ففتحها ثانية، وأصابها الغُزُّ في سنة ٥٤٨هـ بمصيبة عظيمة حيث أسروا الملك سَنْجَر وملكوا أكثر خراسان، وقدموا نيسابور، وقتلوا كل من وجدوا، واستصفوا أموالهم حتى لم يبق فيها من يعرف، وخرّبوها وأحرقوها، ثم اختلفوا فهلكوا، واستولى عليها المؤيد أحد مماليك سنجر فنقل الناس إلى محلة منها يقال لها شاذياخ، وعمّرها وسوّرها وتقلّبت بها أحوال حتى عادت أعمر بلاد الله وأحسنها، وأكثرها خيراً وأهلاً وأموالاً؛ لأنها دهليز المشرق، ولا بدّ للقفول من وُرودها، وبقيت على ذلك إلى سنة ٦١٨هـ خرج من وراء النهر الكفار من الترك المسمون بالتتر، واستولوا على بلاد خراسان، وهرب منهم محمد بن تكش بن ألب أرسلان خوارزم شاه، وكان سلطان المشرق كله إلى باب همذان، وتبعوه حتى أفضى به الأمر إلى أن مات طريداً بطبرستان في قصة طويلة، واجتمع أكثر أهل خراسان والغرباء بنيسابور وحصنوها بجهدهم، فنزل عليها قوم من هؤلاء الكفار فامتنعت عليهم، ثم خرج مقدّم الكفار يوماً ودنا من السور فرشقه رجل من نيسابور بسهم فقتله، فجرّى الأتراك خيولهم وانصرفوا إلى ملكهم الأعظم الذي يقال له جنكزخان، فجاء بنفسه حتى نزل عليها، وكان المقتول زوج ابنته، فنازلها وجدّ في قتال من بها، فزعم قوم أن علوياً كان متقدماً على أحد أبوابها راسل الكفار يستلزمُ منهم على تسليم البلد، ويشرط عليهم أنهم إذا فتحوه جعلوه متقدماً فيه، فأجابوه إلى ذلك ففتح لهم الباب، وأدخلهم، فأول من قتلوا العلويّ ومن معه، وقيل: بل نصبوا عليها المناجيق وغيرها حتى أخذوها عنوة، ودخلوا إليها دخول حَنِق بطلب النفس والمال، فقتلوا كل من كان فيها من كبير وصغير وامرأة وصبيّ، ثم خرّبوها حتى ألحقوها بالأرض، وجمعوا عليها جموع الرستاق حتى حفروها لاستخراج الدفائن، فبلغني أنه لم يبق بها حائطٌ قائمٌ، وتركوها ومضوا، فجاء قوم من قبل خوارزم شاه، فأقاموا بها يسبرون الدفائن، فأذهبوها مرّة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما دهى الإسلام قط مثلها.

[معجم البلدان لياقوت الحموي ..بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٥٧م، المجلد الخامس، ص ٣٣١-٣٣٣].

والضيعية عدة مرات، والمدينة الفعلية اليوم قائمة على بعد ٦ ـ ٨ كم غرب نيسابور القديمة. ونرى من خلال صور أنقاض المدينة القديمة، تلال نيسابور القديمة وأطلالها (تلال تربت آباد) أو حسب تسميتها المحلية تلال هولاكو وألب أرسلان من الآثار الباقية للمدينة القديمة.

وقد قامت بعثات أجنبية وإيرانية بالبحث في هذه التلال، واكتشفوا آثاراً من الخزف والمصنوعات والأواني والمسكوكات، واكتشف بعض علماء الآثار آثاراً مملوءة بالأواني والأتربة القديمة من القرون الهجرية الأولى.

اكتشاف الخزف النيسابوري

في الأعوام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨م قامت بعثة أمريكية من متحف المتروبوليتان في نيويورك، باكتشاف مجموعة من الأواني الخزفية في أنقاض مدينة نيسابور القديمة، وتوقفت هذه البعثة عن التنقيب في الحرب العالمية الثانية. ولكن فرقة إيرانية من دائرة الآثار استمرت فاكتشفوا مجموعة أخرى من هذه الأواني الخزفية. وقد قام متحف رضا عباسي بطهران بطباعة كتاب يحتوي على ١٤٠ قطعة من الخزف من القرنين ٣ و ٤ الهجريين موجودة في متحف إيران أو المتاحف العالمية بنيويورك ولندن وكوبنهاغن. والغريب أن جميع هذه الأواني مكتوب عليها أحاديث نبوية، وكلام للإمام علي بن أبي طالب، وأمثال عربية بالخط الكوفي العربي(٥).

القنوات المائية

وتعد نيسابور من أفضل المناطق الزراعية وأطيبها من حيث الهواء

والطبيعة، وبالإضافة إلى الأنهار كان فيها آلاف القنوات المائية تحت الأرض.

وكانت منذ القدم تلك القنوات التي يستعملها المزارعون لري الأراضي، ويكتب المؤرخون أنه كان فيها اثنا عشر ألف قناة ماء، وهذه القنوات هي نظام ري يمكن بواسطته إيصال الماء من المناطق المرتفعة إلى المناطق المنخفضة عبر سلسلة من الآبار التي يرتبط بعضها ببعض بحيث يصل الماء من جوف الأرض إلى سطحها، أما اليوم ففيها ١٤٠٠ بئر عميقة و٧٠٠ قناة مما جعلها منطقة زراعية غنية.

نيسابور مركز العلم والمدارس

لقد تحولت نيسابور بعد انتشار الإسلام مركزاً مهماً من المراكز العلمية والجامعية، فقد ذكر الباحث ناجي علي في دراسة عن مدارس ما قبل النظامية أن ٢٧ مدرسة إسلامية من أصل ٣٣ مدرسة إسلامية كانت عامرة في ذلك التاريخ كانت في نيسابور(٦).

نظامية نيسابور

اشتهرت نيسابور بسبب قدمها، ومكانتها العلمية بدار العلم، وأدت دوراً كبيراً في تربية الفقهاء، والعلماء والمحدثين. وكانت، قبل أن يغزوها الأتراك والمغول، مركزاً علمياً يفوق بغداد لكثرة علمائها. تنقل كتب التاريخ أن علماء نيسابور خلال القرون الأربعة الأولى زادت على أربعة آلاف عالم من أعلام الحديث والفقه والعلوم الإسلامية، نصفهم من أهل نيسابور، ونصفهم ممن هاجر إليها من سبعين بلداً إسلامياً، وأصبح علماً من أعلامها. استقلت خراسان ونيسابور عن الخلافة المركزية في عهد الطاهريين، ثم توسعت في عهد السامانيين، وأخذت مكانتها العلمية في عهد السلاجقة الذين حولوا المدينة إلى مركز سياسي وثقافي وتجاري.

وينقل ناصر خسرو في السفرنامة: أنه شاهد بناء مدرسة النظامية سنة ٤٣٧هـ على عهد طغرل بك.



المسجد الجامع

لقد تأسست نظامية نيسابور على عهد السلاجقة، قبل المدارس النظامية الأخرى في بغداد وطبرستان والموصل وبلخ ومرو وأصفهان وكثير من عواصم العالم الإسلامي. لقد أسس الوزير خواجه نظام الملك في عهد الأمير ألب أرسلان نظامية نيسابور، وعين إمام الحرمين الجويني رئيساً ومدرساً لها(٧).

وإضافة إلى نظامية نيسابور بنى نظام الملك مشفى كبيراً، ومرصداً للنجوم أضاف إلى المدينة زيادة على رصيدها العلمي(٨). ولذلك أصبحت في تلك الفترة محط رحال العلم والفقهاء كالإمام الموفق النيسابوري، والحكيم عمر الخيام (ت ٥٢٧هـ)، وإمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨هـ)، والإمام محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، والإمام أحمد الغزالي (ت ٥٢٠هـ)، والإمام محمد بن يحيى



مقام الفضل بن شاذان



ضريح سعيد بن سلام المغربي



إحدى الساحات في الليل

النيسابوري (ت ٥٤٨هـ)، وفريد الدين العطار (ت ٥٨٦هـ) الذين عاشوا في الفترة ما بين حكومة السلاجقة وهجوم المغول.

الآثار التاريخية

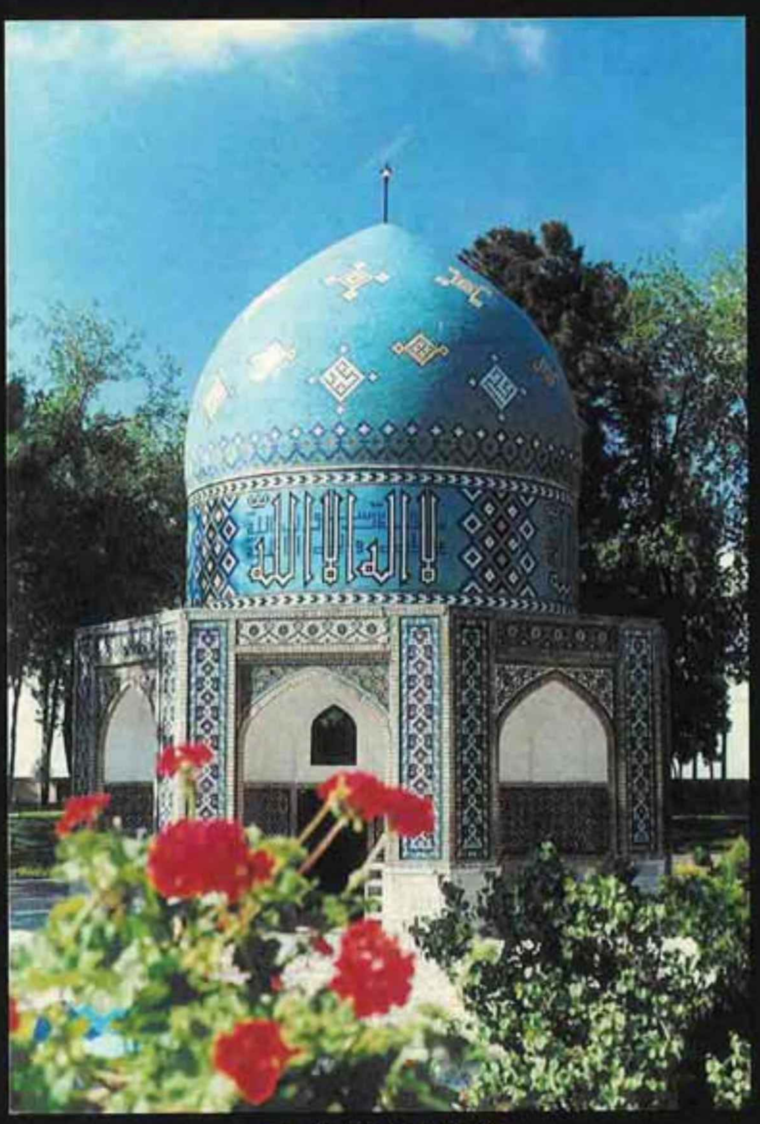
تكثر اليوم في نيسابور الآثار والمقابر التاريخية، فهناك مقبرة الفضل بن شاذان ابن خليل الأزدي (ت ٢٦٠هـ) الفقيه والمحدث الإمامي، وكان من كبار علماء الكلام، ووقف أمام الفرق والتيارات المغالية الشيعية كالباطنية والقرامطة والكرامية، وصنف أكثر من ١٨٠ كتابًا ورسالة. من كتبه: الرد على ابن كرام، والإيمان، ومحنة الإسلام، والتوحيد، والرد على الباطنية والقرامطة، عندما جاء علي بن موسى الرضا قاصدًا خراسان إلى نيسابور منه منفى للهجرة، عندما دعاه هارون الرشيد لولاية العهد في خراسان، كان الفضل بن شاذان معه فبقي في نيسابور. وقبره في الجنوب الشرقي من نيسابور في بستان كبير.

ومن المراقد المشهورة مرقد الإمام محمد المحروق من أبناء زيد بن علي بن الحسين. وفي مقابر هذه المنطقة يرقد آلاف العلماء والمحدثين والشخصيات، فيما يرقد الفتال النيسابوري صاحب روضة الواعظين، ومسلم ابن حجاج النيسابوري صاحب صحيح مسلم، وأبو القاسم القشيري صاحب الرسالة القشيرية.

الشاعر عمر الخيام

ومن معالم المدينة اليوم وعلى بعد ٦كم شرق المدينة مقبرة الشاعر والحكيم والمنجم عمر الخيام النيسابوري قضى أكثر حياته في مدينة نيسابور بعد أن سافر إلى بلخ وبغداد وأصفهان ومكة.

والرباعيات من ابتكار الشعراء الفرس، وعلى رأسهم عمر الخيام، وهو نوع من الشعر يتكون من أربعة مصاريع يعبر فيها الشاعر عن


مقام الشاعر العطار النيسابوري

فكرة كاملة في بيتين بدل قصيدة طويلة. في كل رباعية وحدة عضوية مستقلة عما قبلها وعما بعدها في المعنى.

وكان عمر الخيام معروفًا في إيران بأنه فلكيّ وطبيب ورياضي قبل أن يكون معروفًا بشعره حتى ترجم المستشرق فيتزجرالد رباعياته إلى الإنجليزية، ووجدت رواجًا كبيرًا في الغرب مما دفع الإيرانيين إلى الاهتمام بالخيام بوصفه شاعرًا من الطراز الأول؛ والسبب أن الخيام كان غير مهتم بأن يعرف نفسه شاعرًا، والكتب القديمة ذكرت أنه فيلسوف ورياضي ومنجم(٩).

عاش الخيام في أواخر القرن الخامس، واتصل بالملك شاه ملك الدولة السلجوقية ووزيره نظام الملك صاحب كتاب «سياستنامه»، وشارك في وضع التقويم الجلالي، وهو تقويم إيراني يجعل من بداية السنة هو يوم النيروز الذي يقابل الاعتدال الربيعي (٢١ مارس/آذار) من كل عام، وقد تجاوز به خطأ التقويم الجريجوري بوضع السنة الكبيسة.

وقد خلت رباعياته من المديح والتملق والرياء للملوك والوزراء، وكان ينظم الشعر بالعربية والفارسية، وقد ترجم كثيرٌ من أدباء العرب رباعيات الخيام(١٠) إلى العربية، وترجمت إلى كثير من لغات العالم الحية.

شعراء نيسابور

وكانت المدينة ملتقًى لكثير من الشعراء، ومنهم محمد بن أسلم بن زيد الكندي الذي توفي بنيسابور، ودفن بجوار إسحق بن راهويه في مقبرة شاد باخ، وقد اشتهرت عنه هذه الأبيات الحكمية التي تقول:

إن الطبيب بطبه ودوائه ... لا يستطيع دفاع مقدور أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي ... قد كان يبري مثله فيما مضى
هلك المداوي والمداوى والذي ... جلب الدواء وباعه ومن اشترى

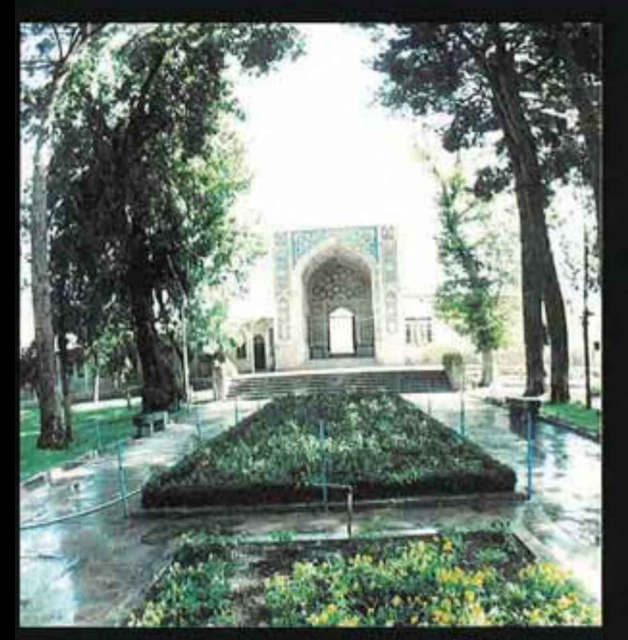
العطار النيسابوري

من معالم المدينة توجد مقبرة الشيخ أبي حامد فريد الدين العطار النيسابوري (ت ٥٨٦هـ) شرق نيسابور باتجاه خراسان في وسط بستان جميل تم ترميمه قبل سنوات بواسطة دائرة الآثار.

ولد العطار النيسابوري في نيسابور وبعد سفره إلى مكة والعراق وما وراء النهر استقر في نيسابور، ومات ودفن فيها على عهد المغول، وله دواوين في الشعر منها: منطق الطير، وتذكرة الأولياء، وإلهي نامه.

سعيد بن سلام المغربي

ومن كبار العلماء المدفونين في نيسابور الذين صاحبوا ابن الكاتب والحبيب المغربي، وأبا عمر الزجاجي. هو أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي (ت ٣٧٣هـ)، أصله من القيروان بتونس، وأقام في مكة مدة من الزمن ثم انتقل إلى نيسابور. عمّر طويلًا، وعاش ١٣٠ عامًا.





ضريح عمر الخيام وتمثال له

سابور الطيّب

خراسان في الفارسية القديمة، معناها «البلاد الشرقية». وكان إقليم خراسان في أيام العرب، أي في القرون الوسطى، ينقسم إلى أربعة أرباع، نسب كل ربع إلى إحدى المدن الأربع الكبرى التي كانت في أوقات مختلفة، عواصم للإقليم بصورة منفردة أو مجتمعة، وهذه المدن هي: نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ. وبعد الفتح الإسلامي الأول، كانت عاصمتا خراسان في مرو وفي بلخ. إلا أن الأمراء الطاهريين، نقلوا دار الإمارة إلى ناحية الغرب فجعلوا نيسابور في أيامهم عاصمة الإقليم، وهي أيضا أكبر مدينة في أقصى الأرباع غرباً.

وفي الفارسية الحديثة يلفظ اسمها: نيشابور. وهي في العربية: نيسابور. وهو مشتق من نيوشاه بور في الفارسية القديمة، ومعناه: «شيء أو عمل أو موضع سابور الطيب». وإنما سميت المدينة بذلك، نسبة إلى الملك سابور الثاني الساساني الذي جدّد بناءها في المئة الرابعة للميلاد، إذ إن مؤسس نيسابور كان سابور الأول بن أردشير بابكان.

وفي صدر العهد الإسلامي، كان يقال أيضًا لنيسابور: أبرشهر، ومعناه: مدينة الغيم في الفارسية. وبهذه التسمية ظهرت في الدراهم القديمة التي ضربها فيها الخلفاء الأمويون والعباسيون. وسماها المقدسي وغيره باسم ايرانشهر - أي مدينة إيران - أيضا. ولكن هذا الاسم ربما لم يكن غير اسم رسمي ولقب شرف لها.

وليس في كل خراسان، على ما ذكر ابن حوقل، مدينة «أصح هواء وأفسح فضاء وأشد عمارة من نيسابور» وتجارها أهل ثراء، وتؤمّها السابلة والقوافل في كل يوم.

[بلدان الخلافة الشرقية لكي لسترنج ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد . ط٢ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ، ص ص ٤٢٤-٤٣٠].

وتوفي في نيسابور، وقد صلى عليه أبو بكر الأصفهاني.

وهناك في نيسابور آثار أخرى منها (الغار) الذي كان يعتكف فيه إبراهيم بن أدهم (ت ١٦١هـ)، وهو المحل الذي التقى فيه الشيخ أبو سعيد أبي الخير مع أبي علي ابن سينا، كذلك كان محلاً لاختفاء الشيخ حسن جوري قائد المقاومة ضد المغول.

المساجد الأولى في نيسابور

كانت نيسابور مشهورة بالمساجد التي شادها الصحابة عند الفتح الإسلامي. فقد بنى صحابة رسول الله عدة مساجد عندما فتحوا نيسابور، منها المسجد الجامع، ومسجد شاهنبر، ومسجد بني علي صحرة وصعصعة صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم عرف باسم مسجد الصخرة، ومسجد باب المعمر، ومسجد رجاء بن معاذ، ومسجد باب قهندز الذي صلى فيه الصحابة بمعية أمير، ومسجد المنائر المتحركة، ومسجد الإمام يحيى، ومسجد أيوب بن الحسن، ومسجد حمس الذي ذكرت عنه قصص كثيرة(١١).

ولكن جميع هذه المساجد هدمت بسبب الزلازل والحروب وهجوم المغول والتتار، وفي الجنوب الشرقي من نيسابور الحالية، وعلى الجادة الترابية القديمة بين قبر خيام وفصل من شاذان تظهر أطلال نيسابور القديمة، منطقة (قهندز) التاريخية، وكان في جنوب هذه المنطقة أعظم مسجد في ذلك التاريخ يصلي فيه ٦٠ ألف مسلم، وفيه ألف أسطوانة، ويخدم فيه مئة خادم في المسجد.

وقد ذكر الحاكم النيسابوري أن السلطان خمارتكين، عندما حكم نيسابور، أمر ببناء مئذنتين في المسجد الجامع كانت الأعلى في ذلك الزمن، وقد كان ارتفاعها أربعاً وتسعين ذراعاً، وقد صرف لبنائها ألف مثقال من الذهب، والعجيب أن هندسة هذه المآذن كانت مصممة بشكل دقيق فإذا هبت الرياح القوية فإن المآذن تتحرك دون أن تسقط أو تنهدم(١٢).



الجامعة الإسلامية الحرة



سوق شعبية



من الأسواق الحديثة

أما المسجد الجامع الموجود الآن فهو مسجد تاريخي أسس في عهد السلطان حسين بايقرا (ق٩) آخر سلاطين التيموريين، بناه البهلوان علي كرجي سنة ٨٩٩هـ على أرض مساحتها ١٣٢٠ متراً.

وهناك أسماء ٦٢ مسجداً ومدرسة كانت عامرة في نيسابور ذكرت أسماؤها في كتب التاريخ، ولكنها غير موجودة الآن.

نيسابور مدينة المقاومة

لقد أصابت نيسابور الزلازل والحروب على مر العصور، وقد ذكر الحاكم ثماني عشرة زلزلة أصابت نيسابور حتى ذلك التاريخ. يقول ياقوت: مع أن زلزال سنة ٥٤٠هـ دمر المدينة، وكذلك غارات قبائل الغزنويين عليها سنة ٥٤٨هـ لم يبق منها شيء، ومع ذلك فإنه لا توجد منطقة في خراسان أكثر منها عمراناً. وبعد هذا الخراب اضطر الأهالي إلى بناء مدينة جديدة على مقربة من المدينة القديمة في محلة الشاذياخ غزاها المغول بقيادة جنكيزخان سنة ٦١٨هـ، ولم يبقوا منها حائطاً، ثم أصابها زلزال آخر سنة ٦٦٦هـ، ولم يبق من أهلها إلا سبعون كانوا في الصحراء فبنوا المدينة من جديد، ثم أصابها زلزال ثالث سنة ٨٠٨هـ، وهكذا شاءت الأقدار أن يصيبها الدمار والخراب.

يقول لاكهارت: ليست هناك مدينة في العالم أصابها الدمار، ثم أعيد بناؤها من جديد كنيسابور(١٣).

الخلافات المذهبية والفكرية

وقبل أن تسلم نيسابور من زلازل الطبيعة المدمرة، وهجوم الطامعين والمحاربين، كانت محل النزاعات والصراعات والمدارس الفكرية والمذاهب الدينية.

فقد مرت عليها خلافات السنة والشيعة المذهبية، ونزاعات الأشاعرة والمعتزلة الكلامية، وخلافات المذاهب الأربعة الفقهية، مما كان يؤدي أحياناً إلى نزاعات مباشرة تدمر الأخضر واليابس. وتذكر كتب التاريخ(١٤) قصصاً عن النزاعات الفكرية والعقائدية فيها.

ففي سنة ٤٤٥هـ بعد الحملات الغزنوية، ظهر صراع شديد بين العلويين والشافعية إلى درجة قتل فيها كثير من الشافعية، وأحرقت أسواقهم ومساجدهم حتى منزل إمام الحرمين الجويني لم يسلم، وعطلت دروسه في نيسابور(١٥) ولذلك هاجر منها إلى مكة والمدينة، وأصبح بعدها إمام الحرمين.

ثم بعد ذلك بسنتين تم تخريب مدارس الحنفية والشافعية والمكتبات العامرة، وبيعت كتبها بأبخس الأثمان(١٦)، وقتل فيها إمام الشافعية، ومدرس المدرسة النظامية الإمام محمد بن يحيى النيسابوري، ولم يمض نصف قرن على هذه الأحداث حتى هجم التتار على نيسابور في سنة ٦١٨هـ لينتقموا من أهلها بسبب المقاومة، حتى إنهم لم يرحموا القطط والكلاب، ولم يبق حائط إلا وهدم(١٧).





حركة دائبة في إحدى الأسواق



سوق نيسابور

نيسابور المعاصرة

ونيسابور المعاصرة اليوم، تقع على سهل واسع كثير الخضرة غرب نيسابور القديمة، وهي ذات نسيم بارد رطب في الصباح. وبعد سلسلة من الحروب والزلازل والتخريب والتدمير التي ذكرناها قام الأمير شاهرخ التيموري (٨٠٧ ـ ٨٥٠هـ) ببناء المدينة شمال غرب شادياخ، ثم بني فيها المسجد الجامع سنة ٨٩٩هـ أيام السلطان حسين بايقرا القائم حاليا، واستعادت المدينة بعض عافيتها العلمية والتجارية، ثم تحسنت أوضاعها على عهد الحكام الصفويين (في القرن العاشر) وكانت في تلك الفترة لا تزال تحت وطأة الخلافات المذهبية بين السنة والشيعة، ولكنها انتهت بعد تعميم المذهب الشيعي بواسطة الحكومة الصفوية. ويسكن نيسابور وضواحيها اليوم ٥٠٠ر٠٠٠ نسمة وفيها ٢٣٠ قرية مهتمة بالزراعة والرعي، واستخراج المعادن والأحجار كالفيروز وحياكة السجاد. واليوم تعد نيسابور نفسها لكي تتحول إلى مدينة سياحية، لما تضمه في أراضيها من آثار ومعالم تاريخية.

فنيسابور متحف مفتوح للتاريخ الإسلامي، أينما نظرت تواجهك الآثار والأطلال منذ أقدم العصور، والمنازل والحمامات، والربط، والمقابر، والمساجد، والقلاع والبساتين.

وتقوم دائرة الآثار بإحياء مشروع المدينة القديمة عبر إعداد الدراسات، والتخطيط لإحيائها التي خربتها الزلازل والحروب، وإحياء هذا المتحف الكبير للتاريخ الإسلامي، فهناك نحو خمسين أثرا تاريخيا بارزا في أطراف المدينة التي تحولت إلى أراض زراعية، وتحاول الدائرة منع توسع المدينة وشراء هذه الأراضي للعمل على التنقيب فيها، ويتوقع اكتشاف زهاء ٢٠٠ أثر ضاعت بين الأطلال

صادق العبادي



والتلال والتراب. وقد قامت هذه الدائرة بترميم السوق الشعبي القديم الذي يرجع إلى العصر الصفوي منذ أربعة قرون، وإحياء منزل قديم للقوافل وتحويله إلى متحف.

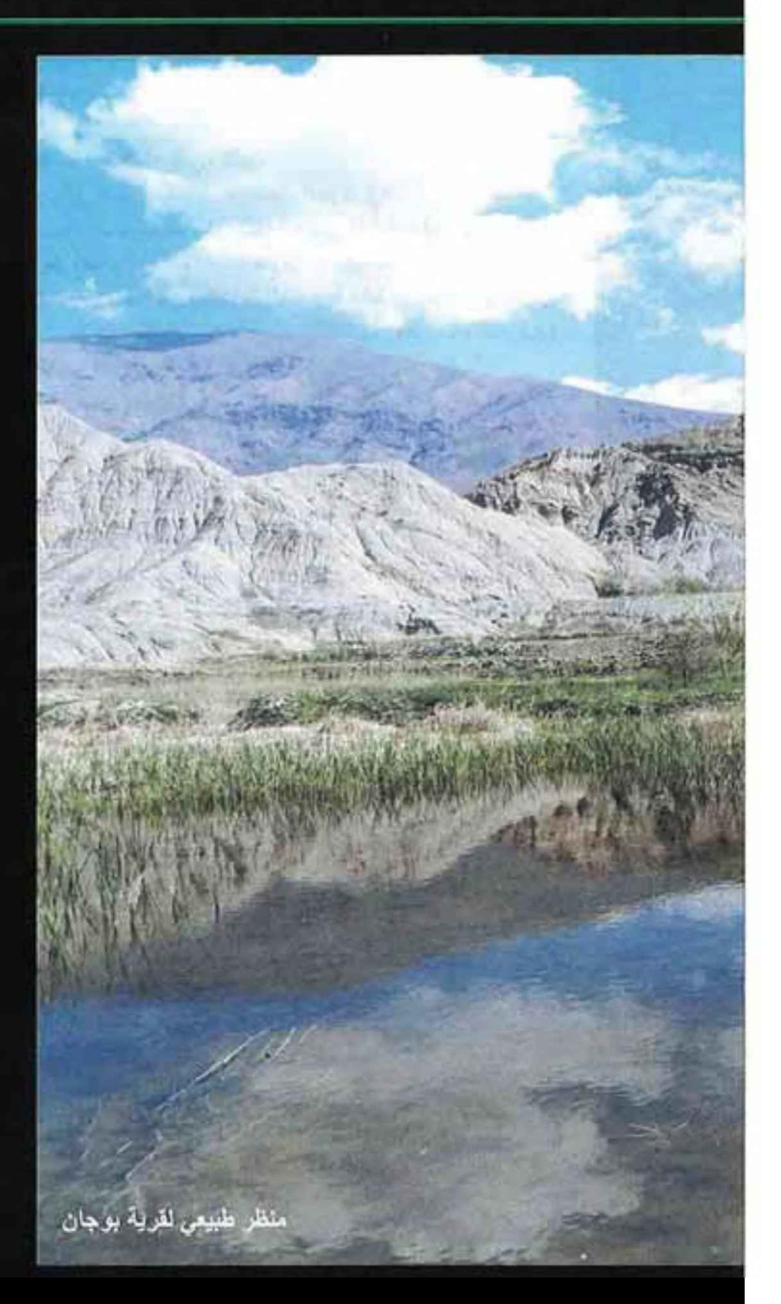
مدينة الفيرو

وتسمى نيسابور أيضاً مدينة الفيروز، ويعد الفيروز النيسابوري من أرقى أنواع الفيروز في العالم، وهي تأخذ موقع الصدارة في المتاحف والقصور، ولذلك كان يقصدها التجار والملوك لاقتناء فيروزها.

وتقع معادن الفيروز في الشمال الغربي للمدينة على بعد ٥٠ كم. كما ذكر كثير من المؤرخين المسلمين والسياح العرب، ولكن صناعة الفيروز اليوم انتقلت إلى مدينتي أصفهان وكرمان.

وكانت سابقاً ترسل إلى موسكو، ومنها إلى أوروبا، وترسل إلى الهند ودول الخليج والجزيرة العربية، وتستخدم في صناعة مقابض السكاكين أو تزيين قلائد الخيل.

وكان الفيروز في السابق مصدراً مهماً للعملات. فهو اليوم من المصادر المالية في صادرات إيران.


منظر طبيعي لقرية بوجان

من علماء نيسابور

جاء في كتاب «الإرشاد إلى معرفة علماء الحديث» ذكر نحو ٥٨ عالماً من علماء نيسابور من بينهم:

- حامدُ بن محمود المُقْرِئُ، ويُعرفُ بحامد بن أبي حامد.
- عتيق بن محمد النيسابوري.
- محمد بن إبراهيم البُوشَنْجي.
- مُسلم بن الحجاج القُشيري: (صاحب الصحيح. وهو أشهرُ من أن تُذكر فضائله. مات في حد الكهولة).
- عامر بن خِدَاش النيسابوري
- أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري.
- أبو بكر محمد بن حَمْدُون بن خالد النيسابوري.
- أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب الصِّبْغِي الفقيه.
- أبو علي الحسين بن علي بن يزيد النيسابوري.
- أبو أحمد محمد بن محمد بن إسحاق الكرابيسي الحافظ.
- الحاكم أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حَمْدَوَيْه بن نُعيم، الضَّبِّي، الطَّهْمَاني.
- أبو حازم عمر بن أحمد بن محمد العَبْدَويّ الأعرج.
- أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف بن مَعْقِل الأصمُّ.
- محمد بن محمد بن الحَجَّاجي.
- أبو بكر محمد بن عبدالله الجَوْزَقي النيسابوريّ.
- أبو عبدالرحمن محمَّد بن الحسين بن موسى السُّلَمي الأزْدِي.
- أبو الطيِّب سهل بن محمد بن سليمان الصُّعْلُوكي.
- أبو الحسين أحمد بن محمد بن عمر الخَفَّاف الزاهد.

[الإرشاد إلى معرفة علماء الحديث (من تجزئة السلفي) لأبي يعلى الخليل بن عبدالله بن أحمد بن الخليل الخليلي (ت:٤١٦هـ) تحقيق محمد سعيد عمر إدريس .. الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، المجلد الثالث، ص ص ٨٢٢-٨٦٣].

والتلال والتراب. وقد قامت هذه الدائرة بترميم السوق الشعبي القديم الذي يرجع إلى العصر الصفوي منذ أربعة قرون، وإحياء منزل قديم للقوافل وتحويله إلى متحف.

مدينة الفيروز

وتسمى نيسابور أيضاً بمدينة الفيروز، ويعد الفيروز النيسابوري من أرقى أنواع الفيروز في العالم، وهي تأخذ موقع الصدارة في المتاحف والمعارض، ولذلك كان يقصدها التجار والملوك لاقتناء فيروزها.

ويقع معدن الفيروز في الشمال الغربي للمدينة على بعد ٥٠كم، كما ذكر كثير من المؤرخين المسلمين والسياح الغربيين، ولكن صناعة الفيروز اليوم انتقلت إلى مدينتي أصفهان وخراسان.

وكانت سابقاً ترسل إلى موسكو، ومنها إلى أوروبا، أو ترسل إلى الهند ودول الخليج والجزيرة العربية، وتستخدم في صناعة مقابض السكاكين، أو ترصع قلائد الخيل.

وكم كان الفيروز في السابق مصدراً هاماً للملوك. فهو اليوم من المصادر الهامة في صادرات إيران.

أدباء نيسابور

ذكر الثعالبي في «يتيمة الدهر» عدداً كبيراً من أدباء نيسابور وشعرائها، ونورد بعض أسمائهم:

ـ أبو عبدالله الوضاحي البشري محمد بن الحسين:
ورد نيسابور فاستوطنها إلى أن توفي بها، وله شعر كثير أخرجت منه ملحاً قليلة.

ـ أبو الحسن أحمد بن أيوب البصري المعروف بالناهي:
ورد نيسابور فأقام بها سنين يشعر.

ـ أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي:
أحد أفراد الدهر، وأعيان العلم، وأعلام الفضل، وهو الإمام اليوم في النحو بعد خاله أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، ومنه أخذ، وعليه درس.

ـ أبو سعد نصر بن يعقوب:
تعقد عليه الخناصر بخراسان في الكتابة، والبراعة في الصناعة.

ـ أبو نصر سهل بن المرزبان:
أصله من أصبهان، ومولده ومنشؤه قاين، ومستوطنه الآن نيسابور.
وليس اليوم بنيسابور ديوان شعر غريب يجري مجرى التحف، ولا كتاب جديد يشتمل على بدائع الطرف إلا ومن عقده انتثر، ومن يده انتشر.

ـ أبو محمد الحسن بن أحمد البروجردي:
كاتب بحقه وصدقه، متبحر في ترسله، منقطع القرين في كتّاب عصره، آخذ بأزمّة الكلام البارع يقودها كيف أراد، ويجذبها كيف شاء.

ـ أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي:
هو، لمحاسن الأدب، وبدائع النثر، ولطائف النظم، ودقائق العلم، كالينبوع للماء، والزند للنار. يرجع معهما إلى أصل كريم، وخلق عظيم.
وله كتاب «لطائف الكتّاب» وغيره من المؤلفات، وله من الفصول القصار شيء كثير.

ـ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري:
من أعاجيب الدنيا؛ وذلك أنه من الفاراب أحد بلاد الترك، وهو إمام في علم لغة العرب، وخطه يضرب به المثل في الحسن ويذكر في الخطوط المنسوبة لخط ابن مقلة، ومهلهل، واليزيدي، ثم هو من فرسان الكلام، وممن آتاه الله قوة وبصيرة، وحسن سريرة وسيرة.

ـ رئيس نيسابور أبو محمد عبدالله بن إسماعيل الميكالي:
هو أشهر، وذكره أسير، وفضله أكثر من أن ينبه عليه، فكان يحفظ مئة ألف بيت للمتقدمين والمحدثين يهذها في محاضراته، ويحلها في مكاتباته.

ـ القاضي أبو بكر عبدالله بن محمد البستي:
أدب قضاة نيسابور وأشعرهم، ولما تقلد قضاءها في أيام شبيبته مضافاً إلى ما كان يليه من قضاء كورة نسا لقب بالكامل، وله شعر كثير.

ـ أبو عبدالرحمن محمد بن عبدالعزيز النيلي:
هو وأخوه أبو سهل من حسنات نيسابور.

ـ أبو محمد إسماعيل بن محمد الدهان:
أنفق ماله على الأدب؛ فتقدم فيه، وبرع في علم اللغة والنحو والعروض، واختص بالأمير أبي الفضل الميكالي ومدحه وأباه بشعر كثير، ثم آثر الزهد والإعراض عن أعراض الدنيا.

ـ أبو نصر أحمد بن علي بن أبي بكر الزوزني:
كان غرّة في وجه زوزن، وورد نيسابور وهو غلام يتناسب وجهه وشعره حسناً، فأخذته العيون، وقبلته القلوب، وارتاحت له الأرواح، واستكثر من أبي بكر الخوارزمي، وأخذ عنه الفصاحة حتى كاد يحكيه.

[يتيمة الدهر للثعالبي (ت ٤٢٩هـ). القاهرة: مطبعة الصاوي، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، المجلد الرابع، ص ص ٣٥١-٤٠٩].

الراوند أو (الريواس)

نبات الراوند، أو الريواس بالفارسية Rhubarb من النباتات ذات الخواص الطبية للمعدة والكلية. ينبت هذا العشب في أودية جبل بينالود الشاهق في نيسابور، ويتم قطفه في الربيع. ويصنع النيسابوريون منه شراب الراوند. وأفضل أنواعه راوند نيسابور.

والراوند، نبات ذو سيقان بيضاء، يرتفع إلى ٨٠سم، له أوراق خضراء سميكة، وطعمه حامض ولذيذ، ويحتوي على أملاح معدنية وفيتامينات مقوية، ويؤكل طازجاً، ويطبخ في بعض الأغذية، ويعملون منه الشراب. وفي مجال الطب الشعبي يستخدم ضد النفخ والديدان، وللتسمين وتقوية الكبد؛ وذلك لاحتوائه على الكالسيوم وبعض الأحماض، ويعد من المنشطات. وشراب الراوند من الصناعات الشعبية في نيسابور، ويصدر منها إلى دول الخليج العربي.

عمل أكبر نسخة للقرآن وتذهيبها

ومن الأخبار الفنية اللافتة للنظر قيام مجموعة من خطاطي منطقة خراسان ونيسابور وفنانيها بالعمل على مشروع إنجاز أكبر نسخة من القرآن الكريم بالخط الذهبي منذ عدة سنوات. يعمل على هذا المشروع ١٢٠ شخصاً بين خطاط وفنان ومذهب، تحت إشراف السيد أحمد معلائي،



الحدادة من الحرف القديمة في نيسابور

ويصنع النيسابوريون منه شراب الراوند. وأفضل أنواعه راوند نيسابور.

والراوند نبات ذو سيقان بيضاء، يرتفع إلى ٨٠سم، له أوراق خضراء سميكة، وطعمه حامض ولذيذ، ويحتوي على أملاح معدنية وفيتامينات مقوية، ويؤكل طازجا، ويطبخ في بعض الأغذية، ويعملون منه الشراب. وفي مجال الطب الشعبي يستخدم ضد النفخ والديدان، وللشهية وتقوية الكبد؛ وذلك لاحتوائه على الكالسيوم وبعض الأحماض، ويعد من المنشطات. وشراب الراوند من الصناعات الشعبية في نيسابور، ويصدر منها إلى دول الخليج العربي.

عمل أكبر نسخة للقرآن وتذهيبها

ومن الأخبار العلمية اللافتة للنظر قيام مجموعة من خطاطي منطقة خراسان ونيسابور وفنانيها بالعمل على مشروع إنجاز أكبر نسخة من القرآن الكريم بالخط الذهبي منذ عدة سنوات. يعمل على هذا المشروع ١٢٠ شخصا بين خطاط وفنان ومذهب، تحت إشراف السيد أحمد معلاني، وأستاذ الخط العربي علي أكبر قوجاني، والمذهب عباس عطاپور.

وهذا القرآن يكتب على قماش من كتان صفحتهن ١٧٥×٢٥٠سم، وسوف يحتوي على ٥٠٠ ورقة (١٠٠٠صفحة) وزن الورقة الواحدة ٥ر١ كيلو (وزن القرآن كله ١٥٠٠كيلو) يستخدم فيه ١٢ كيلو ذهبا لتذهيب خطوط الآيات القرآنية. إن تذهيب خطوط كل صفحة يأخذ ١٠٠٠ساعة عمل عشر ١٢ فنانا في التذهيب. وقد أنجز منه الآن جزء واحد في ٢٠ صفحة، وسوف يستغرق ٥ ـ ٦ سنوات.

المراجع

١. لاعثم الكوفي، تاريخ الاعثم، فتوح البلدان للبلاذري
٢. لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، طبعة طهران ص٤٠٥.
٣. الحاكم النيسابوري، تاريخ نيسابور، طبعة طهران.
٤. ابو عبدالله حاكم نيسابوري، تاريخ نيسابور، ترجمة محمد بن حسين خليفة نيسابوري، تصحيح وتعليق محمد رضا شفيعي كدكني، طهران، ١٩٩٦م، نشر آگه
٥. عبدالله قوجاني، مقال نيسابور، متحف رضا عباس، طهران، ١٩٨٦م.
٦. ناجي علي، دراسة مدارس ما قبل النظامية، كتاب يادنامه اديب نيسابوري، د. مهدي محقق، جامعة طهران ص١١
٧. ابو الفدا ٢/٣٤٢.
٨. الكامل ٨/١٢١.
٩. د. بديع محمد جمعة، من روائع الأدب الفارسي، بيروت ١٩٨٣م ص٢١٩ ـ ٢٢٣
١٠. ابراهيم الشواربي، تاريخ الأدب في إيران.
١١. ١٢. تاريخ نيسابور، ترجمة الخليفة، ص٢١٨.
١٣. لاكهارت، نيسابور، مجلة كلية الآداب، مشهد خراسان، السنة ٣، العدد٤، ص٣٣٦ ـ ٣٥٠.
١٤. انظر الكامل لابن الأثير جـ ٨ و ٩
١٥. المصدر نفسه، الكامل ٩/٦٠.
١٦. المصدر نفسه ٩/٢٤.
١٧. الكامل ٩/٣٤٢.
١٨. كتاب كرامتي نيسابور شهر فيروزه ص٥٥٥

عودة آكلي لحوم البشر

إنريكه م. كوبرياس*
ترجمة: صلاح يحياوي
ماديسون - أمريكا

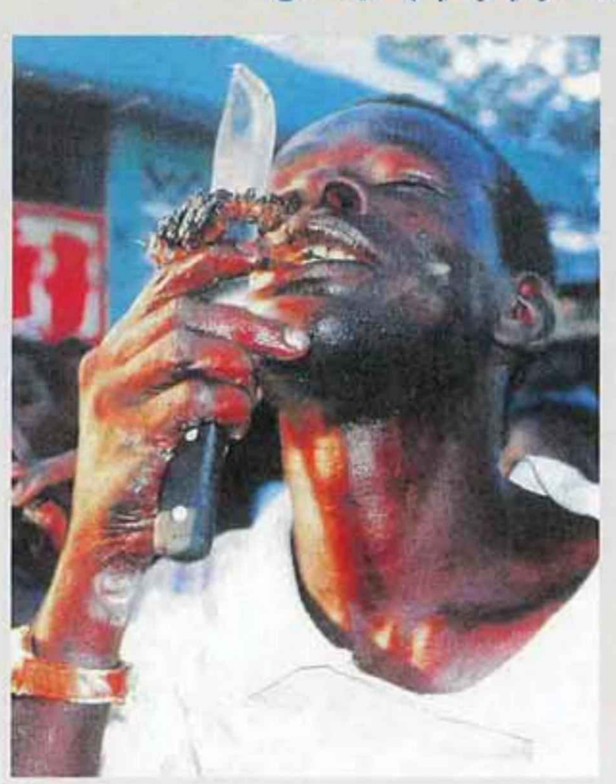
يشكل استهلاك اللحم البشري في المجتمعات الحالية الديمقراطية فعلاً وحشيًا دنيئًا ومجرمًا تختص به العقول المريضة، ذلك أن هذا الفعل تعدٍ على الضمير الجماعي وكرامة الإنسان؛ ولكن يصعب الاعتقاد في فجر الألفية الجديدة أن تقود عادة أكل لحم البشر Anthropophagy على نحو رئيس إلى الضلال والمرضيات العقلية والشراسة والوحشية؛ فإذا كان هذا الاستهلاك يحدث خلال شعائر تُقام، فإن ممارسته لاتزال مستمرة في أنحاء شتى من الكوكب الأرضي، في إفريقية الوسطى، وأمريكا الجنوبية، وفي أرخبيلات أوقيانوسيا بشكل خاص.

وعلى الرغم من عدم وجود سجل رسمي، فإن ٢ إلى ٣ ملايين من أكلة لحوم البشر يعيشون بين ظهرانينا. وهذا الرقم مثبت تقريبًا إذا ما تذكرنا أنه كان هناك في أوائل القرن الماضي مئة مليون من أكلة لحوم البشر تقريبًا، وقد نقص عدد هؤلاء إلى النصف نحو عام ١٩١٠م.

وفي عام ١٩٦٢م كشف تقرير حول التغذية العالمية قام به خبراء الأمم المتحدة عن استنتاجات مقلقة حول وجود هذه الظاهرة.

حظرُ الممارسات الوحشية

جاء في التقرير أنه إضافة إلى المناطق الثلاث الكبيرة لوحشية الأسلاف التي سبق ذكرها، قد عاد استهلاك لحم البشر إلى الظهور مرارًا في المناطق التي جلدتها الحروب



بعد إخفاق الانقلاب الذي قام به روجر لافونتان Lafontan في ٧ يناير/ كانون الثاني ١٩٩١م أحد سكان هايتي يأكل قطعة لحم مشوية من أحد المتطوعين من أجل الأمن الوطني، إذ ظهرت وحشية أكل لحم البشر للثأر في عدد من المنازعات الحربية



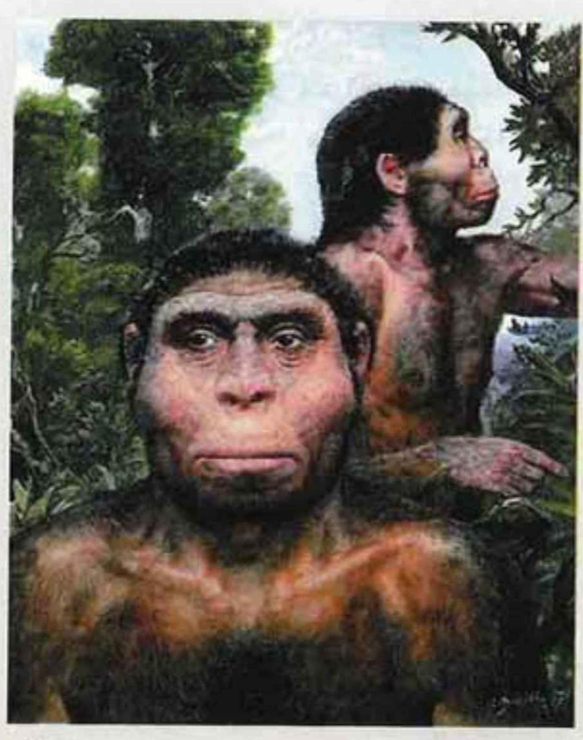
الحالة الأكثر قدماً لأكل لحم البشر هي حالة جمجمة إنسان منتصب Homo Erectus عاش في تنزانيا منذ مليون سنة. تبدي هذه الجمجمة علامات حزٍّ تتكرر في عظام أخرى وُجدت في بودو Bodo (الجبشة) يبلغ عمرها بين ٣٠٠,٠٠٠ و ٥٠٠,٠٠٠ سنة

والمجاعات؛ وقد أذهل تقرير المختصين الرأي العام، وأوقف شعر الرؤوس إذ جاء فيه أن ٣ر٠٪ من الجائعين في العالم - أي ٦ ملايين شخص - يسدون رمقهم بالتهام مجانسيهم.

ومما لا ريب فيه أن التطور الأخلاقي، والتقدم العلمي، وتعاليم الأديان، إضافة إلى تكاثر المساعدات الإنسانية، كانت وراء نقصان الممارسات الوحشية وحظرها، ولكن يجب ألا تخدعنا الأكاذيب؛ لأن كثيراً من التقارير التي أنجزت منذ أوائل الثمانينات تشهد على أن هذه الأفعال بعيدة عن الزوال، لا بل إنها آخذة في الازدياد على نحو منذر بالخطر في جميع القارات.

ويؤكد الكاتب الفرنسي مارتان مونستيه في كتابه «المتوحشون»(١) الذي نُشر حديثاً في فرنسا ما يأتي:

- «تشاهد اليوم في جميع الأنحاء عودةُ الوحشية إلى الانتعاش بأساليب متعددة، إنها على نحو رئيس من الطقوس في إفريقية وجنوب أمريكا، وهي مرضيَّة وإجرامية في شمال أمريكا، وهي إجرامية ولسد الرمق في أوربا الشرقية وفي آسيا. وليكن معلوماً أنها تمارس أيضاً على نحو شائع في أوبنجي UBANGI، وسيراليون وكينيا، وإفريقية الوسطى، وفي جميع بلدان خليج غينيا. كما أنها تمارس أيضاً في البرازيل، وروسيا، والصين، ومناطق شتى من ماليزيا وأقيانوسيا، وبخاصة في جزر سليمان، وجزر فيدجي، وزيلندا الجديدة، وهايتي، والهند، وغينيا الجديدة، وأندونيسيا، وسومطرا، وكمبوديا، وإذا ما



صدقنا جاك أتالي ATTALI فإن النساء في فيتنام يُجْبَرْن على الإجهاض في الشهر السابع من الحمل لتقديم الأجنة إلى المسؤولين الكبار».!!

٨٠٪ من أكلة لحوم البشر في أمريكا

تردد الصحافة على نحو غير عادي أصداء أفعال يقف لها شعر الرأس يقوم بها معتلون نفسياً ومضطربون عقلياً Psychopaths، وطوائف شيطانية، وشعوب جائعة، وقبائل منسية شاحنة بذلك خيال كُتّاب وواضعي نصوص أفلام سينمائية ومغامرين، إلا أن هذه الأصداء أيقظت أيضاً اهتمام العلميين.

فعلى سبيل المثال لا يعرف الأطباء النفسيون الشرعيون في الولايات المتحدة الأمريكية كيف يفسرون كون ٨٠٪ من القتلة المتسلسلين الذين هم من أكلة لحوم البشر هم من مواليد بلدهم، كما أنهم يحاولون فهم سبب كون جميع هؤلاء من الذكور، ومن الجنس الأبيض، وبحاصل ذكاء(٢) يتجاوز الوسط، وسبب كون ٩٠٪ منهم معتلين نفسياً من النمط المنظم، أي ممن يخططون لجرائمهم على نحو متقن؟! ولايزال هناك مزيد من الأسرار في هذا الشأن لم يجد حلاً من مثل كون النساء

هن الضحايا التي يفضلها أكلة لحوم البشر المرضى.

ومن هؤلاء أوتيس تول Ottis Tool أحد القتلة المتسلسلين الأكثر فظاعة في تاريخ الولايات المتحدة، ورفيقه في المغامرات والحوادث هنري لي لوكاس Henry Lee Lucas، فقد قام هذان المجرمان بقتل ٢٠٠ امرأة وتقطيعهن وشيِّهن. لماذا قاما بذلك، هل كانت أفعالهما تجسيداً لأشباح من أكلة لحم البشر تهز كيان كل فرد في جميع المجتمعات؟ هل هناك في الدماغ رافعة عصبية ما إن تنشط حتى تثير فينا التصدي للجار والاعتداء عليه؟.. لا يُعرف شيء عن ذلك.

طريقة جدلية لتخفيف الجوع في العالم

يجهل العلم الأسس العصبية لأكل لحوم البشر المرضي. وقد أشار الدكتور جويل نوريس Joel Norris مؤلف كتاب «قتلة متسلسلون» Serial Killers منذ سنوات إلى أن بالإمكان تحديد موضع الاختلال في خلل وظيفي على مستوى تحت المهاد Subthalamus البنية الدماغية بحجم الكشتبان المنوط بها التنظيم الهرموني العصبي والتحكم العصبي في الانفعالات.

كما أن لدى روسيا لائحة ضخمة من المجرمين المعتلين نفسياً والذُهانيين الذين يعترفون بأنهم التهموا ضحاياهم؛ ومن هؤلاء نيكو دجو ما غاليف Djumagaliev الذي أوقف عام ١٩٨١م، لقتله ثلاثين امرأة في منطقته، وطبخ لحومهن وفق وصفات طهوية تقليدية، كما يتحمل الاتحاد السوفييتي السابق وحشية أكل لحوم البشر بغرض سد الرمق نتيجة للوضع الحدي للفقر الذي يعاني منه سكان بعض المناطق. ويعترف وزير الداخلية الروسي بأنه قد تم منذ عام ١٩٩٢م حل أكثر من مئة شبكة لبيع اللحم البشري.

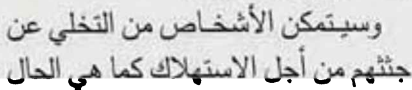
و يتكرر الوضع نفسه في أجزاء من العالم نتيجة لمعاناة المجاعات والحروب. إن تجارة اللحم البشري هي سر معلن في إفريقية (بوتسوانا Botswana، وزيمبابوي Zimbabwe، وموزامبيق Mozambique، وسيراليون Sierraleon) وفي آسيا الوسطى. فعلى سبيل المثال تعَمَّم أكل لحوم البشر في جميع كوريا الشمالية بين الأعوام ١٩٩٧ و ١٩٩٩م. وقد نفذت السلطات حكم الإعدام بعدد من الجزارين الذين كانوا يبيعون اللحم الكوري الطازج، وبعدد من التجار والآباء الذين قتلوا أبناءهم لمقاومة المجاعة.



هنري لوكاس: كان ورفيقه أوتيس تول Ottis Tool من الجنوسيين، أوقفا في فلوريدا عام ١٩٨٣م. وقد قاما بشيِّ ٢٠٠ شخص. كان لوكاس يفضل النساء المتقدمات في العمر، بينما كان تول يختار الرجال

ويتكهن مونستيه Monestier - بعد عدد من سني الدرس والتمحيص - بأننا سنشهد خلال السنوات القادمة استفحال أكل لحوم البشر الغذائي لسد الرمق، وذلك نتيجة - على نحو رئيس - للزيادة في عدد السكان على الكوكب الأرضي، ونتيجة لسوء التغذية الذي سيعاني منه جزء كبير من البشر إذا لم توضع الحلول وتتخذ التدابير لتلافي الأمر.

ويرى الكاتب الفرنسي زيادةً على ذلك أنه يستوجب لتغذية سكان الأرض، تجريد الجسم البشري من القدسية، وتنزيه فعل أكل اللحم البشري من الدنس، وخلع العذار والدلائل والمعاني المحقِّرة التي تحط من قدر ذلك الذي تصفه بالهمجية والبدائية وعدم التحضر، ذلك أن الحكومات ستجد نفسها مجبرة على العودة إلى أكل لحوم البشر للإبقاء على قيد الحياة، وذلك بالتخطيط له والتحكم فيه وتصنيعه.



وسيتمكن الأشخاص من التخلي عن جثثهم من أجل الاستهلاك كما هي الحال اليوم بالتبرع بأعضاء من الجسم من أجل الغَريسات أو الاغتراس (زراعة الأعضاء) Transplant.

ويرى مونستيه أن رفض هذه الإمكانية - التي انتقدت على نحو قاس من قبل قطاعات اجتماعية متباينة - يعني دفع ملايين الأفراد إلى الموت: لقد تمت التغذية باللحم البشري في جميع الثقافات، من الأكثر بدائية إلى الأكثر تهذيباً. لقد حظرت الحضارة قتل فرد من أجل أكله، وهذا

عدل تام وضروري، إلا أن الأمر الشاذ والمنحرف هو تبديد البروتينات البشرية عندما يكون هناك جوع في العالم!...

فهل يعني هذا أن الكائن البشري متوحش بطبيعته، أي إنه آكلٌ للحوم البشر؟ منذ متى يلتهم الإنسان مجانسيه؟ وما دوافعه؟ هل كان يقوم بذلك بسبب الجوع؟ أو كان ذلك بسبب الشعائر التي كان يقوم بها؟

تؤكد الملاحظات الإثنوغرافية Ethnographic أي التي تصف العناصر البشرية، والأنثروبولوجية Anthro-pologie أي المختصة بدراسة المجتمعات البشرية، أن أكل لحوم البشر قديم قدم الجنس البشري. لقد مارست جميع الشعوب والحضارات دون استثناء أكل لحوم البشر في وقت ما من تاريخها. وبالفعل يؤكد بعض الخبراء أنّ أكل لحوم البشر يؤلف مرحلة جوهرية في نمو المجتمعات وتماسكها؛ ونجد برهانًا على هذه الأطروحة عند الشعوب التي وضعت أسسًا لأكل لحوم البشر إذا كانت تبدي درجة من التطور أكبر من جيرانها.!!

وهذا يدعو إلى السؤال الآتي: هل ينطوي أكل لحوم البشر على فائدة تطورية ما؟

الممارسة النادرة الحدوث في الطبيعة

لجأ علماء الأحياء - بغية محاولة الإجابة عن هذا السؤال - إلى العالم الحيواني فوجدوا على عكس ما كان يمكن توقعه - أن أكل حيوانٍ لحيوان من جنسه ليس شائعًا في الطبيعة، وإن كانوا قد وجدوا أن بعض الحيوانات تلجأ إلى ذلك ببعض المواظبة لدوافع مختلفة. ومن هذه الدوافع تكاثرها المتجاوز الحد (الأسماك في أحواض الأحياء المائية)، والازدحام (الجرذان، والدجاج، وطيور الحظائر الأخرى)، وندرة الغذاء (الدلافين والدببة القطبية)، والمتطلبات الجنسية (اللبوات).

يتضح من ذلك على ما يظهر أن هذه الوحشية مفيدة جدًا كإستراتيجية غذائية، ذلك أنها الشكل الأكثر مباشرة للحصول على المغذيات الضرورية للنمو، والحفاظ على الثوابت الحيوية. ومن جانب آخر يؤدي ذلك إلى نقصان التنافس في البحث عن الطعام، وعن القرين بين أعضاء النوع نفسه؛ إلا أن هناك مزيدًا من الدوافع التي تبرز وجوه هذه الوحشية.

يعتقد جيسن شابمان Jason Chapman وديف غولسن Dave Goulson من جامعة ساوثامبتون Southampton في إنجلترا أنهما اكتشفا السبب الذي يجعل السبودبترا فروجيبردا Spodoptera Frugiper-da وهو يسروع (نوع من الديدان) يعيش في حقول الذرة في أمريكا الجنوبية - يأكل بنهم أعضاء من نوعه بالذات.

يبدو أن ليس لهذا السلوك أية علاقة بنهمه الشديد الواضح، بل إن الأمر أمر خطط هادفة (إستراتيجية) لتجنب هجوم مفترساته الطبيعية كبعض أنواع الطيور الأمريكية الكفّيات الأقدام.



جفري داهمر: يلقب بجزار ميلواكي. حكم عليه لاقترافه ٧١ جريمة قتل. كان ضحاياه من الرجال الجنوسيين ومن السود. وجدت الشرطة في منزله بقايا ١١جثة. وكانت هناك جرة احتوت على عدد من الأعضاء التناسلية الذكرية منقوعة في النبيذ الأبيض

يؤكد هذان الباحثان البريطانيان في مقال أرسل إلى مجلة: Behavioral Ecol-ogy And Sociobiology أن السبودبترا فروجيردا تغدو متوحشة كي تنقص عدد أفرادها على نحو شديد مما يتيح لها الإفلات من عيون العدو، وليتهيأ لها عددٌ أكبر من المخابئ في الذُّرة ليختبئ فيها مجانسوها، تلك التي بقيت على قيد الحياة.

ولكنّ أكل الأسرة أو الجار أمر تكتنفه أيضًا بعض النقائض والظروف المعوقة. وهكذا فإن الفريسة تكون عمومًا من الحجم نفسه، والشراسة نفسها التي يتمتع بها المهاجم، مما يُحوِّل المطاردة إلى مغامرة قاتلة. زد على ذلك أن هذه الوحشية تؤدي إلى عكس النتيجة المطلوبة وفق المصطلحات التطورية.

ويرى دافيد بفيننج Pfennig أستاذ علم الأحياء في جامعة كارولينا الشمالية في شابل هيل Chapel Hill في الولايات المتحدة: «إذا كنت تبغي تخليد قسماتك وملامحك في الجفر الوراثي (الشيفرة الوراثية) لنوعك فإن عليك أن تساعد مجانسيك بدلاً من التهامهم».

أكل المماثلين يلحق الضرر بالصحة على نحو جدي

وجد بفيننج سببًا ثالثًا ذا شأن للتخلص عن الاندفاع نحو الوحشية ألا وهو: «إن أكل المماثلين قد يؤدي إلى إلحاق الضرر بالصحة». وبالفعل تبدي المخلوقات المتوحشة تعرضًا أكبر للخطر بإصابتها بالعدوى من الجراثيم، كالطفيليات والبكتريات والحُمات (الفيروسات)، ومن الموت قبل الأوان.

ولإثبات هذه الفرضية خمج بفيننج مجموعة من يرقات السمندر، أو السمندل الببري Ambystoma Tigrium أو Tiger Salamander الكليل الفم، وآخر من السمندر أو السمندل الصغير الفم Ambystoma Texanum ببكتيريا المطثِّيَّة Clostridium. ثم عمد إلى أربع مجموعات من يرقات السمندل البَبْري السليمة، وغذّى كلاً منها بيرقات سليمة ومخموجة بهذين النوعين من السرفوتيات فكانت النتيجة كما يأتي: نمت يرقات السمندل الببري التي التهمت اليرقات المريضة التي هي من نوعها بالذات نموًا أكثر بطئًا وأبدت احتمالاً للبقاء على قيد الحياة خلال التحوّل Metamorphosis أدنى من احتمال باقي المجموعات.

يقول عالم الأحياء الأمريكي: «تتطور العملاء الخامجة، كالطفيليات، مترافقة مع النوع المضيف، مما يجعل سريانها أكثر فعالية بين النماذج المماثلة من بين أعضاء من أنواع مختلفة».

قد يفسر اكتشاف بفيننج النسبة المرتفعة للوفيات نتيجة للخموج في بعض الجاليات البشرية التي كانت تمارس حتى الماضي القريب أكل لحوم البشر، كما هي الحال في الكورو Kuru المرض القاتل للجملة العصبية الذي يصيب قبيلة فوردو بابووا Fore De Papova في غينيا الجديدة. تتم الإصابة التي يسببها بروتين خامج يعرف باسم بريون Prion عند تداول وتناول أدمغة الموتى المستخدمين في الشعائر الوحشية.

كان أوائل الأوربيين يلتهم بعضهم بعضًا

تناقصت الإصابة بالكورو يومًا بعد آخر حتى غدت في نهايتها الصغرى؛ وذلك لأن أعضاء هذه القبيلة قد هجروا - رسميًا - أكل لحوم البشر عام ١٩٥٦م. ومع أن هذه الظاهرة مازالت تمارس في بعض جاليات النجود المركزية في هذا الأرخبيل الموجود في المحيط الهندي كما يروي بعض المستكشفين.. ولكن إذا كانت هذه الوحشية أمرًا غير صحيح إلى حد كبير فلماذا عادت من جديد إلى نوعنا؟

إن الإجابة عن هذا السؤال أمر غير بسيط، ففي المقام الأول يقدم السجل المستحاثي أو الأحفوري إعلامًا محرفًا ومبهمًا إلى درجة كبيرة يضيع معها ظاهرة أكل لحوم البشر في ظلام الأزمنة. ومع ذلك فإن وجود وحشية من هذا النوع سابقة للأزمنة التاريخية وأمر يشكك فيه عدد من علماء الآثار منذ أواخر القرن التاسع عشر عندما طرحه إدوارد بييت Edourd Piette عام ١٨٧١م بمناسبة البقايا المستحاثية (الأحفورية) الموجودة في جوراد Gourad في هوت - غورون Haute - Gou-ronne في فرنسا. ففي الوقت الذي كان فيه الخبراء يعدون العلامات الموجودة في بعض المستحاثات نتيجة



ايسلي ساغاوا: عُرف في الصحافة العالمية باسم آكل لحوم البشر الياباني، وهو شاب مُجدٌ في الثلاثين من عمره كان يدرس الآداب في باريس. قتل طالبة هولندية في الخامسة والعشرين من العمر وأكلها في ١١يونيو/حزيران ١٩٨٠م. عدّتْهُ العدالة مريضًا، فادخل المستشفى النفسي، وبعد عودته إلى اليابان غدا يلقي محاضرات حول أكل لحوم البشر

لفعل وحشي، فإن معظم العشير العلمي كان يدعم كونها نتيجة لممارسات جنائزية. وحتى اليوم لايزال الجدال حيًا، غير أن هناك في كل مرة مزيدًا من البراهين لمصلحة من يدعمون القول بأن أسلافنا أكلوا لحوم أمثالهم. يقول أودالد كربونل Eudald Carbonell أستاذ علم الآثار في جامعة روفيراي فيرجيلي Rovirai Virgili في تاراغونا في إسبانيا:

«هناك في منجم أتابووركا Atapuerca في جبل بورجوس Burgos دليل أكثر وضوحًا على أن الأوربيين الأوائل كانوا يأكل بعضهم بعضًا. إني أقصد بذلك الإنسان السلف Homo Antecessor الذي عاش منذ نحو ٨٠٠٠٠٠ سنة».



من بقوا على قيد الحياة: في ١٣تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٢م تحطمت طائرة من الأورغواي (أمريكا الجنوبية) كانت تحمل ٤٥ راكبًا إلى التشيلي في جبال الأند، وقد فقد الأشخاص الـ ٣٣ الذين نجوا من الموت الأمل في الخلاص؛ ومات كثير منهم في الأيام التالية. وترتب على من بقي حيا أن يتغذى على رفاقه الموتى. وقد بقي من الناجين ١٦شخصًا على قيد الحياة بعد ٧٢ يومًا من العزلة

ويتابع قائلاً: «لقد وجدنا عام ١٩٩٤م في منجم غران دولينا Garan Dolina مستحاثات ستة أفراد ـ طفلين بين الثانية والثالثة من العمر، وحدثين بين الثامنة والحادية عشرة، وراشدين في نحو العشرين من العمر، تبدو عليها علامات حز على السطح الخارجي لعظام الأطراف والجمجمة».

وقد فسّر ظهور الخدوش على شكل مجموعات من **الخطوط المتوازية المتمركزة في النقاط حيث تتصل بالعظم قائلاً:**

«لقد وجدنا علامات حزٍّ، ومما لاشك فيه أنها حدثت بسكين من الصوان في الشدفة من العظم الصدغي عند النقطة حيث تنشد عضلة العنق الكبرى تمامًا. إن هذا النموذج من الحز ـ الذي يتكرر في مناجم أخرى عُرف فيها وجود ظاهرة أكل لحوم البشر ـ يتيح سحب فروة الرأس وتفكيك مفاصله».

كان النياندرتاليون(٣) جزارين خبراء

تعد علامات عظمية أخرى ـ متطابقة على نحو ميليمتري مع ما وُجد في بعض عظام الحيوانات التي اكتشفت في غران دولينا ـ شهادة واضحة على أن الإنسان السلف كان يُقطع جثث مجانسيه ويعريها من اللحم. ويقول عالم الآثار شارحًا ذلك:

«كان هذا النوع الذي يستخدم أيضًا حافات مدورة لكسر القسم الأوسط من العظام الطويلة ليستخلص مخها المغذي». ويضيف: «إن علامات المجزرة الظاهرة على **العظام هي الدليل على وحشية فن طبع السلف. كان الإنسان السلف يستهلك أي نمط من أنماط اللحم بما في ذلك لحمه».**

لقد انتشرت بشرية أكثر حداثة منذ ما يراوح بين ١٢٧٠٠٠ و ٣٠٠٠٠سنة، وكانت هذه البشرية تمارس أكل لحم البشر أيضًا. والمقصود هنا الإنسان النياندرتالي، أي إنسان نياندرتال. وقد أثارت الحزوز والحروق وعلامات الطرق الموجودة على بقايا المستحاثات حتى زمن قريب ضروبًا عدة من الجدل. وأكثرها انتشارا هي بلا أدنى شك مما يَخُصّ منجم كرابينا Krapina النيا ندرتالي في كرواتيا الذي اكتشف عام ١٨٩٩م. يؤكد بعض الخبراء من أمثال روسل M.D Russell من جامعة أوهايو في الولايات المتحدة بأن نياندرتاليي كرابينا كانوا

يمارسون دفنًا على طورين:

أولاً - كانت قد قُطعت أوصال الجثث، ونزع عنها اللحم، ثم تكسرت بضغط الرسوبيات، أو سحقت بكاتلات الحجر، أو حتى بتقنيات الحفر البدائية التي استخدمها المختصون في دراسة الجماعات البشرية (الأنثروبولوجيون). وتعد كرابينا في رأي الكثيرين قبرًا جماعيًا تزعزع مصادفة.

من المتوقع استفحال أكل لحوم البشر لسد الرمق نتيجة لزيادة السكان وسوء التغذية اللذين سيعاني منهما جزء كبير من البشر

علامات أكل لحوم البشر في غار فرنسي

تجاه هذه الفرضية يقفُ العلميون الذين يرون في المستحاثات الكرواتية آثار الوحشية. ويؤكد تيم وايت Tim White وزميله نيكولاس توث Nicholas Toth من جامعة أنديانا في الولايات المتحدة أن علامات المستحاثات النياندرتالية مطابقة للعلامات الملاحظة على العظام البشرية المكتشفة في مانكوس Mancos في كولورادو، والتي تعود إلى عام ١١٥٠ من عصرنا، والتي تم فيها التحقق من أكل لحوم البشر.

ولكن يبدو أن الجدل حول الطبيعة الوحشية لإنسان نياندرتال قد بُتّ باكتشاف دلائل مستحاثية جديدة في الغار الفرنسي مولاغري Moula - Guery في منطقة أردش Ardeche. ففي أيلول/ سبتمبر من العام الماضي وجد فريق من علماء الآثار برئاسة ألبان دوفلور Alban De Fleur من جامعة مرسيليا ٧٨ قطعة عظمية تعود في تاريخها القديم إلى ١٠٠٠٠٠ سنة، وتنتمي إلى ستة أفراد على الأقل، وبلغ تعداد عظامها الحيوانية ٤٠٠ عظمة. وقد دلت العلامات التي أحدثتها فيها حافات الحجر على أن النياندرتاليين كانوا جزارين حقيقيين. ويقول دو فلور: «إذا استنتجنا أن بقايا الحيوانات هي ما تخلف عن وليمة، فعلينا أن ندرج ضمنها العظام البشرية».

وفيما يتعلق بالحزوز الظاهرة على العظام التي أزيل اللحم منها، والكسور التي تظهر على مستحاثات بلاد الغال هذه، فقد صرح المختص بدراسة المجتمعات البشرية (الأنثروبولوجي) خوان لويس أرسواغا Arsuaga في مجلة العلم Science:

«إني أرى أنه سلوك بشري للغاية، إنه يشير إلى وجود عقل بشري. إن الإنسان وحده هو الذي يمارس الوحشية على نحو نظامي، هذا هو الوجه الأدكن للعملة البشرية».

مؤسسة اجتماعية بقواعد صارمة جدًا

غير أن ممارسة أكل لحوم البشر لدى سكان ما قبل التاريخ، والتاريخ الأكثر حداثة لا يمكن أن يكون دليلاً على رمي البشرية بالهمجية أو البدائية أو التشبه بأساليب الأقدمين. علينا ألا ننسى أن أكل لحوم البشر - إلا في حالات متطرفة من العوز والمرض العقلي - هو مؤسسة اجتماعية ذات قواعد صارمة، وفي إطار القيام بشعائر محددة على نحو كامل. هكذا يتم انتقاء الفريسة التي سيضحى بها أو الجثة المعدة للاستهلاك بعناية تامة، وكذلك حال الأجزاء المتناولة.

تقول ماريلين باتو - ماتيس Marylene Patou Ma-this من معهد علم الإحاثة البشرية Paleonthropolo-gy في باريس:

«يتمتع الدماغ - مثلاً - والذي يعد مقر القوة - بامتياز لدى القبائل الملانيزية». ترى هذه الباحثة أن الوحشية «توافق تجسيم الأساطير والمعتقدات، وتنحشر في بعض المخططات الرمزية العائدة إلى طبيعة الموت، وتمثيلات عالم السلف والحمل والولادة». إن الأسطورة الأكثر شيوعًا هي خلق الإنسان وتخليده: في طعام آكل لحوم البشر يسهم كل عيِّل في إعادة توليد المجموعة.

المراجع والهوامش

* Vulven Los Canibales, Enrique M. Cobrias, Muy sop. 2000

1- Martin Monestier "Cannibales" Le chercho Midi Editeur

٢- أصل الذكاء INtelligence Quotion رقم يمثل ذكاء المرء كما تحدده قسمة سنه العقلي على عمره الزمني، وضرب حاصل القسمة بمئة.

٣- نيا ندرتالي منسوب إلى وادي نياندرتال Neanderlal قرب دوسيلدورف بألمانيا حيث وجدت بقايا هيكل عظمي لإنسان قديم.



الشَّخِير

غازي عمر تدمري
إستانبول - تركيا



تقول إحدى الحكم العالمية الشهيرة: «اضحك تضحك لك الدُنيا، اشخر فتنام وحيداً».
إنّ عادة الشَّخِير ليست موضع مُزاح لدى الأشخاص المُصابين بأمراض نومية خطيرة، فقد ينتج من تلك العادة السيّئة مشكلات طبية جسيمة، بالإضافة إلى مضايقات جمّة على مستوى العلاقات الاجتماعية. ففي حال ظهور تلك العلّة لدى شخص وتفاقمها إلى أن تصبح معه عادة يومية، فالأفضل عدم إهمالها أو التخفيف من أهميتها. ولحسن الحظ، فإنّ تطوّر علوم الطب أسهم بقدر كبير في فهم مرض الشخير مما جعل التخلص منه مسألة باتت في متناول اليد.

يعدُّ الشخير من أكثر العادات البشرية المزعجة انتشاراً. يشخر من البالغين الذين تراوح أعمارهم بين ٣٠ و ٣٥ سنة، ٢٠٪ من الرجال و ٥٪ من النساء ليلاً. أمّا من البالغين عمر الستين، فترتفع النسبة إلى ٦٠٪ من الرجال و ٤٠٪ من النساء. ولم يكشف العلم حتى الآن سبب انتشار عادة الشخير في الرجال أكثر منها في النساء.

وتدّعي أسطورة قديمة أنّ الرجال يُصدرون أصوات الشخير المزعج ليلاً ليحْموا بها زوجاتهم من الوحوش.

يتفرّد الإنسان بعادة الشخير دون مُعظم المخلوقات الأخرى، ويُعتقد أن عادة الشخير؛ ظهرت لدى الإنسان حين اعتاد النوم على ظهره؛ فالحيوانات البريّة لا تشخر؛ وذلك لأنها تنام على بطنها أو على جنبها مما يرفع فكّها

الأسفل، فيحول دون صدور صوت الشّخير. ويُستثنى من الحيوانات كلاب البولدوغ Bulldog كما هو الحال مع سائر الكلاب القصيرة الرأس، إذ تُصدر شخيراً رهيباً خلال نومها. ولوقف شخيرها تخضع تلك الحيوانات لعمليّة جراحية يُقطع فيها الحنك واللّهاة Uvula لمنعها من الاحتكاك عند التنفس خلال النوم.

لا تعرف عادة الشخير تفرقة بين البشر، فكلّ إنسانٍ معرض في يوم ما لينضم إلى صف الشاخرين بغضّ النظر عن مركزه الاجتماعي أو السياسي. يُحكى أنّ ٢٠ رئيساً من رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية تملّكتهم عادة الشخير خلال النوم. فقد ذكرت إحدى الروايات مثلاً، أن الرئيس السابق تيودور روزفلت أطلق


قد يهجر الشاخر غرفة النوم ليريح شريكه

العنان لشخيره ليلة في مستشفى لجأ إليه للعلاج إلى أن تذمّر منه كلّ المرضى في الطابق معه. وذكرت النساء اللواتي عاشرن موسوليني أنه كان فناناً في الشخير. وعرف رئيس وزراء بريطانيا السابق، تشرشل، بشخيره المُزعج الذي يبلغ معدّل قوته نحو ٣٥ ديسيبلاً (معيار لقياس قوة الصوت) حسب رواية ضابط بحري ضيفه ليلة على متن باخرته في عام ١٩٤٤م. أما من تصدّر لائحة أقوى الشّخّيرين في العالم، فهو السويدي كاري والكر Swede Kare Walker الذي شخر في مستشفى أوريبرو Orebro السويدية، وبالتحديد في ليلة ٢٤ أيار/ مايو من عام ١٩٩٣م بقوة ٩٣ ديسيبلاً على ما ذكره كتاب غينيس Guinness للأرقام القياسية.

التأثير الاجتماعي للشخير

قد لا تتأثر بعض العائلات من وجود شخص يشخر ليلاً خلال نومه، إلا أنه، وفي أغلب الأحيان، قد يتنغّص الكثير من الأفراد نتيجة وجود شخّير بينهم يكون مصدر إزعاج وقلق لأفراد العائلة؛ مما يعرّضه للسخرية الدائمة، ويبذل أعضاء العائلة أقصى جهدهم لمحاولة تجنّب المضايقات الليلية الصادرة عن أصوات الشخير، وذلك إما بتناول الحبوب المنوّمة، وإما باستعمال حشوات قطنية للأذنين، وإما برمي الشاخر خارج السرير!

وتذكر ملفّات القضاء الأمريكية أنّ جون ويسلي هاردين John Wisley Hardin، وهو من رُعاة الأبقار المشهورين في ولاية تكساس، تضايق في ليلة من شخير جارٍ له في الفندق الذي نزل فيه، فأطلق رصاصة باتجاه حائط الغرفة فاخترقته وقتلت المسكين، ويُذكر أيضاً أنّ عدداً من الزوجات قمن بتصرفات عنيفة تجاه أزواجهن بسبب قوة الشخير لديهم؛ ففي الثالث من كانون الأول/ديسمبر من عام ١٩٨٣م، اعتُقلت امرأة في مدينة دالاس الأمريكية بجُرم قتل زوجها حين كان يشخر خلال نومه بخمس رصاصات وجهتها إلى جسده.


روزفلت أزعج المرضى


موسوليني كان شخّيراً مشهوراً

وبذلك نستنتج أن الشاخر غالباً ما يؤثر في شريك غرفة نومه. ولتجنب الإزعاج قد يقوم ذلك الشريك، ويهجر غرفة النوم سعياً وراء الراحة. وقد لا يتزوج بعض الناس من شخص عُرف بعادة الشخير حتى يشفى أو يُعالج من مرضه. وكثيراً ما يقوم أفراد الأسرة بالتعليق بالفكاهات والنُكت على فرد عُرف بشخيره المُزعج خلال النوم. وغالباً ما تسيطر حالات من السهو المفاجئ لدى الشّخّيرين خلال قيادة عرباتهم، أو مشاهدة التلفاز، أو تناول العشاء، أو حين الحديث إلى زوجاتهن. وعلى الرغم من قدرة بعض الناس على النوم في بيئة تكثر فيها الضوضاء، إلا أن الكثير من الناس لا يستطيعون تحمّل ذلك على الإطلاق. فقد

سُجل أن الكثير من هؤلاء ظلوا مستقلين في سررهم ساعات وساعات دون أن يتمكنوا من النوم بسبب تنوع الأصوات التي يصدرها الشاخر بجانبهم. وقد تكون تلك الأصوات مفزعة إلى درجة أن يظنّ المرء أنها غرغرة الموت.

مرض الشخير

يُعدّ مرض الشخير دليلاً على وجود عدة أمراض. وتصدر عادةً أصوات الشخير من احتكاك الأنسجة الليّنة في مجاري التنفس، خاصة بين الفلكة (ويُعرف أيضاً باسم لسان المزمار، وهو مصراع من غضروف وغشاء يوجد عند قاعدة اللسان على الجدار الباطني للبلعوم) والمنْخر الداخلي. وتشتمل تلك المنطقة على



الشخير قد يكون دليلاً على أمراض كثيرة

الحنك الرّخو واللّهاة واللوزتين والشُعيرات اللُغديّة وأسفل اللسان وعضلات القصبة الهوائية والطبقة المخاطيّة، وتساعد أربعة عوامل مجتمعة أو منفردة على عملية الشخير:

- ففي البالغين تكمن العلّة في عدم انتظام مواقع العضلات اللغدية والفكية وعضلات القصبة الهوائية بعضها مع بعض. وبنتيجة الأمر، وحين يصل النائم إلى مرحلة النوم العميق تتمدد تلك العضلات فتسدّ الممر الهوائي خلال عملية الشهيق، ويتراجع اللسان إلى الخلف، ويقع على فوهة القصبة الهوائية، فيرتجف كلما مر الهواء فيرتطم بالفك السُفلي واللُهاة والأنسجة الموجودة في البلعوم. وقد تتضاعف تلك الظاهرة عند النوم بعد تناول المشروبات الكحولية أو الحبوب المهدئة أو المسكنات أو المضادات الحيوية. ويُساعد داء نقص التّدرُّق hypothyroidism وجملة من الأمراض العصبية على ارتخاء عضلات الجسم، مما يُساعد على ظهور صوت الشخير. ويا للأسف، فإنّ الكشف عن ظاهرة ضعف العضلات في هذه الحالات ليس بالأمر اليسير. ولكن الملاحظ أنّ كل الأمراض التي تُساعد على ظهور عادة الشخير يجمعها عامل مشترك وهو وجود ثنيات عمودية في أنسجة البلعوم الخلفية.

- قد يساعد تضخم بعض الأعضاء المحيطة بالمجاري التنفسية على صدور صوت الشخير. فقد يشخر الأطفال عادة بسبب تضخم اللّوز (بنات الأذن) والغدّانيّات ade-noids. وتظهر مشكلة تضخم اللوز عادة في ثُلث عدد البالغين من البشر. وقد يكون فقدان التحكم في وضع اللسان في مقدمة الفم عاملاً آخر يساعد على إصدار صوت الشخير. فالمصابون بمتلازمة داون Down,s Syndrome (المعروفة أيضاً باسم متلازمة الهَبَل المنغولي) والعبَل (أو عظم الأطراف) acromegaly غالباً ما يُرافقهم عارض تضخم اللسان. وقد يتسبب ظهور بعض الأكياس أو الأورام في حالات نادرة بصدور صوت الشخير خلال النوم.

- ويتسبب الطول والنعومة في كلٍّ من الحنَك واللّهاة بتضييق فتحة الممر التنفسي مما يساعده على الاهتزاز خلال النوم.

- ويتسبب وجود احتقان ما في المنخرين في حدوث خلاء في المجاري التنفسية مما يدفع الأنسجة الناعمة المحيطة بها للارتجاج والارتطام بعضها ببعض خلال التنفس مما يصدر عنه صوت الشخير. ولذلك نرى أن الأشخاص غير المعروفين بعادة الشخير غالبا ما يصبحون شخّيرين حين يصابون بالأنفلونزا أو بعض أنواع الحساسية التنفسية.

مرض البهر
أو انقطاع التنفس خلال النوم

لعلّ أسوأ أمراض الشخير المعروفة لدى البشر داء البُهر أو عُسر التنفس خلال النوم apnea (مشتقة من كلمة إغريقية تعني الحاجة إلى التنفس)، وقد يتسبب بمضاعفات خطيرة في القلب والرئتين والتصرفات

العامة. فإذا كان الشخير يعني وجود عرقلة الهواء في المجاري التنفسية فإن البُهر يعني انسداد تلك المجاري تماماً. ففي الحالات المتقدمة قد يصل الشّخير إلى مرحلة يتوقف فيها نفسه نهائياً فيجهد خلال نومه سعياً لالتقاط بعض الهواء. وفي خلال ثوانٍ قليلة ينْخَر (يشخر بقوة) المرء بشكل مزعج جداً حتى يصحو فيلتقط بعض الهواء، ويعاود النوم. وقد تترافق هذه المرحلة مع ظهور أعراض مختلفة أخرى كالركل بالأيدي أو تشنّج كامل الجسد. وقد يقوم الإنسان، نصف المتيقظ في تلك الفترة من السرير، أو يقع من فوقه. ومن الطبيعي ألاّ يتمكّن إنسان آخر من مجاورة المريض في غرفة النوم نفسها في ظل تلك الظروف المؤرّقة.


الشاخر محروم من نوم عميق كهذا

وإذا حدثت تلك النوبة بشكل نادر، فليس هنالك من مشكلة على الإنسان، وذلك لأنّ هذا أمرٌ طبيعي بالنسبة إلى البالغين. ولكن إذا استمرّت إحدى نوبات البُهر أكثر من ١٠ ثوان، أو إذا تكررت من ٧ إلى ١٠ مرات في الساعة، فهذا دليل واضحٌ على وجود علّة يجب الإشراف عليها على يد اختصاصي. وقد يصل معدّل توقّف التنفس إلى نحو ٣٠ ثانية لدى بعض المرضى، كذلك قد تتكرر هذه النوبات مئات المرّات خلال الليلة الواحدة، وبهذا يكون المريض قد أمضى نصف ليلته محروماً من الهواء والنوم.

ويؤدي تكرار عملية الاستيقاظ والنوم لدى مرضى البُهر إلى عواقب وخيمة، من أهمها الشعور بعدم الاكتفاء من النوم، والشعور بفقدان النشاط حين الاستيقاظ في الصباح، والشعور بالنعاس الدائم خلال ساعات النهار. وقد يسهو المرء أو ينام خلال مزاولته عمله أو قيادته مركبته أو القراءة أو محاورة شخص أمامه. والأخطر من كلّ ذلك تسبّبُ البُهر بنقص أكسجة الدم hypoxemia وتأثُّر القلب بهذا النقص. كذلك تتعطل تهوية الرئتين مما يؤدي إلى تحسّسها، وإلى زيادة معدّل خفقان القلب، وإلى فرط التوتر hyperten-sion في أكثر من نصف المرضى. وبهذا الشكل أيضاً تتلاعب معدّلات نسب الأكسجين وثاني أكسيد الكربون في الدم مما يؤدي بدوره إلى عدم انتظام خفق القلب cardiac arrhythmias في معظم المرضى، وقد يكون هذا الأخير السبب الأهم وراء الموت المفاجئ لأكثر من ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ مريض بالبُهر في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها.

وقد لاحظ العلماء أنّ الأطفال ذوي اللوز والغدّانيات الضخمة هم أكثر عُرضة لحدوث اختلالات في القلب والنموّ والتعلّم والتصرفات العامّة نتيجة لوجود علّة الشخير أو البُهر. لهذا فإن الأرق لدى الأطفال غالباً ما تُلصق بهم صفة فرط النشاط أو التصرفات غير الاجتماعية.

علاج الشّخير

تُشير ملفّات مكتب براءات الاختراعات في الولايات المتحدة الأمريكية إلى وجود أكثر من ٣٠٠ اختراع مسجّل تحت خانة علاج الشخير. وغالباً ما تكون مجموعات كاملة من تلك الاختراعات أشكالاً مختلفة لفكرة أو مبدأ واحد:

- فبعض تلك الاختراعات تستند إلى طريقة قديمة يربط فيها الإنسان قطعة من الرُّخام ويثبتها وسط ظهره بواسطة حزام مما يُجبره على النوم على أحد جنبيه، فلا يشخر.

- وتعتمد طرائق أخرى على ربط الفكّ الأسفل بالرأس بحزام حتى لا يفتح المرء فمه خلال النوم. كذلك تعتمد طرائقُ أخرى على وضع مسند على الأكتاف يضغط بالفكّ السفلي إلى أعلى فيقفل الفم تماماً خلال النوم.

ولكن كثيراً ما تخفق تلك الاختراعات حين يتمكن الإنسان من أن يشخر دون الحاجة إلى فتح فمه!

- وفي طرائق غريبة أخرى تم تصميم قطعة بلاستيكية توضع في الفم فتمنع سقوط اللسان إلى الخلف وانسداد المجاري التنفسية. وغالباً ما ينفر الكثيرون من وضع أمثال هذه الأدوات في أفواههم خلال النوم.

- وفي اختراع آخر تم تصميم جهاز إلكتروني يُرسل نبضة كهربائية تخز النائم حين يشخر، مما يدربه على التوصل إلى الطريقة الأفضل لتجنب عواقب الوخز!

ويعتقد عدد من العلماء أن مجمل هذه الاختراعات لا يشفي من الشخير مباشرة، بل إن كلّ ما تسبب به هو مجرد إقلاق راحة الإنسان خلال نومه مما يُقلّل بدوره نوبات الشخير.

وللبالغين الذين يشخرون من حين إلى آخر، يُنصح باتباع هذه التعليمات:

- الإكثار من النشاطات الرياضية للتخفيف من الوزن الزائد، ولتقوية عضلات الجسم، وخاصة عضلات الجهاز التنفسي.

- تجنب استعمال الأدوية المهدئة والمنومة والمضادة للحساسية قدر المستطاع.

- تعود النوم على أحد الجنبين عوضاً عن التمدّد على الظهر.

- رفع السرير من جهة الرأس قليلاً.

- ربط العنق قبل النوم ليبقى الفك السُفلي مرفوعاً، وتجنب النوم على وسائد غليظة.

- الإكثار من شرب السوائل المنبهة (كالكولا والقهوة والشاي) قبل النوم لإتاحة الفرصة أمام شريك غرفة النوم للخلود إلى النوم قبل أن ينام الشخّير، على الرغم من أن شخرة واحدة في منتصف الليل كفيلة بأن توقظ ذلك المسكين، وتؤرقه الليل بكامله!

وقد أثبتت بعض الأدوية المضادة للاكتئاب قدرتها على وقف عادة الشخير لدى فئات معيّنة من البالغين. إذ تساعد مادة البروتريبتيلين protriptyline مثلاً على تقليص مرحلة النوم العميق خلال الليل، التي تشهد أكثر نوبات الشخير والبُهر. ولكن لا يمكن إغفال العوارض الجانبية لتلك الأدوية، ونذكر منها على سبيل التعداد وليس الحصر: النُعاس الدائم، وورود أحلام وكوابيس خلال النوم، والإمساك، واحتباس البول، وضعف القُدرة الجنسية، وعدم انتظام خفقان القلب. وحتى إن خففنا من أهمية تلك الأعراض فإنّ أي إنسان عاقل ليس بإمكانه الاعتماد على تلك الأدوية طوال فترة حياته.

وقد تُساعد بعض العمليات الجراحية التي تعتمد تطبيقاتها الحديثة على مبدأ الحرق بالليزر في تصحيح وإعادة تشكيل المجاري التنفسية، بحيث تُزال كل العوائق التي تمنع مرور الهواء بهدوء خلال النوم. وغالباً ما تنجح تلك العمليات في وقف عارض الشخير لدى الشخّيرين «المحترفين» والمرضى بالبُهر. وتعدّ عملية التفقم الرغماوي tracheostomy (أو فتح فوهة في الرُغامى - القصبة الهوائية - من العُنق) الحلّ الأمثل لذوي الحالات القُصوى من مرض البُهر. ولكن يقف العامل النفسي للمرضى أو لعائلاتهم حائلاً دون القيام بتلك العملية بسبب التشوه الذي يطرأ على شكل المريض، والأصوات التي يصدرها خلال تنفسه، والعناية الفائقة التي يتطلبها بعد العملية.



بعض الأدوية يساعد على وقف الشخير، ولكن قد يسبب النعاس أو الكوابيس في أثناء النوم

ويعدّ ظهور الشخير والبُهر أمراً غير طبيعي في حال حدوثه لدى الأطفال، كما ذكرنا آنفاً. وإذا لم تُكشف مسببات أي من الحالتين في الطفل، فإن عملية استئصال اللُوز أو الغُدّانيّات قد توصل إلى راحة تامّة، ونتائج إيجابية فورية لديهم.

التنبؤ بالزلازل

احتمالات النجاح والإخفاق

عماد عبدالرحمن الهيتي
طرابلس - ليبيا

الزلازل هي من أعنف الكوارث الطبيعية وأوسعها انتشارًا على سطح الأرض، وتنتج من حركة اهتزازية سريعة في صخور القشرة الأرضية ناجمة عن التحرر المفاجئ لطاقة المرونة المخزونة في الصخور. والزلازل جزء من حياة الأرض، وجزء مأساوي من تاريخ الإنسان، ولا يمر عام من دون أن نسمع بعشرات الزلازل القوية والمدمرة كزلزال أزميت في تركيا عام ١٩٩٩م.

وللتقليل من أخطار الزلازل على الإنسان وممتلكاته، لابد من العمل في اتجاهين: هما التنبؤ بالزلازل، وتخفيف المخاطر الزلزالية، وفي مقالتنا هذه سوف نتناول موضوع التنبؤ بالزلازل.

يعرف التنبؤ بالزلازل بأنه التحديد الدقيق لموقع الزلزال المتوقع حدوثه وزمانه وقوته. ومن التعريف يتبين أن التنبؤ الدقيق يتطلب الإجابة عن ثلاثة أسئلة هي: أين يقع الزلزال؟ ومتى يقع الزلزال؟ وما مقدار الزلزال؟

لحسن حظ الإنسان فإن الزلازل لا تنتشر على سطح الأرض، وإنما تتركز في مواقع تسمى بالأحزمة الزلزالية، ومن أهم هذه الأحزمة، الحزام الذي يحيط بالمحيط الهادي ويغطي ٨٠٪ من زلازل العالم، والحزام الزلزالي في وسط المحيط الأطلسي، وفي منطقتنا هناك حزام الألب - الهمالايا والذي تقع عليه ١٥٪ من زلازل العالم، والذي يمتد من المحيط الأطلسي ماراً بجنوب أوروبا وتركيا وإيران حتى جبال همالايا، ويتأثر الجزء الغربي من المملكة العربية السعودية بهذا الحزام.

مما تقدم يتبين أن أكثر من ٩٥٪ من الزلازل التي تزلزل العالم تتركز في هذه الأحزمة، وهذا يعني أننا نستطيع الإجابة عن السؤال الأول المتعلق بمكان حدوث الزلازل.

السؤال الأهم الذي تصعب الإجابة عنه، هو التحديد الدقيق لزمن حدوث الزلزال، والذي لم يتمكن الإنسان حتى الآن، من إيجاد جواب له، أما الإجابة عن السؤال المتعلق بالمقدار الزلزالي للزلزال المتوقع حدوثه فهي ممكنة، إذا توافر لعلماء الزلازل سجل دقيق للزلازل التي حدثت في منطقة الدراسة يتناول فترة زمنية تمتد عدة مئات من السنين، وباستخدام وسائل التحليل الإحصائي،



ألم خلفه الزلزال، ولكن الحياة تستمر!!

وبالتحديد نظريات الاحتمالات، يمكن تحديد المقدار الزلزالي للزلزال المتوقع حدوثه خلال فترة زمنية معينة؛ ومن المعروف لدى علماء الزلازل أن الفترة الزمنية لتكرار الزلزال تقل كلما كان المقدار الزلزالي أقل، فمثلاً تكرار حدوث زلزال بمقدار زلزالي ٢ على مقياس ريختر يستغرق فترة زمنية أقل من زلزال بمقدار ٣ على مقياس ريختر، وهذا يعني أن عدد الزلازل يتناسب عكسياً مع المقدار الزلزالي.

مما تقدم يتبين أننا بعيدون عن معرفة زمن وقوع الزلازل وهو الأهم في موضوع التنبؤ، على أن ذلك لم يمنع من البدء في كثير من البلدان وبعد عدد من الكوارث الزلزالية بتكوين منظمات ومؤسسات علمية تهتم بالتنبؤ بالزلازل، وتُعدّ بلدان مثل الصين واليابان وروسيا وأمريكا وكندا رائدة في هذا المجال، بل إن الصين عدّت موضوع مراقبة النشاط الزلزالي والتنبؤ بالزلازل مهمة شعبية وطنية، فقد كونت إدارة مركزية للزلازل، ثم إدارات ومحطات كثيرة في المقاطعات والمدن الصينية التي تعاني من الزلازل، وتتلخص مهمات هذه المؤسسات بتسجيل كل الظواهر الفيزيائية والكيميائية والجيولوجية والجيوفيزيائية وتحليلها وتصرف الحيوانات قبل حدوث الزلازل، وتُعرف هذه الظواهر بالنذر الزلزالية.

النذر الزلزالية

النذر الزلزالية هي الإشارات التي تسبق حدوث الزلزال، وهذه الإشارات تمثل تغيراً في بعض الخواص والظواهر الفيزيائية والكيماوية والهيدرولوجية والجيولوجية والجيوفيزيائية بالإضافة إلى السلوك غير الطبيعي لبعض الحيوانات.

فمن النذر الزلزالية التي تسبق حدوث الزلزال، زيادة عدد الهزات الأرضية في المنطقة، فقد دلت عمليات الرصد والمراقبة أن الهزة الرئيسة في الغالب تسبقها هزات تسمى بالهزات السابقة، كذلك سجل العلماء تغيراً في سرعة الموجات الزلزالية الطولية يسبق حدوث الهزة الأرضية، وعُدّ هذا نذيراً بحدوث هزة كبيرة، ومن النذر الأخرى التغيرات في المجال المغناطيسي والجذبي والكهربائي والكهرومغناطيسي للأرض قبيل وقوع الزلزال، وتبين لعدد من علماء الزلازل أن موجات صوتية تنشأ قبل حدوث الزلزال يمكن أن تكون نذيراً بحدوث زلزال، ولكي تُلتقط هذه الأصوات، يدفن جهاز التقاط الأصوات داخل الأرض بعمق محدد، وربما يوضع في بئر مملوءة بالماء.

ومن النذر الزلزالية الأخرى التغير في ارتفاع

ومـيل سطح الأرض الذي يـسبق حـدوث الزلزال، ويتم تسجيل ذلك بواسطة أجهزة قياس معينة عالية الحساسية، وتُستعمل هذه الطريقة في اليابان كثيراً، والآن تُستخدم أشعة الليزر في قياس ارتفاع وميل سطح الأرض.

سجّل العلماء في بعض المناطق الزلزالية، تغيراً في تركيز غاز الرادون يسبق حدوث الزلزال، لذلك عدّ تغيّر تركيز غاز الرادون أحد النذر الزلزالية، كذلك تُعدّ التغيرات التي تحصل في الخواص الفيزيائية والكيماوية للمياه السطحية والجوفية نذيراً بقرب حدوث زلزال؛ فعلى سبيل المثال، سُجلت تغيرات في مستوى الماء الجوفي وتغير درجة حرارة الماء الجوفي، سبقت حدوث زلزال معين. كذلك لوحظت هناك أيضاً تغيرات في آبار النفط والغاز. وهنا لابد من التنويه بأن أية ظاهرة فيزيائية كانت أو جيولوجية أو كيماوية، لا تُعدّ نذيراً زلزالياً إلا إذا كانت تتعرض للتغير قبيل حدوث الزلزال.

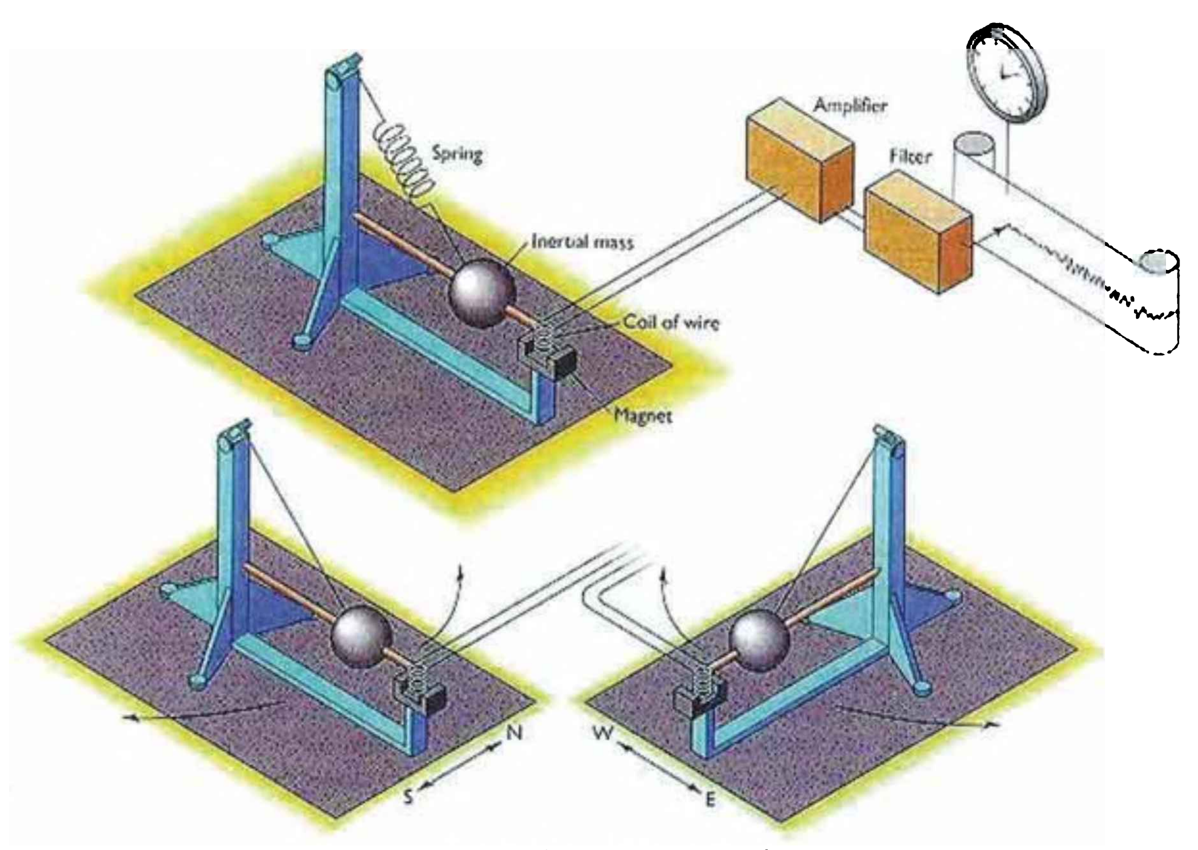
فمنذ القدم يعلم الناس أن الحيوانات تمتلك وسائل إحساس خاصة تشعر بحدوث الزلازل قبل وقوعها بفترة قصيرة جداً، لذا يهتم العلماء في الأقطار الزلزالية بمراقبة تصرفات الحيوانات داخل البيوت أو في الحظائر أو في حدائق الحيوانات، ومن المعروف أن الأبقار والخيول والقرود والكلاب والقطط تعاني من الاضطراب قبل وقوع الزلزال ببضع ساعات، وأكثر الحيوانات اضطراباً تلك التي تعيش في باطن الأرض كالثعابين والفئران وسواها، إذ إنها تهرب من جحورها خائفة، ويفسر تصرفها هذا بظهور أمواج كهرومغناطيسية قبيل وقوع الزلزال تستقبلها هذه الحيوانات فتؤثر في جهازها العصبي فتنفعل بشدة.

حالة تنبؤ ناجحة

مكّنت الخبرات والتجارب التي اكتسبها علماء الزلازل من التنبؤ بوقوع عدد من الزلازل، بعضها أصاب وأغلبها خاب، وخير مثال على تنبؤ ناجح بوقوع زلزال، هو ما جرى في نهاية عام ١٩٧٣م، فقد



النُذر الزلزالية إلى أي حد يمكن أن تساعد على التنبؤ بالزلزال؟!



أجهزة قياس الزلازل في حالة استنفار دائم

تجمعت في أحد مراكز الرصد الزلزالية في الصين معلومات نقلها السكان ومختصون في الجيوفيزياء «فيزياء الأرض»، كلها تشير إلى وجود مظاهر طبيعية غير اعتيادية، إذ لوحظ تبدل في مستوى الماء الجوفي في الآبار وارتفاع وانخفاض في خط الشاطئ في شبه جزيرة لياودون، وظهور تذبذبات واضحة في المجال المغناطيسي الأرضي، وهكذا تم في مطلع عام ١٩٧٤م تحديد المناطق المرشحة لوقوع الهزات الأرضية، ولقد شملت هذه المناطق مدنا مهمة مثل أينكوي وهايجين ولياويان، وفي ١ - ٢ شباط / فبراير ١٩٧٤م، لاحظ مراقبو أجهزة الرصد الزلزالية وجود الكثير من الهزات الأرضية الخفيفة، وقرروا أنها هزات سابقة لهزات أرضية أقوى مدمرة قريبة الحدوث، وبالفعل في منتصف اليوم الرابع من شباط/فبراير لوحظ اندفاع أعداد كبيرة من الثعابين من باطن الأرض إلى الحقول الباردة المغطاة بالثلوج، ونتيجة لذلك أعلن الاستعداد العام في المنطقة وأمر الناس بإخلاء بيوتهم وأطلق سراح الحيوانات المنزلية، وأبعدت السيارات عن مواقع تجمعها، ووضع العجزة والمرضى في أماكن مقاومة ومحمية مهيأة لمثل هذه الظروف، ومرت بضع ساعات ثقيلة وعصيبة، ينتظر فيها الناس المجهول بخوف، وفي الساعة السابعة و ٣٦ دقيقة مساءً زلزلت المنطقة، وكان هذا الزلزال قوياً بلغ مقداره ٧ر٣ على مقياس ريختر، وهدم في أكثر الأماكن تضرراً ٩٠٪ من البيوت والمنازل، وتضررت السدود والجسور والقنوات، إلا أن الوفيات كانت محدودة نسبياً، ولم تزد على بضع مئات، ولولا توقع الزلزال لبلغ القتلى الآلاف، بسبب كثافة السكان العالية.

حالات تنبؤ مخفقة

تعد التجربة السابقة، التجربة الناجحة الوحيدة لعلماء الصين والعالم في تعرف الموعد التقريبي لوقوع الزلزال، ولتفادي خسائر كبيرة، بجانب هذه التجربة الناجحة، كانت التجارب الأخرى خائبة سواء في الصين أو في الأقطار الزلزالية الأخرى، فعلى سبيل المثال، أخفق علماء الزلازل الصينيون بالتنبؤ بزلزال ٢٦ يوليو/تموز ١٩٧٦م والذي كان مقداره ٧ درجات على مقياس ريختر، والذي تسبب في تخريب كبير، ووفاة أعداد كبيرة من الناس.

لقد اقتنع علماء الزلازل على أساس المعطيات المختلفة التي توافرت لديهم بزوال الخطر، ولكن وضح فيما بعد أن زلزال ٢٦ يوليو / تموز لم يكن سوى هزة سابقة لهزة أعنف لم تكتشف، ففي ٢٧ من الشهر نفسه، أي بعد يوم واحد فقط، انطلقت هزة مباغتة أساسية بلغ مقدارها ٩ر٧ على مقياس ريختر، وسببت وفاة ما يقرب من ٦٥٠ ألف نسمة، لقد تبين للعلماء بعد بضع سنين السبب الذي حال دون معرفة مكان وقوع الزلزال، لقد كانت مؤشرات الزلزال موجودة، ولكنها ضاعت في الطبقات السطحية من القشرة الأرضية، وذلك بتشويش من ضجيج مصانع الصناعات الثقيلة المتمركزة في منطقة الزلزال، ومن هدير الآلات التي تستخرج المواد الخام من المناجم.

وفي الاتحاد السوفييتي السابق توقع العلماء حدوث زلزال في وادي فرغانة، ولكنه لم يحدث هناك، بل على بعد ٤٠٠كم من المكان المتوقع، والشيء نفسه حدث في اليمن، إذ تنبأ بعض المختصين بحدوث زلزال قوي بعد زلزال ذمار عام ١٩٨٢م، مما دفع الكثيرين إلى الخروج من بيوتهم في العاصمة صنعاء، ولكن لم يحدث أي زلزال ذي معنى، بل سلسلة من الهزات الضعيفة، وحدث الأمر نفسه في اليابان في نهاية السبعينيات، فقد أبدت كل الدلائل والظواهر قرب حدوث زلزال في خليج سوروغ الواقع جنوب غرب طوكيو، وتزايدت الدلالات الزلزالية تدريجياً، وأصبح وقوع الهزّة أمراً مؤكداً، كما أبدت المعطيات الجيوفيزيائية ذلك، وظهرت سلسلة من الهزات الخفيفة، لقد مرت الأشهر والسنون ولم يحدث الزلزال.



الزلازل وآثار مدمرة لا حصر لها



وفي نهاية عام ١٩٨٠م تنبأ أحد علماء الزلازل الأمريكان بحدوث أشد الزلازل عنفاً في التاريخ المعاصر، وذلك قرب شواطئ كولومبيا وبيرو وشيلي، وهذا ما أفزع الناس، وأدخل الرعب في قلوبهم، وأدّى إلى الإضرار بالموسم السياحي أيما ضرر، وخسرت هذه



التنبؤ بالزلازل قد يصدق مرة ويجافيه الصدق مرات

الدول مئات الملايين من الدولارات، ولم يحدث أي زلزال. وبعد هذه الحادثة اتخذت الجمعية الزلزالية الأمريكية قرارًا خاصًا بمنع أعضائها من التنبؤ بوقوع الزلازل خارج حدود الولايات المتحدة الأمريكية.

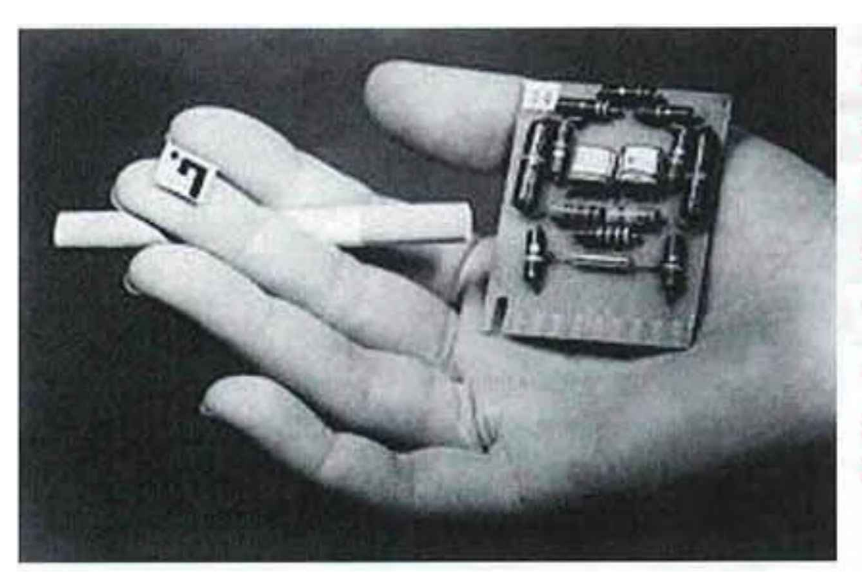
مما تقدم يتبيّن لنا أن مسألة التنبؤ بحدوث الزلزال مسألة ليست بهذه السهولة، فإن صدق التنبؤ مرة فسيجافيه الصدق مرات كثيرة؛ وذلك لأن ظروف نشوء الزلازل شديدة التعقيد، فكثير منها يجري في أعماق الأرض السحيقة ويصعب رصدها وتتبعها، كما يصعب تحليلها وإعطاء صورة واضحة عنها لإصدار الإنذار في الوقت المناسب.

المراجع

١. سهل عبدالله السنوي، مقدمة في علم الزلزال، من سلسلة الموسوعة الصغيرة (١٥٣)، ١٩٨٥م، بغداد - العراق.
٢. شاهر جمال اغا، الزلازل - حقيقتها وآثارها، سلسلة عالم المعرفة (٢٠٠)، أب / أغسطس ١٩٩٥م، الكويت.
3 - Richter, C.Elementary of Seismology, Freeman Company, California,1985.
4 - Bolt, B, Earthquakes Aprimer, San Francisco, 1978.

الترانزستور: أكثر من نصف قرن على اختراعه

عزت طه سليم
القاهرة - مصر



منذ عامين مر خمسون عامًا على إعلان اختراع الترانزستور، الجد الشرعي لكل الإلكترونيات الحديثة، التي أنشأت عالمًا يبدو بغير حدود. العالم الذي لم يفكر أحد في إمكانية وجوده.

أكثر الأمثلة توضيحًا لتأثير العلم في الصناعة - وتأثير الصناعة في العلم - هي أصول البحوث في مجال فيزياء الحالة الصلبة في مختبرات بل الأمريكية (جناح البحوث في شركة AT&T للتليفونات) والتي أهدت للعالم الترانزستور. لقد تطور علم فيزياء الحالة الصلبة في العقود الستة الأخيرة مما أدى إلى نموه بطريقة درامية. وعلى الرغم من أن مصطلح «فيزياء الحالة الصلبة» لم يكن قد استعمل حتى عشرينات هذا القرن، إلا أن هذا المصطلح هو الآن أكثر مجالات الفيزياء شعبية. كثير من هذا النمو حدث في الصناعة، ونتيجة لذلك فإنه يوجد في هذه الأيام عدد غير قليل من مختبرات البحوث الصناعية تنتج نسبة جوهرية من البحوث في هذا المجال.

كانت البدايات لفيزياء الحالة الصلبة والخطوات الأولى في اتجاه الترانزستور جارية في مختبرات شركة بل، بالتحديد مع بداية الحرب العالمية الثانية. وربما الأكثر أهمية بالنسبة إلى تقدم إلكترونيات الحالة الصلبة، المجهود الكبير الذي استثمر في التطوير على مستوى موسَّع لمواد يوجد بها كميات قليلة جدًا من الشوائب، وهي أشباه الموصلات SEMICONDUCTORS. كان السليكون والجرمانيوم النموذج الأول لدراسة أشباه الموصلات بعد الحرب، ثم غدا دورهما جزئيًا لأن تقنية إنتاجها قد أصبحت معروفة.

كما أدت الحرب أيضًا إلى إدراك الدول المتقدمة أهمية الأبحاث التطبيقية والأكاديمية كمورد مهم من الموارد الوطنية.

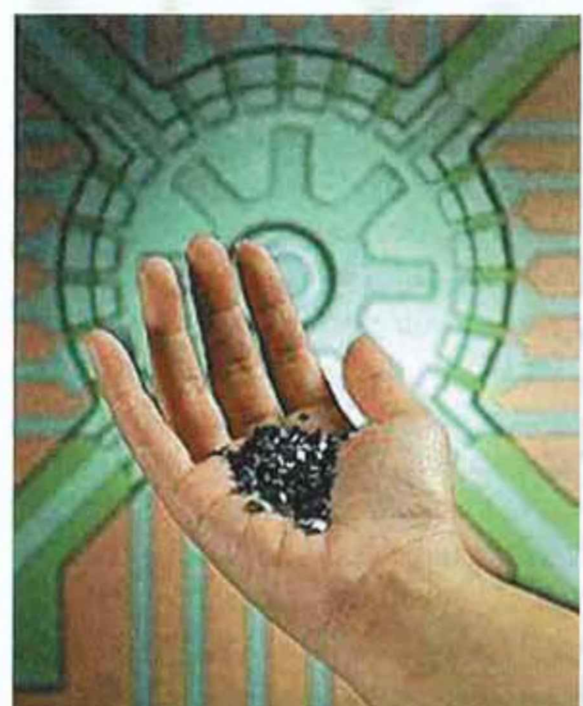
الجذور

ابتدأ كل شيء مع اختراع الصمام المفرغ، وقبل الصمام استعملت الكهرباء في الإضاءة، والتسخين، وفي تشغيل المحركات الكهربائية. وبعد الصمام، استعملت الكهرباء في الإذاعة والاتصالات وإجراء الحسابات. هذا التحول شكّل انتقالاً من العصر الكهربائي إلى العصر الإلكتروني. فالعصر السابق زودنا ببديل لعضلات الإنسان، والأخير زودنا بوسائل صناعية تؤدي الوظائف الإنسانية الأخرى مثل الرؤية، والتحدث، والسمع، والذاكرة.

وكان العبقري الذي أشرف على الانتقال من العصر الكهربائي إلى العصر الإلكتروني هو توماس إديسون. فقد اكتشف أساس تشغيل الصمام المفرغ الذي أصبح حجر الزاوية لكل الأجهزة الإلكترونية.

لقد قام الصمام المفرغ بعمل شيئين أساسيين: تضخيم AMPLIFICATION الإشارة الكهربائية والسماح بمرورها أو إعاقتها بسرعة - أي مقدرة التشغيل والإيقاف. وقد استخدمت مقدرة التضخيم في المعدات الإلكترونية؛ وذلك بأخذ الإشارة الكهربائية المحمولة في الهواء أو عبر سلك وتكبيرها إلى الحد الذي يمكن سماعها بأذن الإنسان، أو رؤيتها بالعين. وكانت مقدرة التشغيل والإيقاف للصمام مفيدة أيضًا في المعدات الإلكترونية.

كانت الاستخدامات الأولية للصمام المفرغ في الاتصالات بالراديو وفي الإذاعة، ولكن استعمالات الصمام في الاتصالات السلكية جاءت مؤخراً في عام ١٩١٥م عندما ابتدأ استعماله في الاتصالات السلكية مضخمًا للإشارات عبر الأسلاك التليفونية. إذ من دون تضخيم ستتذبل الإشارات بعد مسافة قصيرة، وبالتضخيم يمكن للإشارات أن تصل إلى مسافات بعيدة.





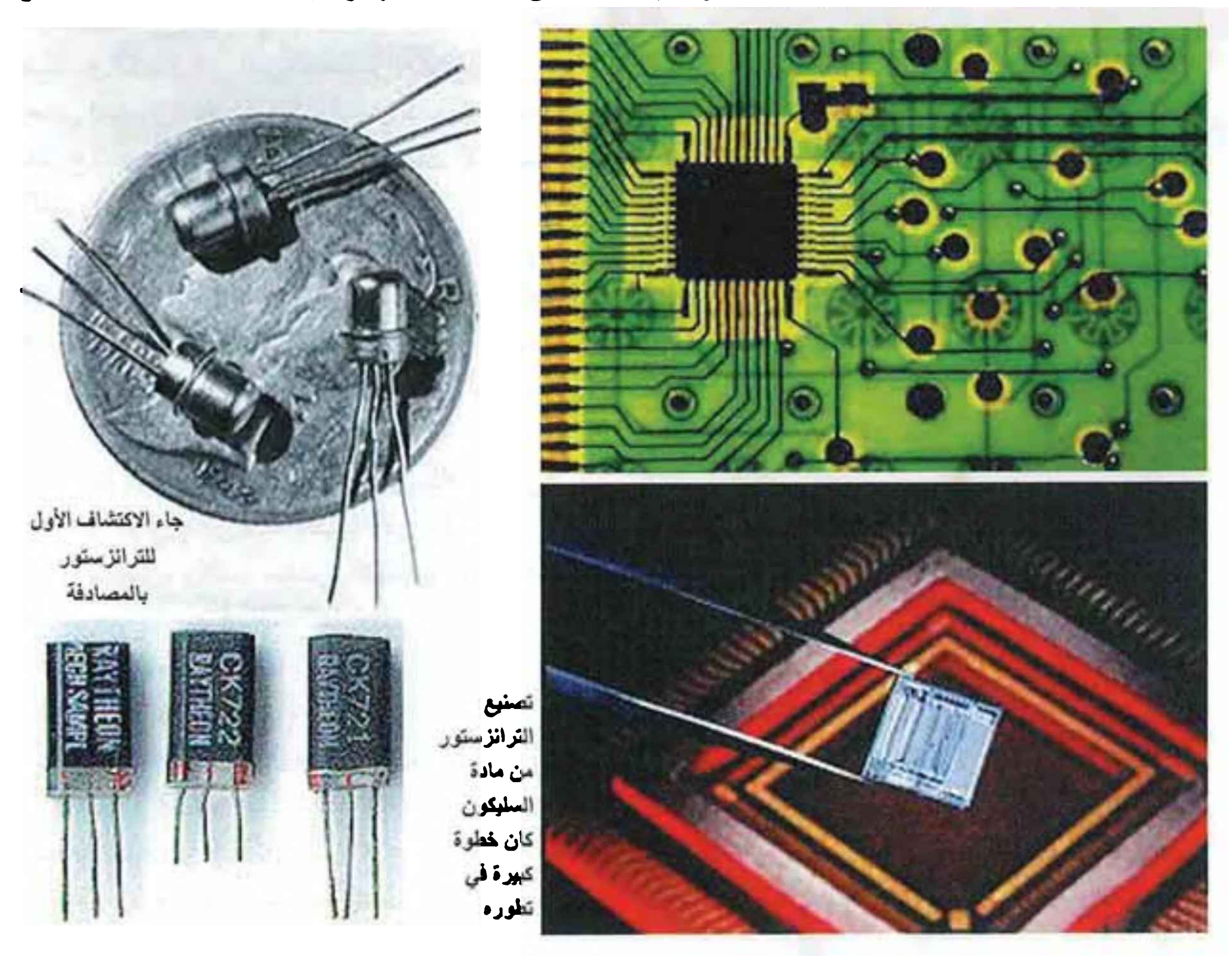
التطور المذهل لصناعة الترانزستور له أثره الكبير في تطور الإلكترونيات

وبعد ريادة صناعة الإذاعة وثورة صناعة التليفونات كان الاستخدام الثالث للصمام المفرغ في صناعة الحواسب. لقد بدأت صناعة الحواسب الإلكترونية في الولايات المتحدة الأمريكية عندما

كان مختبر بحوث القذائف في حاجة سريعة إلى حساب مسار القذائف والقنابل تحت ظروف جوية متغيرة. وكان أول من قام ببناء جهاز حاسوب إلكتروني(١) مبني على الصمامات المفرغة العالم الأمريكي جون موشلي وزميل له يدعى برسبر إيكيرت. وكان هذا الجهاز الذي أطلق عليه اسم ENIAC MACHINE، يزن ثلاثين طناً، ويحتوي على ١٨ ألف صمام مفرغ، وكانت كلفته نصف مليون دولار. لقد تم ذلك في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٥م، متأخراً جداً لاستعماله في الحرب العالمية الثانية. مع أن ENIAC كان بدائياً تماما إلا أنه ولّد صناعة الحواسب الرئيسة MAINFRAME COMPUTERS، ويعدّ الجدّ لصناعة الحاسوب الأصغر MINI COMPUTER والجد الكبير للحواسب الشخصية PERSONAL COMPUTERS (PC)، التي وصل عددها في منتصف التسعينيات إلى أكثر من ٥٠ مليون وحدة، تزداد في كل يوم.

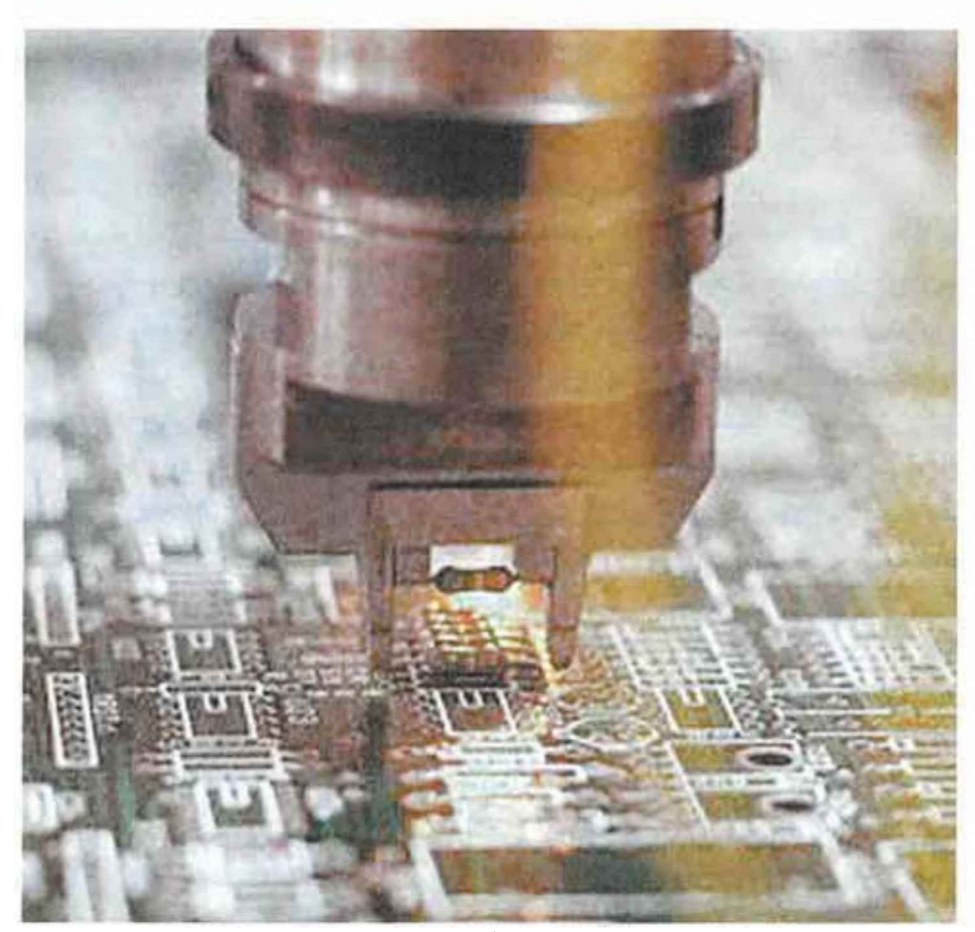
الاختراع

عندما تبنت صناعة الحواسب الصمام المفرغ، أصبح الصمام هو حجر الزاوية في الأجهزة الإلكترونية. لقد أصبح تطوير الصمام هو الدافع الرئيس لتطوير صناعة الإلكترونيات، لكن الصمام المفرغ كان مزعجاً جداً في تشغيله. فلأنه مصنوع من انتفاخ زجاجي مثل مصباح الإضاءة فمن السهل تحطمه. لقد كان الحاسب ENIAC يحتاج إلى تغيير صمام كل عدة دقائق. ويستهلك الصمام أيضاً كمية كبيرة من الكهرباء، ويولّد حرارة وافرة، لأن به فتيلة كهربائية ساخنة تعمل مصدراً



جاء الاكتشاف الأول للترانزستور بالمصادفة

تصنيع الترانزستور من مادة السليكون كان خطوة كبيرة في تطوره


إحلال السليكون محل الانتفاخ الزجاجي أدى إلى تصغير مثير في حجم الترانزستور

للإلكترونيات، وحجمه كان كبيراً، فلا يعمل إذا نقص حجمه عن حد معين. وأخفق الصمام أيضاً في العمل عند ترددات الرادار. كان يبدو مع نهاية الحرب العالمية الثانية أن تصغير الصمام المفرغ وجعله أكثر قوة وأقل استهلاكاً للكهرباء هو الطريق للتقدم التقني لصناعة الإلكترونيات.

لو كان ذلك قد حصل لكانت عملية تطوير صناعة الإلكترونيات أكثر بطئاً مما انتهت إليه. لحسن الحظ، أهدت مختبرات بل العالم في الأسبوع الأخير من ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٧م جائزة كبيرة لعيد الميلاد: الترانزستور. وكان الاكتشاف الأول للترانزستور بالمصادفة، كما هو الأمر في حالة الصمام. حفظت مختبرات بل السر لستة أشهر حتى يكتشف العلماء كيفية عمل الترانزستور، والتفكير في اسم له، واستيفاء إجراءات تسجيل براءة الاختراع، وفي ٣٠ يونيو / حزيران ١٩٤٨م أعلن اختراع الترانزستور لعالم غير متحمس.

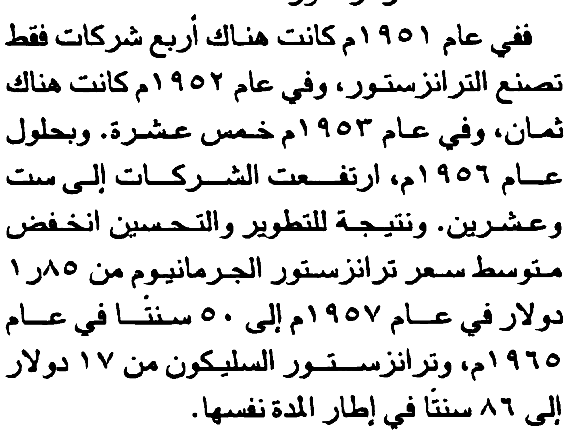
وقد أدى إحلال السليكون (أو الجرمانيوم) محل الانتفاخ الزجاجي إلى تصغير مثير في الحجم. فبمجرد تصنيع الترانزستور الأولي، ابتدأ العلماء في العمل على تصغيره من حجمه الأولي (نحو ١ سنتيمتر مكعب) إلى نقطة في حجم رأس الدبوس.

هذه النقطة من شبه الموصل تسمى «الترانزستور»، الذي يضخم ويعالج الإشارات الكهربائية (يستخدم الترانزستور مقوّماً وكاشفاً ومبدّلاً بجانب قدرته على تضخيم الإشارة الكهربائية)، وهذه النقطة يمكن تقليص حجمها إلى أبعد الحدود. إضافة إلى ذلك يستخدم الترانزستور طاقة كهربائية أقل كثيراً من الصمام المفرغ. والترانزستور أيضاً أسرع في العمل ويُعوّل عليه أكثر كثيراً من الصمام. بالضربة القاضية التي سمعها كل العالم، تحول الصمام المفرغ إلى نفاية.

لقد اكتشف الباحثون في مختبرات بل قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة أن السليكون هو شبه موصل جيد، واستخدم في تقويم إشارات الرادار خلال الحرب. وفي عام ١٩٤٦م ابتدأ البحث مرة أخرى في خواص أشباه الموصلات (السليكون والجرمانيوم) بقيادة العالم الفيزيائي وليم شوكلي وزملائه العلماء الفيزيائيين جون باردين، ووالتر براتان وجيرالد بيرسون وكذلك عالم الكيمياء الفيزيائية روبرت جيبني. توصلت مجموعة البحث إلى أنه من الممكن التحكم في الإلكترونيات المتحركة CAARGE CARRIERS قرب سطح شبه الموصل عن طريق مجال كهربائي يوضع من الخارج، وعندما كان باردين وبراتان يحاولان تحسين زمن



شوكلي


باردين

براتان

الاستجابة RESPONSE TIME على قطعة صغيرة من الجرمانيوم، اكتشفا بدلاً من ذلك تأثير الترانزستور TRANSISTOR EFFECT، وتأكد بوضوح استعمال هذا التأثير لتصنيع مضخم للإشارات الكهربائية في أواخر ديسمبر ١٩٤٧م عندما أتم باردين وبراتان تصنيع ترانزستور التلامس النقطي POINT - CONTACT TRAN-SISTOR.

بعد ذلك بنحو شهر، تمكن العالم شوكلي من اختراع الترانزستور الوصلي JUNCTION TRANSISTOR - من الجرمانيوم - والذي تجنب فيه استعمال الوصلات المعدنية المزعجة (الموجودة في ترانزستور التلامس النقطي).

لقد كان اختراع الترانزستور اكتشافًا علميًا كبيرًا، وحصل مخترعوه الثلاثة شوكلي وباردين وبراتان على جائزة نوبل في الفيزياء لعام ١٩٥٦م.

تطور صناعة الترانزستور

لقد تم صنع أول ترانزستور من بلّورة الجرمانيوم الذي لم يكن يتحمل درجات الحرارة العالية، ولذلك كانت تطبيقاته محدودة.

اعتقد كل الباحثين في تطوير الترانزستور أنه من الأفضل أن يصنع الترانزستور من مادة السليكون الأكثر قوة، والمتاحة أكثر. ولكن كانت هناك مصاعب كبيرة لتصنيع الترانزستور من السليكون والتي دامت عدة سنوات قبل أن يتم ذلك. ولكن المفاجأة جاءت من شركة TEXAS INSTRUMENTS الأمريكية عندما قدم أحد الباحثين في الشركة، وهو جوردون تيل، بحثًا في مؤتمر مهندسي الراديو عام ١٩٥٤م يوضح كيفية صنع ترانزستور السليكون. ومن ذلك الوقت نشطت صناعة الترانزستور.

ففي عام ١٩٥١م كانت هناك أربع شركات فقط تصنع الترانزستور، وفي عام ١٩٥٢م كانت هناك ثمان، وفي عام ١٩٥٣م خمس عشرة. وبحلول عام ١٩٥٦م، ارتفعت الشركات إلى ست وعشرين. ونتيجة للتطوير والتحسين انخفض متوسط سعر ترانزستور الجرمانيوم من ٨٥ر١ دولار في عام ١٩٥٧م إلى ٥٠ سنتًا في عام ١٩٦٥م، وترانزستور السليكون من ١٧ دولار إلى ٨٦ سنتًا في إطار المدة نفسها.

ولكن في صيف ١٩٥٨م توصل مهندس شاب يعمل في شركة TEXAS INSTRUMENTS أيضًا إلى فكرة جديدة وطريقة عمل دائرة كهربائية كاملة INTEGRATED CIRCUIT والتي فيها كل المكونات

المختلفة - ترانزستور، مقاومات، مكثفات، مواد عازلة، مقومات RECTIFIERS - قد صنعت من قطعة المادة نفسها.

لقد كانت فكرة غريبة في وقتها لمعظم المهندسين، لأن هذه المكونات المختلفة كانت تصنع عادة من مواد مختلفة. تلك كانت بداية صناعة الرقيقة CHIP الإلكترونية، والتي صنعت كل مكوناتها من الجرمانيوم، والتي اكتملت واختبرت في أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٥٨م. يجدر بنا القول هنا أن الترانزستور كان اختراع العلماء نتيجة للبحث العلمي البحت، أما الرقيقة فكانت اختراع الفنيين - أي الإجابة عن مشكلة واقعية.

الآثار الاجتماعية لاختراع الترانزستور

عندما أعلن عن اختراع الترانزستور في ٣٠ يونيو/ حزيران ١٩٤٨م لم يكن العالم متحمساً له؛ لأن احتمالات استخدامه لم تكن واضحة في ذلك الوقت. ففي اليوم التالي نشرت جريدة نيويورك تايمز خبراً صغيراً في صفحة داخلية مشيرة إليه قائلة: «اختراع يسمى الترانزستور له تطبيقات عديدة في الراديو حيث تستعمل عادة الصمامات المفرغة». لكن في مكان آخر كان الاختراع له تأثير أكبر في طوكيو، كان يوجد ملازم ثانٍ شاب مُسرَّح من البحرية الإمبراطورية اليابانية له اهتمام شديد بالموضوع. هذا الشاب هو إكيوموريتا، مؤسس شركة سوني.

بالضبط كما أن الصمام المفرغ أخذ سنوات لتتضح احتمالات استعماله، كذلك الترانزستور كان استعماله الأول في الأجهزة السمعية المساعدة لضعاف السمع، حيث صغر الحجم والاحتياج الأقل إلى الطاقة يزودها بمميزات واضحة، يرجح تكلفتها الأعلى من الصمام المفرغ.

عندما ظهر الراديو الترانزستور في عام ١٩٥٣م كان تأثيره كبيراً؛ لأنه جاء مفاجأة لمعظم الناس. أحد أسباب المفاجأة أن لا أحد تقريباً رأى أن

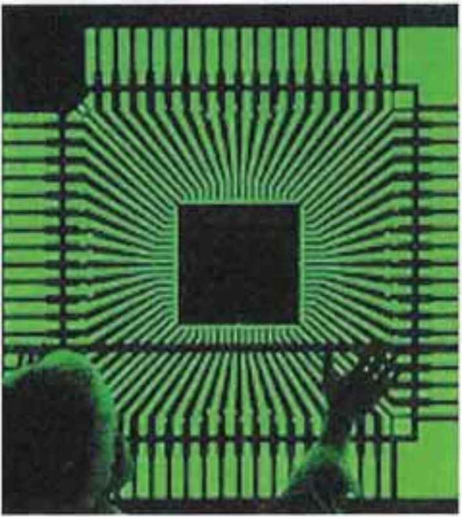


إنتاج أول راديو متنقل كان له آثار اجتماعية بعيدة

الترانزستور مناسب لإنتاج الراديوهات النقالة. الاثنان اللذان توقعا ذلك هما مؤسسا شركة سوني، اكيو موريتا وماسارو ايبوكا، اللذان لم يجدا أي حماسة من شركة ويسترن اليكتريك (الجناح المسؤول عن التصنيع في شركة AT&T) لإعطائهما ترخيصاً ببراءة اختراع الترانزستور لاستعماله في الراديو النقال. بدلاً من ذلك اقترحوا عليهما استخدام الترانزستور في الأجهزة السمعية المساعدة.

من حسن حظ الشباب أن موريتا وايبوكا صمما على هدفهما، وانتجا أول راديو متنقل في العالم. هذه الحكاية هي مثال كلاسيكي عن العلاقة بين العلم والصناعة الإلكترونية. فالصناعة لا تحظى بالوجود من دون العلماء، لكن العلماء غالباً ما يخفقون في رؤية الاحتمالات نفسها التي يراها رجال الصناعة في اختراعات العلماء. يوضح دافيد مانرز وتسوجيو ماكيموتو تأثير ظهور الراديو الترانزستور في الشباب

في كتابهما الجميل: LIVING WITH THE CHIP قائلين: «استقبل الراديو الترانزستور بحماسة وترحاب شديدين من الشباب لدرجة أنه أصبح واحدًا من أكثر الأجهزة مبيعا في القرن العشرين. كان هذا النجاح والانتشار؛ لأنه كان رخيص الثمن لدرجة أن يشتريه الشباب ومتنقلاً بما يكفي لسماعه في أي مكان. لقد حرر الراديو الترانزستور الشباب بإعطائهم التحكم في الإصغاء للراديو. قبل ظهوره، كان التحكم في أجهزة الراديو التقليدية الغالية الثمن وغير المتحركة متروكًا في أيدي آبائهم وأمهاتهم. وعندما أصبح الراديو الترانزستور سلعة مألوفة في مراكز التسويق حول العالم، أصبح تضمين التردد FREQUENCY MODULATION (FM) وقفا على الترفيه عن الشباب، وممهدًا الطريق لثقافة الشباب في الستينيات من هذا القرن».

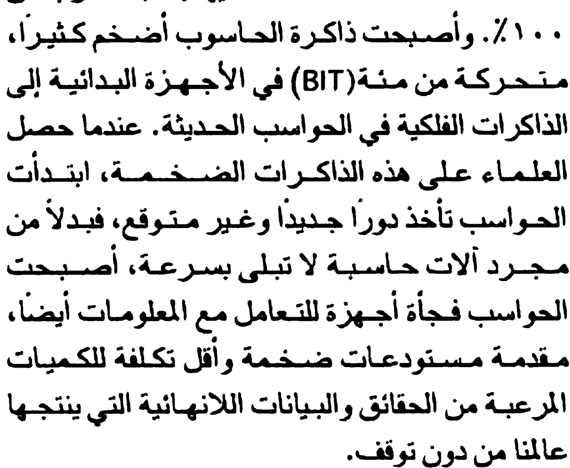

ارتفعت قدرة الحواسب التي تستعمل الترانزستور بشكل كبير

لم يكن إنتاج آلات الجيب الحاسبة POCKET CALCULA-TORS في أوائل السبعينيات أقل مفاجأة. كانت مكاتب رجال الأعمال تستعمل قبل ذلك آلات حاسبة كبيرة وثقيلة في الوزن وتكلف آلاف الدولارات.

لقد قدمت الآلات الحاسبة الصغيرة إمكانية وضع نهاية للمجهود العقلي الكبير الذي تشمله العمليات الحسابية بالنسبة إلى الناس الذين ليس لديهم قابلية أو استعداد للتعامل مع الأرقام - وهم كثيرون. من الجدير بالذكر أنه استغلت في الراديو النقال مقدرة الترانزستور على استقبال إشارة ضعيفة مذاعة وتضخيمها إلى مستويات سمعية، الا أنه استغلت في آلة الجيب الحاسبة مقدرة على وصل وقطع (SWITCH ON AND OFF) التيار الكهربائي بسرعة.

يوضح مانرز وماكيموتو تأثير ظهور الترانزستور على صناعة الحواسب قائلين: «مع أن الراديو الترانزستور وآلة الجيب الحاسبة سببا دهشة كبيرة، إلا أنهما ليسا بالمنتج الذي أظهر تقدما إلى حد بعيد، هذا الشرف يجب أن يحفظ للحاسوب المنتج الذي انكمش من ملء غرفة إلى ملء الحجر».

ولكن ظهور الترانزستور لم يكن من الممكن توقعه بواسطة أيٍّ من رواد الحاسوب الأوائل، ولا توقع نتائج ظهوره. لقد ارتفعت القدرة والسرعة للحواسب التي تستعمل الترانزستور في كل مكوناتها - ابتداء من عام ١٩٥٥م - إلى نقطة مختلفة كميًا من أي شيء يمكن تدبره، ربما حتى يمكن فهمه. وكذلك انخفض حجمها كثيرًا، وزالت الحاجة إلى تبريدها، وانخفضت الطاقة المستخدمة فيها بنسبة تقترب من ١٠٠٪. وأصبحت ذاكرة الحاسوب أضخم كثيرًا، متحركة من مئة(BIT) في الأجهزة البدائية إلى الذاكرات الفلكية في الحواسب الحديثة. عندما حصل العلماء على هذه الذاكرات الضخمة، ابتدأت الحواسب تأخذ دورًا جديدًا وغير متوقع، فبدلاً من مجرد آلات حاسبة لا تبلى بسرعة، أصبحت الحواسب فجأة أجهزة للتعامل مع المعلومات أيضًا، مقدمة مستودعات ضخمة وأقل تكلفة للكميات المرعبة من الحقائق والبيانات اللانهائية التي ينتجها عالمنا من دون توقف.



الهوامش

١. يعتقد بعض الناس أن جهاز CLOSSUS الذي تم صنعه في إنجلترا في ديسمبر ١٩٤٣م لفك شفرات الرسائل اللاسلكية، هو الحاسوب الأول.



فيصل أكرم
الرياض ـ السعودية



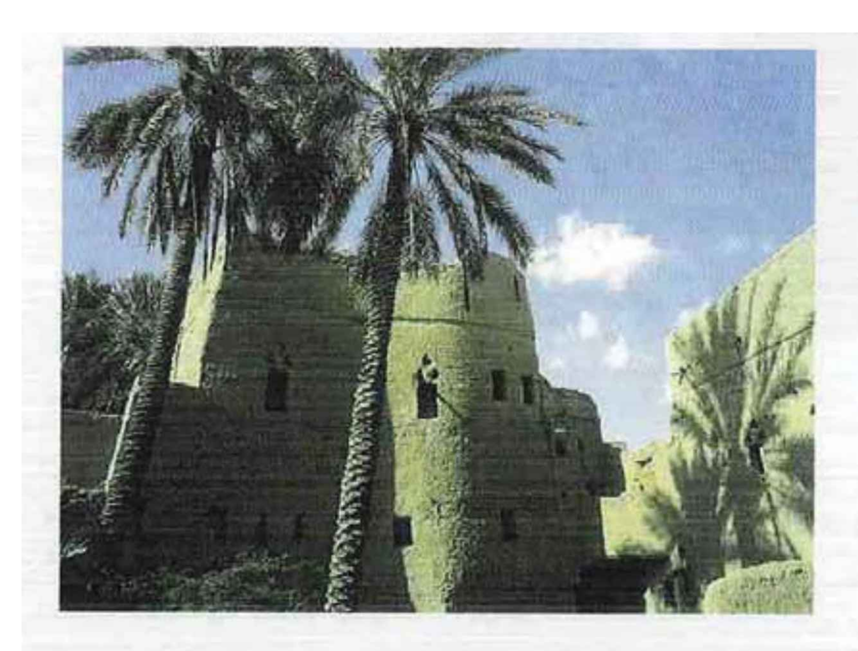
طفلٌ على الشطآنِ يركضُ.. والمدى
جثثٌ من الأجفانِ تفتحُ مشهدا
أمضي، وتمضي كلُّ غارقة.. معي
وحدي أكونُ، فلا صياحَ ولا صدى
قُتلَت على شفتيَّ حروفٌ.. نصفُها
تعبٌ، وأخطو ذاهلاً نحو الرَّدى
أمطارُ صيفٍ، دونَ وجه سحابة
عيْني..وقلبي جمرةٌ ضاعتْ سُدى
يا بعضَ أهلي.. أينَ منْ صورتُهُ
منكم؟ وكانَ الفجرُ يحفلُ بالنّدى
يا كلَّ معرفتي، سألتُ.. ولم أجدْ
غيرَ انحناءات تعفُ.. وتَقْتدي
طالتْ جراحٌ، في فؤادٍ معذَّبٍ
ويطولُ ظلٌّ.. ليس يتبعُ سيّدا

•••

ناداكَ وقتٌ للسفرْ
ناداك تلويحُ اصطياف.. والمطرْ
ناداك يومُكَ: كلُّ وقتكَ ضائعٌ
إن ظلَّ وجهُكَ للغروبِ
وظلَّ خطوُكَ لافتراقات الدروبِ
أنا سألتُكَ ـ قال يومُكَ: أينَ أنتَ؟
وأينَ أبوابُ القصائدِ؟
أينَ أوراقُ الجرائدِ؟
أينَ غابَ الوهجُ؟ أنتَ معذَّبٌ من داخلكْ
وأنتَ مفتونٌ بما تفعلُ..
هناك أرضٌ، خلفَ ضلْعِكَ سوفَ تنبضُ
سوف تنطقُ: لا أحبُّ العاطلين
فقمْ إلى الوطنِ الجميل، وشكّلِ الكلمات
من أجلِ الحياةْ
وكي يذوبَ الثلجُ من بين اليدين
كما يذوبُ السائحون على المواقدِ
والموائد
والزجاجْ..
هي الشُبّاكُ الآنَ تدنو
من ارتجاجٍ لارتجاجْ..
الآن تدنو،
من ارتجاجٍ.. لارتجاجْ
وأنت وحدكَ، والمرايا، والسِّياجْ
أنتَ مسؤولٌ عن المهدور فيكَ
والمكسور فيكَ..
فلا تبدِّدْ كُلَّ جُرْحِكَ في التجدُّدِ والرِّضا
حتى إذا الطفلُ الذي.. قد كُنْتَهُ
يحتاجُ وقتًا للتسلّي..
والتملّي..
واختراقِ الموجِ في عزِّ الهياجْ
فكلُّنا طفلٌ، يهادنُ رغبةً مهزومةً
وكلُّنا يحتاجْ..
كلُّنا يحتاجْ..

يا بيت أبي من طين

عبدالله شنيني
بسكرة. الجزائر



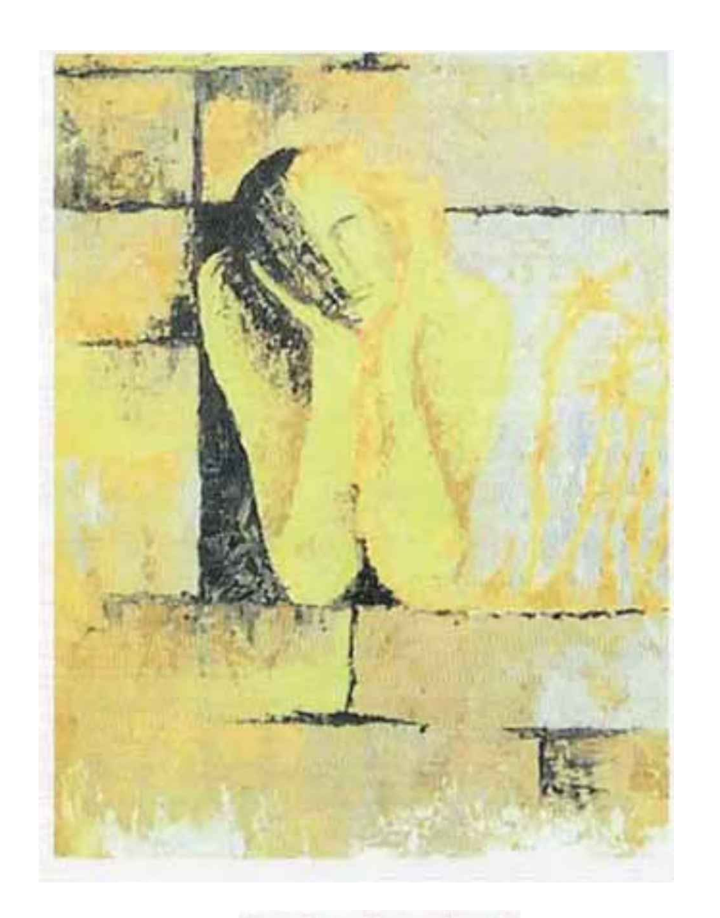
يا بيتَ أبي من طين
صدري حشرجةٌ كالمنْفى
يا بيت أبي من طين
يا فرْشًا يُنسجُ من نبْت الحلْفا
كم أحفظُ في جسمي خدْشا
كم ذكرى
كم كنتُ شقيًا
كم كانت لي وقْفهْ
وجدائلُ هذي النخلةِ مُسْدلَةٌ
وحفيفُ الماءِ
وشاوشُ ذاك الليل
وأنا أتسلّل فيك
أتسربلُ من فيْض نواحيك
أتقرّبُ من حوضك زُلْفى
يا بيت أبي من طين
وحنينٌ يسكن في قلبي
لأبي يحضرُ كلُّ مساء
وشقوقُ هذا الكفُّ المتعبُ من
وجع الأرضِ
لكني أقرأُ فيه
ميثاقَ العمر
فتخامرني رجفَهْ
يا بيت أبي من طين
صدأ ينتابُ رؤاي
زبدٌ لم يذهب

زبدٌ يغشاني
وسديمٌ يغرق في عيني
وبقلبي أفكارٌ جوفى
ماذا أفعلُ في الدنيا
لأكونَ في ذاتي معنًى
فأشكّل منهْ
بعضَ معانيك الأوفى
يا بيت أبي من طين
تتجاذبُني الشرُفات
تفتح كلُّ مفاتنها الطُرقاتْ
وأنا البدويّ
لا أعرف إلا بعضَ الكلماتْ

من نبعِ الأرضِ
أو من وحْي الصلواتْ
أتراني أفهم لغزا
يتكرّر بدلَ المرّةِ ألفا؟
يا بيت أبي من طين
كم يُرهقني في البوْح مدادي
كلّ خيوطِ ألمحْها
أنسجها في ثوب حدادي
في الزّمن الأكثر سخْفا
يا بيتًا لأبي من طين
إمْنحني عطفا...
إمنحني عطفا

بكائية في المساء الحزين...

زينة آل علي المالكي
الطائف - السعودية



على وجنتيك تنام القوافي
يسافر شوقٌ.. ويومض برقٌ
أواري خفوق شجوني
وبحرَ الجنون على مفرداتي
فألهو بثورة شعري
وأعلن أنّ هواك انتمائي
وأنك بين الندى والرحيق
عبيرُ الخزامى...
فكوني وجودي.. وكوني التلاقي
وكوني النسيم بعطر وجه الصحاري
وإن جنّ ليلٌ.. فأنت ملاذي
وكلُّ الضياء...
ربيعُ اشتياقي...
تمرُّ المواسم...
تلو المواسم...
تشبُّ الثواني...
تُحيط ندائي...
وألثم طيفك بين الظلال
فيثمر نخلٌ.. ويصهلُ خيلٌ...
تناهيتُ فيك.. وكلّ خطاي
اشتعالٌ إليك...
إذا ماجراحاتُ عمري غزتني
فأصرخُ في الأفقِ السرمدي
أنت.. دواءُ انتظاري
وزادُ اغترابي...
فيا نجمةً أشرقت في حياتي
ويا دمعةً في عيون التلاقي
أتيتُ إليك.. وفي راحتي
مساء حزينٌ.. وخوفٌ رهين



د.هـ - لورنس

ترجمة:

عبدالله أحمد منتصر

جدة - السعودية

قدمت القاطرة رقم (٤) تزمجر وتتعثر على القضبان قادمة من سلتون، تجر وراءها سبع عربات محملة بعمال المناجم.

سيدة تمشي إلى أندروود عبر خط السكة الحديدية، فتقف بجانب الحاجز الحديدي، تتابع حركة القاطرة والعربات ترتطم بعضها ببعض بحركة بطيئة، وتمرق العربة الأخيرة فتنحدر المرأة مسرعة نحو الأيكة حيث تتساقط أوراق البلوط بلا ضجيج بينما تغرد الطيور على أشجار الورد. الغسق ينسج خيوطه، ودخان القاطرة يتكاثف فوق حشيش الأيكة. الحقول حزينة ومهجورة، والمستنقع يؤدي إلى المقبرة، والديكة تجري بين الأشجار لتبيت في عشها مع المساء. عمال المناجم يعبرون كالأشباح زرافات ووحدانا.

على بعد خطوات ثلاث من الطريق الترابي يقبع منزل صغير. لقد تم إنشاؤه من الخشب، وسقفه من الآجر، وبجواره توجد عريشة كرم وكأنها محفورة في الآجر الذي يغطي سقف المنزل. وفي فناء المنزل تنبت بعض زهرات الكرنب الشتوي متناثرة هنا وهناك، وفي الخلف، الحديقة الكبيرة، المنحدرة إلى الغدير. حيث توجد أشجار التفاح كثيرة الأماليد. الشتاء يحطم الأشجار، ويقصف شجيرات الكرنب، وعلى جانبي الطريق تتعلق زهرات الأقحوان ذات اللون القرنفلي وكأنها ثياب قرنفلية معلقة بأشجارها. تخرج سيدة منحنية من عريشة الديكة في وسط الحديقة أغلقت الباب خلفها، وأخرجت بعض القلائع من مئزرها الأبيض.

لقد كانت امرأة طويلة ذات سحنة مهيبة وسيمة، ذات حاجبين أسودين محددين وشعرها مفروق بعناية. ولبضع لحظات أخذت تراقب عمال المناجم بلهفة وهم يعبرون الطريق، ثم أشاحت بوجهها تجاه الغدير وجهها يوحي بخيبة أمل، حيث لم يحضر من تنتظره.

صاحت: جون. أين أنت؟

هنا. أجابها طفل بصوت متجهم بين الأشجار.

هل أنت في هذا الغدير؟ سألت بقسوة، وقبل أن يجيب وجد نفسه أمام عود من الخيزران مرفوع فوق رأسه كالسوط. وكان الغلام في الخامسة من عمره ثابت الجأش.

أوه: قالت باسترخاء: لقد حسبتك نزلت إلى الغدير وأنت تعي ما قلته لك. وقف الطفل صامتاً.

قالت بلطف هيا تعال. لقد دخل المساء وسوف تحضر عربة جدك بعد قليل.

قطع الطفل حزمة من زهور الأقحوان، وأخذ ينثر البتلات على الطريق.

قالت الأم: كف عن هذا العمل الأخرق.

أقلع الطفل عن عمله. فجأة وبرقة قطفت الأم غصيناً فيه ثلاث وردات باهتة وأخذت تلثمها. وعندما وصلت إلى البيت وضعته في جيب مئزرها.

وقفت الأم والابن ينتظران وصول الجد. وبعد قليل وصلت عربة صغيرة ووقفت أمام باب البيت. سائق العربة رجل قصير ذو لحية رمادية مستديرة. وسأل ابنته بصوت حنون

هل عندكم كوب من الشاي؟ دلفت إلى الداخل وخرجت تحمل طبقاً فيه كوب من الشاي وقطعة خبز بالسمن.

قال الرجل: لست في حاجة إلى طعام أريد كوباً من الشاي فقط.

ارتشف رشفة أو رشفتين ثم قال: لقد سمعت أن والتر وانته نوبة من نوبات الشرب البارحة.

قالت بمرارة ومتى لم تواته؟

قال الرجل: شيء قبيح. ألا يفعل الإنسان شيئاً إلا أن يسير وراء شهوته البهيمية.

قال وهو يرتشف آخر ما تبقى من الشاي إنه مستهتر وناولها كوب الشاي ثم مضى.

ارتقبت اليزابيث باتس زوجها بين عمال المناجم المندفعين في ثيابهم الرمادية حتى حل الظلام فدلفت إلى الداخل.

جلست الأم أمام مدفأة البيت وأخذت تعد الشاي والعشاء بانتظار زوجها، وولدها بجوارها.

سمعت الأم مداعبة مزلاج البيت فظنت أنه زوجها، ولكن خاب رجاؤها أيضاً فقد كانت ابنتها قادمة من المدرسة فأخذت توبخها لعودتها متأخرة من المدرسة.

سألت البنت: ألم يأت أبي بعد؟

قالت الأم: الساعة الخامسة هل ترين له أثراً؟

نظرت البنت إلى أمها بشفقة وقالت: لنتناول الشاي يا أماه أيمكن ذلك؟ فتحت الأم الباب ونظرت خلال الظلام ولكنها لم تر شيئاً.

همست قائلة ربما تأخرت لشراء شيء ما.

جلسوا حول المدفأة والبنت منحنية عليها تقلب قطعة من الخبز. قالت: البنت: ما أجمل النظر إلى النار! إنها حمراء صافية!

قالت الأم: إنها ستخبو بعد قليل، وعندما يعود أبوك سوف يصيح ساخطاً: بيت لا نار فيه الحالة أكثر منه دفئاً.

خبت النار وأظلمت الغرفة ولم يسمع إلا طحن الأسنان للطعام، وبعد الانتهاء من العشاء.

قالت الأم: شيء مخجل ألا يحضر الرجل إلى بيته لتناول العشاء.

نهضت الأم لتضيء مصباح الكيروسين المعلق في السقف وسط الغرفة.

رأت البنت غصين الأقحوان في جيب مئزر أمها فأخذته وبدأت تلثم ثم قالت لأمها:

أليس زكي الرائحة؟

تنهدت الأم قليلاً ثم قالت:

ليس بالنسبة إلي. لقد كانت أقحوانة عندما تزوجته وعندما ولدت أنت وفي المرة الأولى التي أتوا به إلي شارباً تحولت إلى شيء آخر.

إنه لن يحضر حتى يحضروه وسوف يؤذيني برائحة فمه النتنة. ولدة نصف ساعة لعب الطفل وأخته بخيال خصب قصة أمهما وأبيهما وخوفها من حضور أبيهما شارباً إلى البيت والأم جالسة تخيط فستاناً من نسيج صوفي أصفر شاحب.

قالت الأم: حان موعد النوم.

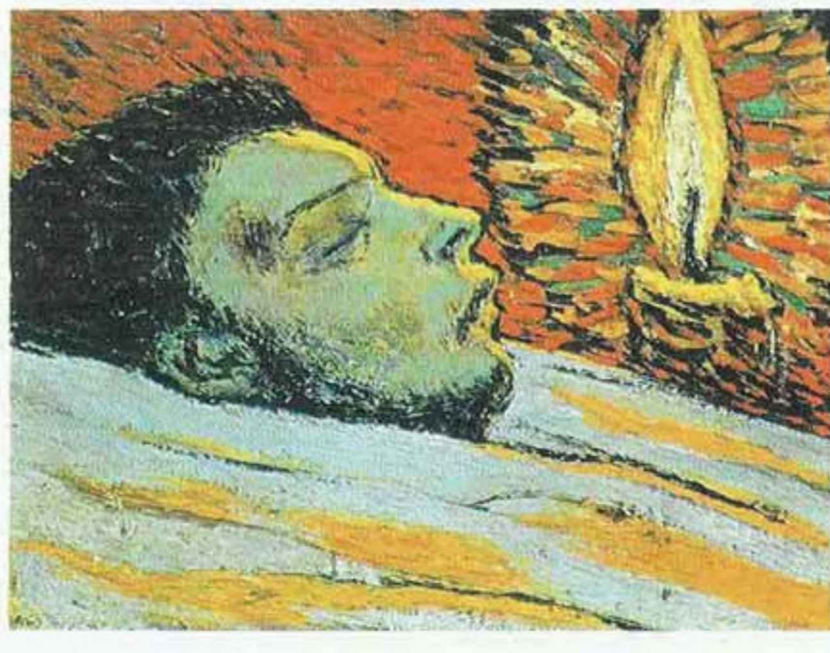
قالت آني بحزن: لم يحضر أبي بعد!

قالت الأم بحدة: لا تقلقي سوف يأتون به كلوح خشبي من أثر الشرب ولن يذهب إلى عمله غداً كعادته.

لبس الطفلان ثياب النوم ورتلا صلاتهما وقبلا أمهما ثم توجها إلى سريريهما ليناما.

ألم بأليزابيث باتس شيء من الغضب المشوب بالخوف فشغلت نفسها بمواصلة الخياطة.

دقت الساعة الثامنة فنهضت فجأة وألقت ما تخيطه على



الكرسي وأخذت ترهف أذنيها علها تسمع صوتاً فلم تسمع إلا شجار الفئران التي تملأ الفناء الخارجي. لقد شابها شيء من القلق وحدثت نفسها بالخروج للبحث عنه، وذلك ما لم تفعله من قبل، فذهبت إلى أحد البيوت وطرقته طرقاً خفيفاً.

فخرجت امرأة من داخل البيت.

قالت أليزابيث باتس: مساء الخير

السيدة ريجلي: مساء الخير أجئت تسألين عن زوجك

أليزابيث باتس: أجل

السيدة ريجلي: إنه لم يحضر مع زوجي وقد خرج زوجي إلى أمير ويلز قبل موعد النوم بنصف ساعة تقريباً ولم يقل شيئاً عن زوجك.

رجعت السيدة باتس إلى بيتها قلقة مضطربة الفكر لا تدري ماذا تصنع. وجلست على الكرسي

في العاشرة والربع سمعت وقع أقدام. نظرت خلال الباب سيدة مسنة ترتدي طاقية وشالاً صوفيا أسودين. إنها أمه.

في الستين من عمرها تقريباً، شاحبة الوجه مع عينين زرقاوين ووجه متجعد حزين. أغلقت الباب وقالت بصوت متهدج

ليزي ما سنفعل؟

اليزابيث استدارت بحدة وقالت: ما هذا يا أماه؟

قالت الجدة: لا أدري لا نهاية لمتاعبي. يجب أن أذهب حيث لا عودة وأخذت تنتحب والدموع على وجنتيها.

انتظرت اليزابيث قليلاً ثم سألا: هل مات؟

دق قلبها بعنف وأحست بالخجل يملؤها.

ارتعدت الأم العجوز عند سماعها هذا السؤال وأقامت قائلة لا تقولي ذلك اليزابيث. لقد حضر السيد ريجلي أتى إلي وأخبرني أن والتر تعرض لحادث خطير وتم نقله إلى المستشفى تشتت فكر اليزابيث من هول المفاجأة. كيف ستدير هذا البيت الصغير؟ وكيف ستكون ممرضة لمدة طويلة؟ لعله يقلع عن عادة الشرب الخبيثة.

الساعة العاشرة والنصف دق الباب وفتحت ليزي فدخل رجل يلبس ملابس دفن الموتى وقال لقد أحضرناه يا سيدتي.

سألت ليزي: هل هو بسوء؟

أجاب الرجل: لقد قال الطبيب إنه مات منذ ساعات قليلة.

توقف قلب اليزابيث للحظة ثم تدفق بالدم وكادت تختنق

صاحت الأم ولدي، ولدي

فقالت ليزي: اهدئي يا أماه حتى لا تزعجي الطفلين

أخذت الجدة تنوح بصوت منخفض

سألت ليزي: كيف كان ذلك؟

لا أستطيع أن أقول شيئاً دقيقاً، أجاب الرجل ثم أردف ولكنه كان يؤدي عملاً ما بالمنجم فسقطت عليه بعض الأحجار فصاحت الأم: فسحقته.

قال الرجل: كلا، لقد سقطت على ظهره فاتكفأ على وجهه ثم اختنق.

بكت اليزابيث قليلاً ثم تذكرت أنهم سيأتون به فأخذت ترتب البيت لاستقباله. ذهبت إلى غرفة ضيقة لتعدها فوجدت في المزهرية حزمتين من زهور الأقحوان. لقد كانت رائحة الموت تفوح من خلال الزهور. أعدت الغرفة لتكون جاهزة لإجراء الطقوس حوله، وحضر ثلاثة رجال، رجلان يحملان النقالة، ورجل يدخل البيت ليقودهما حيث يضعانه. وضعه الرجلان ووقف الثلاثة أمام الجسد المسجى صامتين.

وانحنى كل منهم انحناءة خفيفة ثم انصرفوا ومعهم النقالة.

الأم متكئة على جسد ولدها الميت، والدموع تنحدر من عينيها، وسمعت اليزابيث صوت ابنتها تقول: من هذا؟ من هذا يا أماه؟

أسرعت اليزابيث إليها وقالت بحزم: اذهبي لتنامي

قالت الطفلة: لقد رأيت بعض الرجال، هل أحضروه؟

قالت اليزابيث: نعم.

قالت الطفلة: هل أكثر من الشرب؟

قال الأم: لا، لا، إنه نائم.

رجعت الطفلة إلى غرفتها لتكمل نومها.

قالت اليزابيث: لابد من خلع ملابسه، وأخذت تفك رباط حذائه الجلدي ونجحت في فكه وخلع حذائه.

وقالت لحماتها: ساعديني على خلع ملابسه. وتمكنتا من خلع ملابسه وبدا عليه جلال الموت ووقاره وهيبته. وقفت المرأتان صامتتين تنظران بعين الرهبة والإجلال. وضعت اليزابيث يدها على جسده فوجدته دافئاً. وضعت أمه وجهه بين يديها وكانت تهمس وهي منهارة والدموع تنهمر من عينيها كقطرات المطر.

قبلت اليزابيث زوجها من وجنتيه وجبهته وأحست داخلها أنها بحاجة إلى بعض النقاش والجدال ولكنها ابتعدت عنه فهو الآن فوق النقد.

نهضت اليزابيث قائلة: لابد أن أغسله. وأحضرت الماء والصابون ومنشفة.

أخذت الأم تراقب كنتها وهي تغسل وجه ابنها بعناية وتغسل شاربه وقد أحست رعباً خفياً فبدأت تدعو له وتؤدي بعض الطقوس أمام جسده. وقالت العجوز بشيء من الغيرة دعيني أمسحه، وانحنت من الجهة الأخرى وشرعت تجفف ما تغسله اليزابيث.

نظرت اليزابيث إلى جسد الرجل. كان فمه متدلياً إلى أسفل، عيناه نصف مفتوحتين لا بريق لهما.

سألت نفسها بوضوح.

من أنا؟ وماذا كنت أفعل؟ لقد كنت أقاتل زوجاً غير موجود! أي حماقة ارتكبت؟ من ذا الذي كنت أعيش معه؟ هنالك ترقد الحقيقة!

ثم دلفت إلى الداخل وأحضرت ملاءة فغطته بها وتركته راقداً.

وأحست بسلام ثقيل في صدرها، وذهبت إلى المطبخ ترتبه وهي تعلم أنها لابد أن تستسلم للحياة سيدتها الآنية، أما الموت سيدها الأكبر فقد أجفلت منه بخوف وخجل.

رأس بيضاء

محمد سليمان
القاهرة - مصر

أدهشته الابتسامة التي تداعب شفتيه بسبب حلم لا يتذكره. كثيراً ما يحدث ذلك، وأحياناً ينهض من نومه عابس الوجه، متجهماً بلا سبب!. عبثت أصابعه بمفتاح الراديو القريب بعد أن فرغ من صلاة الفجر. انسابت آيات القرآن بصوت رخيم أشاع السكينة في قلبه. راح يعد لنفسه فنجان القهوة الصباحية، إلى وقت قريب كان يعد فنجاني قهوة.. له وللمرحومة زوجته.!

أرهف السمع في اللحظة التي انتهت إلى أذنيه رنات جرس الباب. أبداً لا يخلف موعده مع أنه لا يملك ساعة.. إبراهيم اللبان!.

- نهارك أبيض يا حاج.. كيف الصحة؟

لاحظ نظرته العابرة إلى قسمات وجهه وكأنه يراه لأول مرة! أخفى دهشته وهز رأسه في صمت. أول مرة يخاطبه بقوله «يا حاج» وأول مرة يسأل عن صحته! تحيته المعهودة كانت «صباح الخير يا باشمهندس»، ماذا حدث؟ هل كبر اليوم فجأة، أم أنه من المفروض أن تكون صحته معتلة وخيبانة في مثل هذه السن؟! ليس وحده إبراهيم، الغريب أنهم جميعاً - خاصة جيرانه - باتوا يعقبون تحيتهم بالسؤال عن صحته، يفعلون ذلك بغرض الاطمئنان، أم ليوقعوا في روعة أنه قد كبر و.. وراحت عليه؟!

في الأيام التالية استشعر وهناً طفيفاً في عظامه. هل كان واهماً بسبب كثرة سؤالهم عن صحته؟!

ولعدة أيام لم تفارقه مشاعر الألم، فكر أن يشترك في أحد الأندية الرياضية التي تهتم برياضة الكبار. رآهم ذات صباح يمارسون التمارين الرياضية في التلفاز. انحنى أحدهم في حركة ركوع. بصعوبة فرد طوله. هو ليس بهذا الضعف، وسوف تصيبه عدواهم لو شاركهم! لم لا يعاود رياضته الصباحية التي كان يمارسها في



شبابه؟ مازالت لديه بعض الأدوات الخفيفة. وليفعل ذلك في السطح، لم لا؟! السطح براح والهواء طلق. وهو مستلق على وجهه يمارس حركة ضغط الصدر المعهودة، صكت أذنيه في العد السابع ضحكة نسائية ساخرة. اعتدل. امرأة جاره الطبيب. لولا سلاطة لسانها لنهرها، هتفت به:

- هل كنت تبحث عن شيء على الأرض يا حاج؟

- رمقها في صمت. لم أدواته. هجر السطح إلى شقته.!

ooo

مازال السؤال السخيف يتربص به أينما ذهب، رغم المشية القوية التي يتعمدها في سيره، مؤكداً لهم أنه مازال في كامل قواه وتمام صحته.

الغريب في الأمر أنه كان يلمح في عيون بعضهم

نظرة ساخرة، أو يتبين على قسماتهم مشروع ابتسامة بلا مناسبة، كان يقطب ويشيح بنظراته بعيدًا دون أن يبادرهم بالتحية.. لكن البعض كان يصر على تحيته:

- تفضل ياحاج.. كيف الصحة؟

في الأتوبيس هتف به رجل يقاربه في السن وهو يتخلى عن مقعده:

- تفضل استرح يا حاج.!

أثار غيظه فشكره: متشكر.. محطتي قريبة.!

وبقي منتصبًا في وقفته سبع محطات كاملة. وهو نازل رمقه الرجل بابتسامة غريبة. لم يعره اهتمامًا. لقد اتسعت المؤامرة ولم تكن قاصرة على جيرانه، وهو واثق أنهم لا يعاملونه كذلك من باب التوقير والاحترام، إنما يفعلونه بغرض إحباطه وإيهامه أنه قد طعن في السن، ولم يعد أمامه إلا انتظار الـ..! ماذا يضيرهم لو كان شابًا أو عجوزًا.. حيًا أو ميتًا، يوهمون أنفسهم أنه لم يعد قادرًا على حماية نفسه وقت اللزوم.. عبطاء.! هذا الخاطر بالذات قفز إلى رأسه ذات لحظة عندما تشاجر مع أحد الباعة في السوق، وبلا وعي أمسك بعصا قريبه وهمّ أن يهوي بها عليه لولا أن أمسك أحدهم بذراعه في قوة غريبة في اللحظة الأخيرة: عيب يا حاج.. أنت رجل كبير، وهذا مجرد بائع.! مضى في صمت وإذا سؤال غريب يقفز إلى رأسه.. لو لم يمسك «أحدهم» هذا بذراعه في الوقت المناسب وأصاب الرجل و جاء البوليس.. هل كان سيقول لهم حقيقة الدافع الذي جعله ينسى نفسه ويمسك بالعصا؟!

و السؤال مازال ينغرس في جسده كالسهام المسممة، ويخلف في قلبه أثرًا داميًا. كيف يردعهم إذن.؟ أتراهم على حق؟ منذ وقت طويل لم يتأمل شعره في المرآة. هل تسلل الشيب إليه؟! لم لا يصبغه بالحناء كما كان يفعل الرسول عليه الصلاة والسلام؟ ولو فعل هل يردعهم ذلك، أم يثير سخريتهم؟!

ooo

وهو يتناول تذكرة الأوتوبيس هتف به الكمساري: ادخل جوه يا بركة.!

رمقه في حدة، واعتراه الغضب فجأة فزعق بلا وعي:

- بركة؟! ماذا تقصد؟ هل ترى في يدي عكازًا؟!

تطلع إليه الرجل باستغراب، وإذا ابتسامة ساخرة تعلو شفتيه..

- لامؤاخذة.. العتب على النظر يا.. يا أستاذ.!

ورغم إدراكه للهجة الساخرة التي يخاطب بها، إلا أنه تغافل عن ذلك، ولم يسبب له اللقب الجديد ضيقًا يذكر. وبقصد العناد لبث مكانه غير مبال بتجهمه! بركة؟!

هل أصبح مجرد بركة؟! البركة التي يعرفها تتمثل في تعويذة أو حجاب يحتفظ به البعض على سبيل البركة، أو بخور يطلقونه أيام الجمع قبل الصلاة ليجلب لهم البركة ويبعد عنهم رجس الشيطان، هل تحول إلى تعويذة أو مجرد بخور؟! ولو كان الأمر كذلك، فلم ابتسم الحاج محمود «العلاف» وهو يسأله منذ أسبوع تقريبًا:

- ألا تنوي الزواج يا«باشمهندس».. أنت مازلت صغيرًا وفي حاجة إلى من يؤنس وحشتك.!

حقًا كان اللئيم يريد أن يزوجه إحدى قريباته لترث عنه الشقة والمعاش، وقد رفض ذلك عندما رآها وعرف أن فارق السن بينهما يربو على الأربعين عامًا، ولو كان الحاج محمود يعتبره «بركة»، ما عرض عليه الموضوع، رغم خبث نواياه.!

ooo

وكله كوم و«سيدة» الخضرية كوم آخر.! الوحيدة تقريبًا التي ظلت تخاطبه بلقبه الحقيقي يا«باشمهندس»، حقًا تجاوزت ذلك عدة مرات ودأبت تخاطبه بقولها يا «أبو ميرفت»، لكنه لم يعبأ بذلك كثيرًا، وهل لديه أعز من ابنته «ميرفت»؟ هي - بلا شك - امرأة بسيطة تعامل الناس على سجيتها، إلى أن فوجئ بقولها ذات مرة وابتسامة غريبة تعلو شفتيها المموهتين بالدهان:

- أما زلت لا تريد الزواج يا باشمهندس.. أم أننا لسنا قدّ المقام؟!

كاد يسقط من طوله.. .. مقام.. وأي مقام يا جربوعة؟! لو كنت حقًا تحسبين للمقام حسابًا، ما خطر ذلك ببالك.! على آخر الزمن تريد لمن كانت زوجته دكتورة قدّ الدنيا، أن يتزوج من خضرية؟! أن يختم حياته بمهزلة؟ غمغم:

- لم أعد أفكر في هذا الموضوع يا ست «سيدة»..

البركة في الشباب.!

في المرة التالية كان وجهها خلواً من المساحيق. بدت مقطبة:

- أهلاً يا حاج.. أم تفضل أن أقول لك يا بركة؟!

عض حلقه وابتسم في صمت. أخبرها بمطلبه فلملمت له كل معطوب وحمصان.! استبدل بها خضرياً آخر في السوق البعيد.

ooo

اليوم، وهو عائد من طابور المعاشات المرهق، هتف به صوت بلهجة مستخفة:

- تفضل يا بركة.!

أحس أنفاسه تختنق. هي مؤامرة بلا شك. التفت.. عباس المزين. أشاح بيده واستحث الخطى أعرف السبب، لو كان دكانك نظيفاً. ولو كان لسانك أقل ثرثرة وخوضاً في سيرة الناس، ما تركتك إلى حلاق آخر، منذ شهر فقط كنت تخاطبني «ياباشمهندس»، الآن أصبحت بركة؟! وإذا السؤال الموجع ينغرس في قلبه.. أتراها الحقيقة وهو - عبثاً - يحاول أن يهرب منها؟!

- تفضل يا حاج.. تفضل يا بركة..

حياه بإشارة عاجلة، وقرر أن يستبدل به جزاراً آخر..!

رذاذ الماء ينتثر على يده.. المعلم سعد القهوجي:

- لا تؤاخذه يا بركة.. ماء نظيف وحياتك.!

رجل سوقي، مقهاه مرتع للصيع والبلطجية ولا تربطه به علاقة، ولو كان عنده دم ما قالها، فهو نفسه جاوز السبعين!.

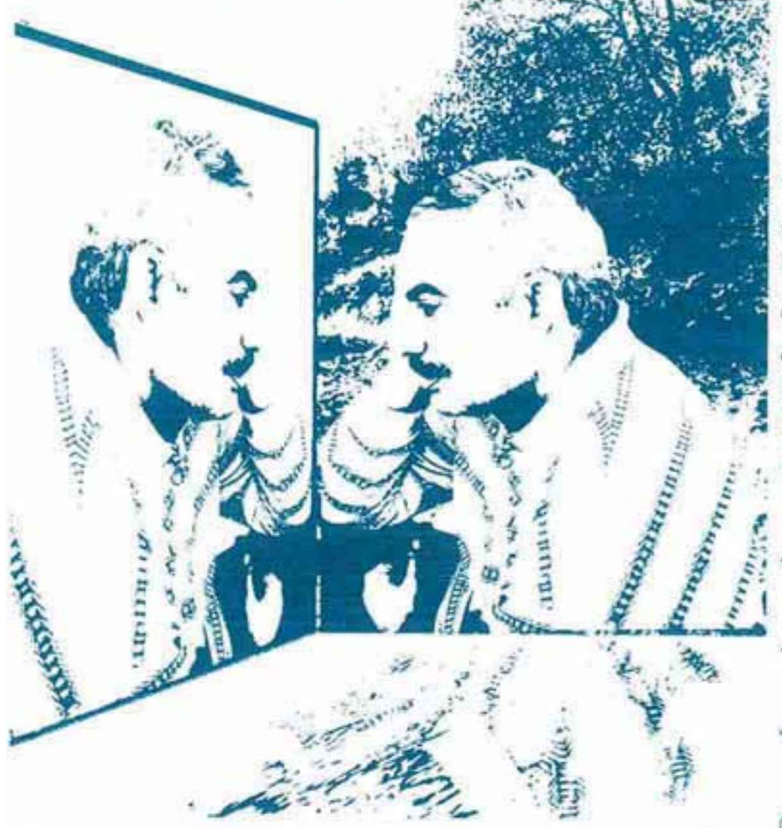
صوته الحاد الرفيع خرق أذنيه:

- كيف الصحة يا بركة.. أي خدمة.. حنفية.. سخان.. ماسورة ماء!.

ابتسم رغم تدهور حالته النفسية.. «سيد» السباك.. خفة ظله تغفر له سخافته، كما لا يمكنه الاستغناء عنه.! رد تحيته في هدوء، واستحث الخطى كمن ينفذ بجلده من حصار، أو يتجنب لكلمات متوالية.. تفضل يا بركة.. يا حاج.. يا بركة.. يا.. واسترد أنفاسه ما إن دلف داخل البيت. راح يلهث مرتقياً الدرج، من قبل لم يكن يلهث، ماذا حدث.. ماذا أصابه؟. هل سرقه الزمن فانقلب عجوزاً فعلاً.. بركة كما يقولون؟!

هل استحال كائناً هشاً لاقيمة له.. خرقة مهلهلة ملأى بالثقوب؟!

وهو يلج شقته لفّه الشعور بالضآلة والضمور، وعدم جدوى كل شيء وأي شيء، حتى الحياة ذاتها! في



طريقه لدورة المياه تأمل وجهه في المرآة. هل كانت المرآة مغبشة بالتراب؟ ما تلك الغضون التي وخطت قسماته فجأة؟ وهو يرى اللون الأبيض الذي دهم رأسه، غشيه حزن عميق، متى حدث هذا؟!

عاد فاستلقى في فراشه، تذكر المرحومة زوجته وابنه الذي يعمل في السعودية، وابنته الحبيبة، في سماء الحجرة تراءت له رؤوس بيضاء تركض في سرعة غريبة، ظل محدقاً دون أن تغمض عيناه، أو تفارق قسماته معالم الدهشة!.

عبدالتواب يوسف
المجتمع لا يقدِّر كاتب الأطفال ويراه حكّاء «حواديت»

أجراه: حسين حسن حسين
قسم التحرير

عبدالتواب يوسف اسم لامع في مجال أدب الأطفال، وقد استحق على ريادته وإسهامه الثر في هذا المجال تقدير وطنه وأمته والعالم من خلال ما ناله من جوائز وشهادات تقدير، ومع ذلك فإنه يرى أن المجتمع لا يقدر كتّاب أدب الأطفال، وهم في نظره ليسوا إلا حكائيين للحواديت.
في هذا الحوار الذي لا تنقصه الصراحة يتطرق الأديب عبدالتواب يوسف إلى موضوعات شتى تتصل بأدب الطفل، وقد رأينا أن تأتي صياغته بالعفوية ذاتها التي تحدث بها وهو يلامس قضايا ظل يعايشها على مدى زمني يزيد على الأربعين عاماً.

. إذا أردنا مدخلاً غير تقليدي وبدأنا بالسؤال عن علاقتك بالطفل قبل علاقتك بأدب الطفل، ماذا يمكن أن تقول؟

○ علاقتي بالطفل علاقة حميمة، ومازال هذا الطفل يعيش بداخلي، ولا تزعجني إطلاقاً فكرة النضج، وأستطيع أن أزعم أنني مازلت طفلاً، فأنا أذكر طفولتي بحماسة شديدة جداً، وأتذكر تفاصيل التفاصيل الدقيقة، منذ أن بدأت أعي ما حولي إلى أن خرجت من عمر الطفولة، بينما قد لا أذكر رحلة قمت بها منذ وقت قريب إلى مكان ما.

فمرحلة الطفولة لا أزال أتذكرها على أنها كانت فترة حميمة وسعيدة، ولو أنها كانت فقيرة، فلم يكن هناك الكثير الذي يشبع احتياجاتنا، ولكننا لعبنا مع الطبيعة، واستمتعت بقضاء إجازاتي الصيفية في القرية التي تركت في نفسي بصمة كبيرة أكثر مما تركت في المدينة التي كنت أتلقى فيها تعليمي والتي تبعد عن القاهرة ١٢٠كم، وظللت بها حتى سن السابعة عشرة حتى انتقلت إلى الجامعة في القاهرة التي لا أزال أعيش فيها منذ ذلك الحين إلى اليوم.

الطفل في داخلي كان يدفعني في الأعياد - قبل أن يكون لديّ أطفال - إلى أن أستعير أطفال الجيران لكي أحس بطعم العيد، فلم يواتني هذا الإحساس إلا من خلال وجودي وسط الأطفال، وظل هذا الإحساس مع أطفالي ثم أحفادي، ففترة الطفولة فترة عملاقة بداخلي ارتبطت فيها بأشياء كثيرة، بعضها طريف، وبعضها موجع ومؤلم، ولكنني عشتها - كما نقول في مصر - «بالطول والعرض».

. قلت في إحدى المناسبات إن هناك كتّاباً لقصص الأطفال لا يعرفون أسماء الكتاب الكبار الذين يكتبون للأطفال... فهل ينطبق هذا القول على كتاب مثل سليمان العيسى أو زكريا تامر أو صنع الله إبراهيم؟

○ هذه الأسماء الكريمة موضع احترام كبير وعميق من

جانبي، والأستاذ سليمان العيسى صديق قديم، وأتبادل معه اللقاءات والأفكار، وكتب عني قصيدة من أجمل القصائد التي قرأتها في حياتي، وقد كتبها على ظهر رسالة بعثت بها إليه، وأرسلها إليّ، ونشرها في أحد دواوينه.

ويكتب صنع الله إبراهيم للأطفال من حين إلى آخر، ولكنه بداخله سياسي أكثر منه أديباً، وهو له أسلوبه الخاص، وطريقته الخاصة منذ أن فاز أحد أعماله بجائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وأنا أتابعه بإعجاب وتقدير شديدين.

أما الأستاذ زكريا تامر، فقد كتب للأطفال في فترة مبكرة من حياته، وهو صديق التقيته أكثر من مرة، بل إن صديقة ابنتي أعدت رسالة ماجستير عن أدبه، ولم تعدها عن أعمالي، وقد بعثت إليه بالرسالة التي أهدتها إليّ، وقد انصرف زكريا عن الكتابة للأطفال.

أما الذي أعطى للأطفال كل شيء منذ عام ١٩٦٧م فهو الأستاذ سليمان العيسى. وهو أديب منتج وشاعر مطبوع يكتب الشعر بسهولة ويسر وبطلاقة شديدة، وبحب شديد للأطفال.

وأذكر له موقفاً طريفاً حدث في عام ١٩٧٠م بدمشق، عندما كنا في اجتماع لاتحاد الكتاب العرب، إذ قال لنا: إنه فقد الثقة بنا وبنفسه، وأضاف: أملي كل الأمل في هؤلاء؟، ثم إذ هو يفتح الباب ليتدفق عبره نحو ٦٠ طفلاً بدؤوا في غناء إحدى قصائده ملحنة. ومنذ ذلك التاريخ أعرف مدى حبه للأطفال وتفانيه في هذا العمل.

وهو أيضاً تربوي، وله زوجة متميزة في مجال التربية، ولا أنسى أول لقاء لي بها؛ إذ كنا في بيروت بمناسبة انعقاد أول مؤتمر عن ثقافة الطفل العربي، وكنت قد دفعت جامعة الدول العربية إلى عقد هذا المؤتمر، وكان على هامشه يقام معرض جميل لكتب الأطفال، وكان من بين ما يضمه ديوان سليمان العيسى الأول، ففكرت في أخذه، ولكن لم يسمح لي ضميري، بينما كنت واثقاً أن هناك من سيأتي ويأخذه بعد ساعة. وبالفعل فوجئت في اليوم التالي أن الديوان غير موجود، فطلبت مندوب سورية، فجاءت لي سيدة رقيقة أخبرتها بأن ديوان سليمان العيسى قد سرق، فقالت بلا مبالاة: لا يهم. وكان ردي: أنه مهم ولا بد لك أن تعرفي مكانة سليمان العيسى بوصفه شاعراً كبيراً، ومن ثم أن تعرفي أهمية ديوانه.

فسألتني: هل يهمك سليمان العيسى.

فأجبتها: نعم.. يهمني جداً.

فقالت: سوف أرسل لك نسخة من ديوانه.

فشكرتها، ثم قلت لها: لي رجاء، وهو أن تعرفي قيمة هذا الشاعر العظيم.

فقالت: إن مشكلة حياتي هي هذا الشاعر؛ لأنه زوجي.

ومنذ ذلك الوقت بدأت علاقتي بالأستاذ العيسى، وزوجته السيدة ملك عبود.


عبد التواب يوسف

ويتصدر ديوانه الأخير مكتبتي، وقد ترجم عدداً كبيراً من القصص يصل إلى نحو مئة قصة من خلال دار طلاس بسورية.

وما أوردته في حديثي لا علاقة له بهؤلاء الأدباء، ولكنني أردت أن أقول إن أردت أن تكون كاتباً للكبار، كنجيب محفوظ مثلاً، فإنه لابد من قراءة شكسبير، وتوماس مان، وموليير، وديستوفسكي، ولكي تكون كاتباً للأطفال يجب أن تعرف ماذا يكتب العالم للأطفال من حولك، فالمسألة ليست أن تقدم على الكتابة للأطفال من دون أن تعرف ماذا كتب الآخرون.

فما كتب في العربية قليل، ولا يستوقفنا، فعلى سبيل المثال نجد في الشعر إسهامات كامل الكيلاني (١٨٩٧م)، ثم الهراوي ومعروف الرصافي، وإبراهيم عرب. وهذا الأخير أعدّ ديواناً في عام ١٩١١م اسمه «آداب العرب»، وقد أعدت طبعه في القاهرة، كما أعدت طباعة دواوين هؤلاء جميعاً حتى أحافظ عليها من الدمار لأنها كانت قد نسيت.

وهناك من يرى أن هذا أفضل عمل قمت به بالنسبة إلى الأطفال، ويهمل إنتاجي وكتاباتي، ويقول: أنت صنعت شيئاً جيداً لهؤلاء الأدباء.

أنا لست شاعراً ولكني حفي به، ويهمني جداً أن يبقى تراثنا الشعري للأطفال بين أيدي الدارسين على الأقل. والأجيال الصاعدة عليها أن تعرف ماذا يكتب الآخرون، فهي لابد أن تعرف ما هي جائزة نيوبري؟وما هي جائزة أندرسون التي بدأت في عام ١٩٥٦م. والتي فاز بها ٢٥ أديباً ليس بينهم من ترجمت أعماله إلى العربية؟ ولقد اضطررت إلى تحمل مسؤولية الترجمة لهذه الأعمال من خلال مكتبة الأسرة التي تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب، وأصدرت خمسة كتب مؤخراً، والكتاب الواحد يطبع منه ٢٠ ألف نسخة، وينفد من الأسواق في أيام معدودة لأن سعر الكتاب لا يزيد على ٥٠ قرشاً، وهو يحمل أدباً عالمياً عظيماً، وقد نال أحسن الجوائز.

ألف ليلة وليلة أكبر كتاب مترجم في العالم بعد الإنجيل وشكسبير، وقرأه مارسيل بروست ١٧ مرة متمنياً أن يستعيد متعة القراءة الأولى له



إيسوب

أندرسون

فالكتّاب الجدد عليهم أن يعرفوا ماذا يكتب اليابانيون في مجال أدب الأطفال؟ ومن هو شانكر الهندي؟ وماذا كتب؟ فهذا هو الكاتب الأول للأطفال في الهند، وكان يصدر مجلة تقيم مسابقات يشارك فيها أطفال الوطن العربي، وله كتب كثيرة.

ومن الواجب أيضاً معرفة ما ينتجه الإنجليز والفرنسيون في هذا الميدان، كما أن أدب الأطفال مزدهر في أمريكا اللاتينية، وفاز برازيليان بجائزة أندرسون من قبل.

ففي هذا العام (٢٠٠٠م) فازت آنا ماريا سبلاش، وقد التقينها في كولومبيا، وترجمت عملاً صغيراً لها للإذاعة.

يهمني جداً أن نتابع ما يجري في العالم، وما يعج به من تيارات، وأنا شخصياً أتابع قائمة كتب الأطفال التي تصدر في بازل بسويسرا كل سنتين، وفي التسعينيات تابعت كل القوائم لأعرف الاتجاهات وعما يكتبون.

- ماذا يكتبون؟!

○ بعضنا يتصور أن كل ما يكتبونه يكون عن الإنترنت والكمبيوتر؟ ولكن من خلال المتابعة وجدنا أن أكثر شيء يهتم به الأطفال في الفترة الحالية هو البيئة، فهم يشعرون أننا نحن الكبار نلوث البيئة، ونترك لهم العالم قذراً ومدمراً، فالثروات تنزح من المناجم، والبترول يستهلك، وثقب الأوزون تتسع رقعته، فهم شاعرون أننا نخطئ كثيراً في حقهم، فيقبلون إقبالاً غير عادي على قراءة هذه الكتب الخاصة بالبيئة والأدب الشعبي يجد اهتماماً كبيراً، ومن صور هذا الاهتمام إعادة صياغته والتفكير فيه والرد عليه.

- كنت أود أن تتكلم على تجارب الحفاظ على الأدب الشعبي ولو كانت محدودة أو من باب التوثيق، مثلاً الأستاذ عبدالكريم الجهيمان كتب «أساطير شعبية»، وأعرف أن هناك تجربة للدكتور فاروق خورشيد؟

○ لا بالنسبة إلى الدكتور فاروق فقد كتب للأطفال أنفسهم أعمالاً مثل معروف الإسكافي، وأنا أعرف أعمال الأستاذ عبدالكريم الجهيمان؛ لأنها أهديت إليّ من الصديق يعقوب بن إسحق، واقترحت ضرورة إعادة صياغة بعض قصص الأطفال. فالذي أريد قوله: إن الذين يجمعون قصص الأطفال لا علاقة لهم بأدب الأطفال.

أقصد كيف يمكن الاستفادة من القصص الشعبي؟

هناك «جامعو الحكايات الشعبية» أعددت عنهم كتاباً، وهو الكتاب الأول في سلسلة اسمها «شجرة أدب الأطفال» (البذور) وأقصد بهم الذين وضعوا بذور أدب الأطفال في العالم مثل جاكوب جاكوب في إنجلترا «أندرو لانج»، وفي روسيا كريلوف، والأخوين جرينف في ألمانيا، مسبيو نورسون وموف في النرويج.

كل بلد فيه شخص جمع حكايات شعبية، وهي تمثل ثروة، ونبدأ بإيسوب اليوناني قبل الميلاد، فكتّاب الأطفال تلقفوا هذه القصص واستفادوا منها.

ففي فرنسا مثلاً جمع لامارتين حكايات الأطفال وصاغها

شعراً، وجمع شارل بيرو نحو عشر حكايات وأشهرها سندريلا، وهؤلاء علينا أن نأخذ قصصهم لا لنعيد صياغتها فحسب، وإنما نعيد كتابتها برؤية أخرى.

ومن النماذج الجميلة التي قابلتها في حياتي تتعلق بالقصة المعروفة عن النملة والصرصور، وفحواها أن النملة تجمع في الربيع والصيف أكلها استعداداً لفترة البيات الشتوي، بينما ظل (الصرصور) يلعب، فعاشت النملة ومات الصرصور، وهذه القصة من إيسوب، وقد تلقفها كاتب وأعدها للتلفاز، ولكن كان رأيه أن الصرصور حشرة غير نظيفة، فجعل طرفي القصة النملة ونقار الخشب، وهو بذلك دمر القصة، لأن المقابل للنملة لابد أن يكون له بيات شتوي، بينما نقار الخشب ليس له بيات شتوي!!

ولكن عندما تناولها رجل مهم جداً في أمريكا اسمه ليو ليونيني جاء التناول بشكل جميل جداً، فدارت القصة حول خمسة فئران من بينهم فأر اسمه فردريك لم يكن يعمل ويكتفي بالتجول والتنزه، وعندما طالبه زملاؤه بالعمل قال لهم: لا تقلقوا عليّ. وعندما جاء الشتاء ودخلوا الجحر، سألوه: ماذا سنأكل؟ فسألهم بدوره بماذا تشعرون؟ هل تشعرون بالبرد؟ أجابوا: نعم.. بشدة.. قال لهم: تذكروا الشمس وهي تتخللكم؟ لتشعروا بالدفء.. وهذا الجحر خانق.. ولكنني أغمض عيني وأتذكر النسمة القادمة من البحر وهي تصافح وجهي.. وهذا المكان كله رمادي، ولكنني حين أغمض عيني أتذكر الحدائق التي كنت أتنزه فيها!.. فقالوا له: فردريك قل لنا مثل هذا الكلام.. فأنت شاعر.. ونحن علينا أن نؤمن لك طعامك.. والفكرة في هذه القصة أن الشاعر يجمّل الحياة وأن على المجتمع أن يدفع ثمن هذا الجمال.

فقصة إيسوب كانت تعلي من قيمة العمل، بينما هذه القصة تعلي من قيمة الفن.. فالمجتمع عليه أن يدفع ثمن الفن الذي يستمتع به..

ـ عفواً.. هذه القصة في السعودية تدور حول النملة وطائر اسمه (أم سالم) وهي أيضاً بين النملة التي تجمع غذاءها والطائر الذي لا يجمع غذاءه؟.

○ نعم فالقصة معروفة لدى الشعوب المختلفة ولكن منبعها إيسوب. وللعلم، فإن هناك ١٤٥ سندريلا في العالم، من بينها السندريلا المصرية.. وأذكر أنني كنت في مكتبة في أمريكا فأعطتني سيدة كتاباً اسمه THE EGYPTAIN SENDRILLA، فقلت لها: شكراً.. من الكاتب: رادوبيس.. قالت: من رادوبيس؟ قلت لها: حوار سندريلا اسمه رادوبيس ـ قالت، لا ليس هناك رادوبيس، وإنما سندريلا.. فسندريلا اسم فرنسي لا نعرفه، وعندما فتحت الكتاب كانت رادوبيس أول كلمة، وقد كتبها نجيب محفوظ.. وهذا اسم فرعوني.. فنحن ليس لدينا حفل الرقص الذي ستترك فيه سندريلا حذاءها، ولكن ما الذي سيحدث؟ في السندريلا الفرعونية. هناك طائر خطف «فردة» حذائها، وألقاها في حجر الأمير، فطلب منهم أن يأتوا بصاحبة الحذاء.. وكذلك لا يوجد رقص لدى اليابانيين، فتدور القصة حول فتاة تملأ قدراً من البئر، فيأتي الأمير ليشرب حصانه من

الإسرائيليون سرقوا نصف الأدب الشعبي في العالم ونسبوه إلى أنفسهم، وجعلوه جزءاً من تراثهم، والواقع أنه لا تراث لهم



سليمان العيسى — صنع الله إبراهيم

البئر، فتخاف الفتاة وتهرب تاركة الحذاء قرب البئر.. فالذي أريد قوله: إن كل بلد يطور القصة حسب بيئته.

أنا كتبت خمس قصص من حلايب وشلاتين في العام الماضي، وصدرت هذا العام، وأطرف ما في الأمر أن ٧٠٪ من هذه القصص معروفة في بيرو وفي غيرها من مناطق العالم، ويحكيها أناس لا يعرفون لغات.. فالقصص الشعبي يهاجر ولا يعرف هذه الحدود المصطنعة. فهناك أفكار شعبية في كل مكان، وعلينا أن نتناولها بكل الصور.. يعني يمكن أن يقوم شخص بإعادة صياغتها، وآخر يؤلفها من جديد كما فعل

ليو، وثالث يكملها.. فالسندباد البحري مثلاً تتكون من سبع رحلات، ولكنني حكيت سندبادي في رحلة ثامنة. وإذا كان سندباد في القصة الأصلية مغامراً يذهب إلى الجزر، فإنه عند سعيد العريان ولد فقد والده ويبحث عنه، وعند صديقنا عبدالرحمن فهمي قصة الإنسانية ومعاناتها منذ فجر التاريخ إلى اليوم..

قرأت سندباد في ألف ليلة وليلة فأعجبني.. وبدأت قصتي بعد أن انتهت قصة ألف ليلة وليلة..

ويقول أدباء الأطفال في أمريكا: إن ٧٠٪ من أدب الأطفال مأخوذة من الأدب الشعبي، أو إنها منسوجة بطريقة الأدب الشعبي.

. بمناسبة ذكر ألف ليلة وليلة يحضرني قول لبورخيس الأرجنتيني بأن علاقته بالأدب العربي بدأت بحكايات ألف ليلة وليلة التي كانت تحكيها له أمه.. والسؤال: ما تأثير ألف ليلة وليلة في خارطة أدب الطفل في العالم؟

○ تأثير خطير.. خطير.. فأنا أعرف ٢٠٠ كتاب على الأقل مأخوذة من ألف ليلة وليلة، أو متأثرة به أو تضيف إليه، أو تستخدم شخصيات ألف ليلة وليلة.

ويكفي أن أقول: إن والت ديزني كسبت من علاء الدين ٢٨٥ مليون دولار في أول سنة عرض.. فألف ليلة وليلة كنز لا يتصوره أحد.. وهو أكبر كتاب مترجم في العالم بعد الإنجيل وشكسبير.

وقد قال مارسيل بروست إنه قرأ ألف ليلة وليلة سبع عشرة مرة، وفي كل مرة كان يتمنى لو محيت قصصه من ذهنه، ليستمتع بها بالطريقة نفسها التي استمتع بها أول مرة.

فألف ليلة وليلة له أخطر أثر على الإطلاق في التاريخ الإنساني للأدب الشعبي. وأنا لديّ طبعات صينية منه مع أنني لا أعرف الصينية، ولكن أستمتع بما فيه من لوحات.. ونحن يا للأسف لم نستثمره إلى الآن.

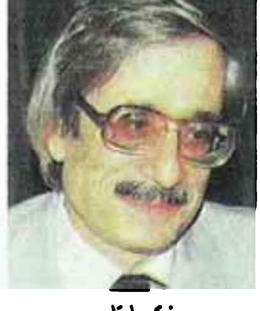
. قصصنا الشعبية يتم توظيفها لتأتي إلينا في صورة مغايرة من خلال وسائل الاتصال المختلفة.. ما مدى خطورة هذا الواقع؟

○ نعم.. اليابان أعدت ٩٠ حلقة من السندباد، بينما لم نستطع نحن ذلك.. وهناك مشكلة أخرى لها بعدها السياسي، فأنا لديّ كتاب عن الأدب الشعبي في إسرائيل، وقد نشرت في

نتصور أنه لا حديث للعالم إلا عن الإنترنت والكمبيوتر؛ بينما البيئة تمثل موضوعه الرئيس




من مؤلفات عبد التواب يوسف


زكريا تامر

«الفيصل» قصة إسرائيلية بعنوان «من سرق من القمر».. فالإسرائيليون سرقوا نصف الأدب الشعبي في العالم ونسبوه إلى أنفسهم.. وثلاثة أرباع المسروق من الأدب الشعبي العربي.. فهم يسرقون فنوننا الشعبية وملابس سيناء وفلسطين وينسبون كل شيء إلى أنفسهم. ومأساتنا سوف تظهر عندما يبدأ تطبيق اتفاقية التجارة العالمية. فكلما جئنا لنستخدم شيئاً من أشيائنا سوف يرفعون علينا قضية للمطالبة بمقابل ذلك، لأنهم يسجلون في كل العالم أن هذا تراثهم هم.. بينما الواقع أنهم بلا تراث حقيقي. هناك كتاب عن الفكاهة الإسرائيلية، ترجمت منه نحو ٢٠٠ ـ ٣٠٠ نكتة، ووجدت أنهم قد سرقوا ثلاثة أرباع فكاهات العالم، وثلاثة أرباع فكاهات العرب، وكلها منسوبة إليهم.. فيجب أن نكون حذرين جداً في هذا الموضوع، ويجب أن نسارع لضمان حقوقنا بالنسبة إلى الملكية الفكرية لأدبنا الشعبي.

. ما أبرز الجهود التي تمت لحفظ أدبنا الشعبي؟

○ هناك أناس بذلوا جهوداً كبيرة في هذا المجال، فالأستاذ فؤاد حسنين وضع في عام ١٩٤٨م كتاباً بعنوان «قصصنا الشعبي» فكانت البداية، ثم جاء الدكتور عبدالحميد يونس واحتضن الأدب الشعبي، وبخاصة أبي زيد الهلالي، ثم جاءت الدكتورة سهير القلماوي واحتضنت ألف ليلة وليلة

منعني أبي من قراءة «ألف ليلة وليلة»، بينما أعدت سهير القلماوي رسالة دكتوراه عنه




عبد الكريم الجهيمان   عبد الحميد يونس

وأعدت عنه رسالتها الدكتوراه، وأشرف عليها الدكتور طه حسين. والمفارقة أن أبي رفض أن أقرأ «ألف ليلة وليلة» بينما سهير القلماوي تعد عنه رسالة دكتوراه، لأنه لم يره إلا كتاباً قبيحاً يتسم بقلة الأدب، ونسي ما فيه من فن.. فكل همه كان الألفاظ النابية والمواقف الشائكة التي فيه.. إننا لابد أن نهتم بالأدب الشعبي لما له من أهمية قصوى..

ـ الحفاظ على الأدب الشعبي يحتاج إلى مؤسسات تتصدى له، لأن ما تقوم به أنت وغيركم يظل جهوداً فردية متفرقة؟!

ه أعتقد أن هذا العمل كان يسير بشكل جيد في الخليج، ففي قطر مركز للتراث الشعبي، وكانت خطواته جيدة، وكان يعد ندوات متخصصة، ولكن بعد أن ترك الشاعر علي عبدالله الخليفة مسؤوليته لم تعد الظروف ملائمة لتحقيق النجاح نفسه.

ـ أدب الطفل يندرج تحت عنوان أكبر هو «ثقافة الطفل»، بوصفكم من أوائل الذين دعوا إلى الاهتمام بثقافة الطفل التي أصبحت مادة تدرس في الجامعات.. كيف ترى هذه العلاقة؟!

ه لابد أن نفرق بين ثقافة الطفل وأدب الطفل.. فالأخير هو ما نكتبه، ولكن ثبت أن الكتابة وحدها لا تكفي، لأن هناك عناصر أخرى تتدخل في بلورة ثقافة الطفل كالأسرة والمدرسة والإعلام ووسائط الثقافة، والمجتمع كله.. ففي تكوين ثقافة الطفل لا نكتفي بالأدب وإنما هناك فنون تشكيلية، وفنون شعبية (حرفية وأمثال ومواعظ)، وأجهزة تعمل في مجال ثقافة الطفل. الإذاعة والتلفاز، وهناك الموسيقى، وفنون أخرى كثيرة تصنع وجدان الطفل.. فهذا هو الفارق بين أن تكتب أدباً (قصة ـ قصيدة ـ مقالة) أما الثقافة فتشارك فيها الوسائل التي نستخدمها بما في ذلك الكمبيوتر والسي دي وغيره.

ففي وقت مبكر كنا نعمل أدب أطفال، ولكن من أواخر الستينيات وبالتحديد ابتداء من عام ١٩٦٧م بدأنا نهتم بضرورة التنسيق بين الفنون والآداب جميعها.

وكنا نعمل من خلال جمعية ثقافة الأطفال التي شاركت في تأسيسها في عام ١٩٦٨م، وكانت هي القناة الوحيدة في هذا الميدان، بينما توجد الآن نحو ٢٧ مؤسسة وهيئة تعمل في مجال ثقافة الأطفال. وقد وجهنا إليها الدعوات في العام الماضي لمؤتمر موسع عن ثقافة الطفل.

ففي ثقافة الطفل يهمني أن أثقف أذن الطفل بالموسيقى، وأن أثقف عينيه باللوحات، وأن أثقف وجدانه بكل هذه الوسائل، ومن بينها لعب الأطفال، وما إلى ذلك.

ـ ماذا عن بدايات المجلات المتخصصة الموجهة إلى الطفل؟

ه أول من أسس مجلة للأطفال هو رفاعة الطهطاوي وكان اسمها «روضة المدارس»، وذلك في القرن التاسع عشر، وكان يكتب فيها الطهطاوي وآخرون، وتلتها مجلات كثيرة في مصر، والآن تعد «سمير» أقدم مجلة للأطفال، وعمرها تجاوز ٤٤ سنة، ومن حظها أن رئيسة تحريرها بدأت العمل فيها منذ العام الأول لصدورها، وهي تنقل فكرها الخاص جداً حول أدب الأطفال، واستطاعت المجلة أن تصمد أمام منافسة مجلات أخرى كالكروان، و«سندباد» لسعيد العريان.

والآن نجد مجلات كثيرة للأطفال في عالمنا العربي كمجلة «باسم» السعودية، وكروان وبلبل اللتين تصدران من مؤسستي أخبار اليوم والأهرام.

وعلى الرغم من ازدهار مجلات الأطفال في الوطن العربي إلا أن نصيب الطفل منها قد يكون جملة أو عبارة أو رسمة، بينما الطفل الأمريكي نصيبه نحو ١٢ مجلة في الأسبوع، فعدد المجلات لا يزال قليلاً بالنسبة إلى ما يحتاج إليه الطفل العربي.

- ماذا عن تجربتكم في تأسيس «الفردوس» أول مجلة إسلامية للأطفال؟!

٥ اقترحت في عام ١٩٦٨م على المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر أن تصدر مجلة إسلامية للأطفال، وكانت الأولى من نوعها، وقد صدرت بالفعل في ذلك العام، وما زلت أكتب فيها إلى اليوم بشكل منتظم جداً، وأنا أشعر أنها كابنتي، لأني فكرت فيها، وشاركت فيها من عددها الأول، وأحرص على قصتي فيها أكثر من حرصي على أي عمل آخر أقوم به في مجال أدب الأطفال.

أزعم أن إسلاميات الأطفال قبلي كانت تاريخاً إسلامياً وليس إسلامياً، بينما حولت المسألة إلى أدب إسلامي فيه قصص وروايات وشعر.

وأصبح لي منهج ليس تاريخياً أريد من خلاله أن أقول للأطفال: إن الدين صالح لكل زمان ومكان، وأريد أن أرسخ فيهم العقيدة، وأن أحدثهم عن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وأن أتكلم أيضاً على أركان الإسلام وعلى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والأنبياء والتابعين والصحابة، ثم كان لابد من الحديث عن القيم الإسلامية، لأن هذه القيم ضد القيم السلبية ومع كل القيم الإيجابية، بينما الآخرون يقدمون القيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ويجعلون القيم الدينية كواحدة من هذه القيم.. ومن ذلك كله أقول إنني تعلمت أن أكتب أدباً إسلامياً، وحاولت وبذلت جهدي فيه، وأظن أنه قد تحقق له بعض النجاح، ولعل دليل ذلك أن كتاب «طفولة الرسول عليه الصلاة والسلام» قد نال جائزة منظمة الثقافة العربية، وهي منظمة قومية، كما أن كتاب «حياة محمد» حصل على جائزة السيدة سوزان مبارك، وجائزة معرض بولونيا الدولي لكتب الأطفال.

إذن، فإن كتاباتي الإسلامية موضع اهتمام وتقدير.

- أدب إسلامي.. هل في هذه الصفة للأدب ما يمكن أن نسميه بمأزق المصطلح؟!

٥ أنا أزعم أنه قد ثبت أن هناك أدباً إسلامياً وتراثياً أيضاً.. وأرى أن قصة «حي بن يقظان» أدب إسلامي، وكتبت أكثر من مقال عن هذا الموضوع في مجلة رابطة الأدب الإسلامي، وهناك من رد علي، وناقشنا الموضوع باستفاضة.

وأزعم أن الروح الإسلامية حين تسود شعراً، فإنه لابد أن

أستخدم العامية في الإذاعة وفي الكتابة المسرحية، وأصر على أن تكون أعمالي المنشورة بالفصحى، وهذه الازدواجية لابد لها من حل



لامارتين — كامل كيلاني

يسمى أدباً إسلامياً.. وروايات نجيب الكيلاني مثلاً.. ماذا يمكن أن تسميها؟

فأغلب أعماله أدب إسلامي، حتى إنه حين تحدث عن حرب رمضان تحدث عنها من زاوية إسلامية.. أقول إنه قد ثبت الآن أن هناك أدباً يمكن أن تطلق عليه «أدباً إسلامياً»، فلم نعد في حاجة إلى التشكيك في وجود هذا الأدب.

السؤال المطروح: كيف تقدم أدباً إسلامياً حقيقياً للكبار والأطفال؛ فالذي كتبه باكثير على سبيل المثال يجب أن تضمه إلى هذه الفئة من الأدب، فقد كتب أعمالاً إسلامية رائعة جداً.. وأن يقول أحد: إنني كاتب إسلامي، فهذا شرف كبير لا أظنني أرقى إليه.

- تقصد بالسؤال حساسية المصطلح؟!

٥ أي مصطلح في الدنيا عليه اعتراض.. فيكفي أن أليوت اضطر إلى أن يؤلف كتاباً ليقول: «ملاحظات على تعريف الثقافة»، لأن الثقافة لها ١٦٠ تعريفاً.. أقصد أنه لا يمكن أن يكون هناك تعريف جامع شامل للمصطلح.

- لك قصة بعنوان «العم نعناع» بالعامية.. في ظل الخلاف حول استخدام الفصحى والعامية في مخاطبة الطفل.. كيف ترى هذه الإشكالية؟!

٥ مازلت أكتب قصصي للإذاعة بالعامية، وحين أحولها

إلى النشر لابد أن أكتبها بالفصحى، لأني أرفض أن تطبع كتبي بالعامية.. والعامية المستخدمة في «العم نعناع» أقرب إلى الفصحى. وأرى أن نحد من تأثير لهجاتنا المحلية، ولا أقول بإلغائها.. وأذكر أن الشيخ شلتوت [شيخ الجامع الأزهر] دخل في نقاش مع الأستاذ فكري أباظة حول العامية والفصحى، فقال له فكري أباظة: يا فضيلة الشيخ هناك حاجات بالعامية لا نستطيع أن نعبر عنها بالفصحى.. فرد عليه: ليس هناك شيء في العامية وإلا وله مرادف في الفصحى.. فقال له فكري أباظة. مثلاً إذا أردنا أن نقول «اطلع من دول». [هذا التعبير في العامية المصرية يعني: دعك من اللف والدوران].. هل سنقول: «أخرج من هؤلاء»؟!.

فالمعنى المضمن في هذا التعبير اتسع عن المعاني المجردة للكلمات التي فيه.

وأنا مازلت أكتب المسرحية بالعامية، وإذا أردت طباعتها أحولها إلى الفصحى، لأن الكلمة المقروءة لا تقرأ إلا بالفصحى.. وهذه الازدواجية موجودة عندنا، وحقيقةً يجب أن تحل.

وأطفالنا لهم مشكلة أخرى، وهي ضعف ثروتهم اللغوية. فالطفل له أربعة قواميس، القاموس الأول حين تكلمه ويفهمك، وهذا قاموس عريض، ولكنه عندما يريد هو أن يعبر فإن القاموس يضيق، وفي الكتابة نجد الشيء نفسه، فأنت تكتب له فيستطيع أن يقرأ ويفهم، ولكنه عندما يريد التعبير بالفصحى تجد القاموس وقد ضاق به.. هذه القواميس الأربعة يجب أن نحتاط لها، ونهتم بها.

آخر عمل صدر لي هو ١٦ كتاباً عن اللغة العربية والأطفال، ثمانية عن الحروف الأبجدية، وكيف ننطقها.. وبالذات «حرف القاف».. وأعطيته عناية خاصة، وأسميت القصة «فخامة القاف» لأن هذا الحرف فخم جداً.. وفي نطقه اختلاف كبير، ففي الصعيد «جيم»، وفي المدينة ينطق «همزة»، والمذيعات يجعلنه «كاف»، وفي السودان مثلاً «غ». فالقاف حرف صعب جداً، وأعتقد أن لغتنا هي لغة القاف أكثر من كونها لغة الضاد - لأن الضاد قد يكون قريباً من الدال أو من حروف أخرى.

وأنا مهتم جداً بقضية اللغة، ووضعت ثمانية كتب عن النحو، وعن سيبويه وعن أبي الأسود الدؤلي.

قبلي كانت إسلاميات الأطفال تاريخاً إسلامياً، فحولتها إلى أدب إسلامي، فيه القصة والشعر والرواية، ويتضمن قيم الإسلام وتاريخه وأعلامه



غلافا كتابي: فصول عن ثقافة الطفل، وطفل قبل المدرسة

فسيبويه رجل فارسي، ومعنى اسمه رائحة التفاح، وقد أعطى مع الخليل بن أحمد عطاء كبيراً للغة العربية..

وأردت أن أعرف أولادنا من أين أتت كلمة نحو، بينما يُعرف هذا النحو في اللغات الأخرى بالقواعد.. فقدمت حكاية ترجع إلى عصر الخلفاء الراشدين، حين بدأ الإمام علي بن أبي طالب يقول: أريدكم أن تصنعوا نحو هذا، فأصبحت كلمة النحو الكلمة المرادفة للقواعد.

- هناك اتجاه لتبسيط الكلاسيكيات العالمية، مثل كلاسيكيات شكسبير، وقد نراها مزدوجة كأن تكون بلغتها الأصلية ومترجمة في الوقت نفسه إلى العربية.. كيف ترى هذا الاتجاه؟

• كلاسيكيات أدب الأطفال في العالم شيء خطير جداً.. ومنذ بداية السبعينيات تقدمت بمذكرة إلى وزارة الثقافة في مصر لترجمة هذه الكلاسيكيات التي لدينا قائمة بها تضم نحو ١٥٠ كتاباً..

وهذا الكلاسيكيات ثابتة وراسخة، وجميع أطفال العالم يقرؤونها، بعضها شعر لا يصلح للترجمة فاستبعدناه، وبعضها قد لا يناسبنا فاستبعدناه أيضاً، وبعد أن ترجمنا نحو (٤٠ - ٥٠ كتاباً منها) تعثر المشروع، وضاع في أدراج وزارة الثقافة، وكان ذلك في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات..

ومع ذلك لا يزال المشروع يراود كثيرين، وكلما جاء رئيس للمركز القومي للثقافة يطلب مني الإشراف على هذا المشروع، فيكون ردّي أن المشروع قد دُمر؛ لأن أعداءه كانوا كثيرين جداً؛ لأن هناك من لا يريدون أن تكون كتب الأطفال العالمية معروفة.

ولديّ دائرة معارف اسمها Junior Classic of The Children World تتكون من عشرة أجزاء، ومختارة أعظم الكلاسيكيات العالمية للأطفال، ونحن مطالبون بترجمتها، كما نترجم الحديث الذي نواكبه الآن مثل جائزة أندرسون وغيرها. وقد بسطت مثلاً كلاسيكيات شكسبير من أجل فتح شهية الأطفال لقراءة الأعمال الأصلية فيما بعد.

ومن أشهر الذين بسطوا الكلاسيكيات رجل اسمه مايكل ويست، وهو عندما تقدم في السن عاش معه شابان يقومان بخدمته، ويعلمهما كيف يبسطا الكتاب من غير أن يفقد روحه. فالتبسيط مسألة فنية بالغة الأهمية.

وقد نجح أحدهما نجاحاً باهراً، واسمه (توت)، ولا يزال يمارس عملية التبسيط، ونحن نترجم بعض أعماله.

وأذكر أنه بسّط كتاباً بعنوان «إيميل والبوليس السري»، وهو للكاتب الألماني إيريك كستنر، وقد ترجمته لسلسلة «نوبل الصغيرة» أو جائزة أندرسون.

فالتبسيط من أجل فتح الشهية لقراءة الأصل فيما بعد، أما أن يقرأ أحدهم تبسيط رواية لنجيب محفوظ، فيتصور أنه قرأ نجيب محفوظ فهذا أمر مرفوض.

ـ هل هناك أعمال أدبية عربية تم تبسيطها؟

∘ ما بسط من الأدب العربي شيء لا يذكر، بل إن هناك رجلاً مهمته في الحياة تدمير الآثار العربية بدعوى تبسيطها، فهو لا يعرف كيف يبسط، لأنه لا يفهم روح الكتاب، مما يجعله يلخصه بشكل رديء جداً.

ـ من هو هذا الرجل؟

∘ لا داعي لذكر اسمه.. لماذا نشتم الناس بأسمائها. وإنما هو رجل يعمل في مصلحة الاستعلامات بالقاهرة، فهو يسرق من هنا ليبيع هناك، ولم يبسط كتاباً واحداً يستحق القراءة!! فليست لدينا مدرسة مايكل ويست أو توت للتبسيط.

ـ ومدرسة عبدالتواب يوسف؟!

∘ أنا لم أبسط غير كتاب واحد، وقدمته هدية لأستاذتي الراحلة سهير القلماوي، وهو «أحاديث جدتي».. فقد بسّطت القصص السبع فيه، ولم أغير شيئاً مما كتبته، وحذفت العبارات الصعبة فقط، واحتفظت تماماً بروح الكتاب. وكان هذه هي المرة الوحيدة التي قمت فيها بالتبسيط، ولم أكرر التجربة.

ـ لماذا؟

∘ ما دمت أستطيع التأليف لماذا أبسّط أعمال الآخرين، فهذا العمل مهمة أناس آخرين، لأن عملي الأساسي هو التأليف. أما لماذا ألجأ إلى الترجمة؟ فلأنه ليس هناك من يترجم الأعمال الأدبية العالمية لأنهم لا يعرفونها.

ـ ما تقوم به وأمثالك في هذا المجال يمثل جهوداً فردية، هل هذه الأعمال تملك قدرات الصمود؟

∘ لا نستطيع الحكم.. فقصة مثل «قدرة الزيتون» لكامل الكيلاني، والموجودة في «ألف ليلة وليلة» يمكن أن تكون قد ماتت، ولكنني نفضت عنها غبار النسيان بسبب شيء غريب جداً، وهو أن هناك رجلاً اسمه بيتر سليد ابتكر شيئاً في المسرح اسمه «المسرح الإبداعي»، وهو أن تحكي للأطفال قصة، ثم تتركهم يقومون بتقمص شخصياتها، ويقومون هم بابتداع الحوار، وعدَّ هذا شيئاً إبداعياً خطيراً في تاريخ المسرح في العالم، فأعدت صياغة «قدرة الزيتون» في شكل مسرحي، لأقول لهم: إن هذه أول مسرحية إبداعية في العالم، وهي موجودة في ألف ليلة وليلة قبل ٣٠٠ سنة من ظهور بيتر سليد..

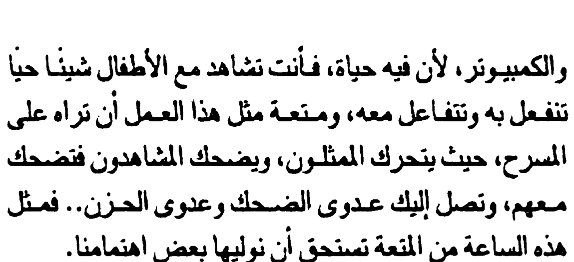
فعندما يلوي أحدهم لسانه وهو يتحدث عن مسرح الطفل، ويقول: بيتر سليد.. أقول له قدرة الزيتون.

ـ كنتم من دعاة مسرح الطفل.. هل لا تزال الدعوة قائمة في ظل تقدم تقنيات الاتصال ووسائله؟

∘ نعم.. الدعوة لاتزال قائمة، لأنه لا مثيل لمسرح الطفل، وليس هناك تقنية أفضل منه.

قال لي وكيل وزارة الثقافة في مصر:

نصيب الطفل العربي من مجلات الأطفال كلمة أو رسمة، بينما يصل نصيب الطفل الأمريكي إلى ١٢ مجلة أسبوعيًا



عبدالتواب يوسف في سطور

- ولد في مصر عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م.
- تخرج في كلية التجارة بجامعة القاهرة عام ١٩٤٩م.
- له عدة أعمال إدارية كان آخرها رئاسته لشعبة الثقافة في إدارة العلاقات العامة حتى عام ١٩٧٥م، وتفرغ بعدها للكتابة.
- قدم أول عمل إذاعي للأطفال من خلال برنامج بابا شارو، ومنذ ذلك الحين قدم آلاف البرامج الإذاعية والتلفزيونية للأطفال على مستوى الوطن العربي، وتوالى صدور كتبه منذ أواخر الستينيات.
- أنشأ جمعية ثقافة الأطفال، وأصبح عضواً في لجنة ثقافة الطفل بالمجلس الأعلى للثقافة منذ إنشائه، وانتخب عضواً لمجلس إدارة اتحاد كتاب مصر على مدى ثماني سنوات.
- صاحب فكرة إصدار أول مجلة إسلامية للأطفال: الفردوس التي تصدر شهرياً منذ عام ١٩٦٨م.
- أقام أول مؤتمر لثقافة الطفل في مصر في مارس عام ١٩٧٠م، وكان مقرراً له. وحضر عدداً كبيراً من المؤتمرات والندوات وحلقات البحث حول ثقافة الأطفال وأدب الطفل في مختلف دول العالم.
- سافر إلى عدة بلدان عربية وأجنبية، محاضراً ومتعاوناً مع مراكزها وهيئاتها العلمية، وتقديراً لمكانته في ميدان إنتاجه منح جوائز كثيرة من أهمها: جائزة الدولة التشجيعية في أدب الأطفال عام ١٩٧٥م، مع وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، وجائزة الدولة التشجيعية في ثقافة الأطفال عام ١٩٨١م مع وسام الجمهورية من الطبقة الثانية، وجائزة اليونسكو العالمية في محو الأمية عام ١٩٧٥م، والميدالية الذهبية من اتحاد الإذاعات العربية عام ١٩٧٩م، وحصل على جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي في عام ١٤١١هـ/١٩٩١م، ونال في هذا العام جائزة معرض بولونيا الدولي عن كتابه «حياة محمد».

نصرف أربعين ألف جنيه لنقول للأطفال في المسرحية «لا تكذبوا» قلت له: اصرف الأربعين ألف جنيه، ولن تجد في المسرحية كلمة «لا تكذبوا» لأنني لا أعظ، ولا أنصح.

نحن نقدم نصاً أدبياً.. فهناك نص شعري في الأغاني، وموسيقي في الألحان والموسيقى التصويرية، ونقدم الملابس والديكور والماكياج والإضاءة والتمثيل والإخراج.. كل هذه الفنون تقدم في ساعة متضافرة مع بعضها، وبعد ذلك تضن عليّ بأربعين ألف جنيه.

فوضع الرجل يده على رأسه وقال: أنا أعتذر.. لأنه لا أحد فهمني ما تقول.. فأنا رجل همي الأول الخزنة.. وأذكر أن هناك شاباً اهتم بمسرح الأطفال عندي، وأعدّ كتاباً، وبعد أن نال الدكتوراه في لندن بعد خمس سنوات، عاد إلى القاهرة، وأعاد صياغة الكتاب، وطبعه، ومُنح على التأليف ٣٠٠ جنيه. وعنوانه «عبدالتواب يوسف: مسرح الطفل العربي»، وقد نال المؤلف عنه في هذا العام جائزة الدولة التشجيعية في ثقافة الطفل، وقيمتها المادية عشرة آلاف جنيه.. فأن ينال كتاب كهذا جائزة الدولة التشجيعية يعني أن الدعوة لاتزال قائمة.

نحن نكافح من أجل مسرح الطفل لأنه أحسن من الإنترنت والكمبيوتر، لأن فيه حياة، فأنت تشاهد مع الأطفال شيئاً حياً تنفعل به وتتفاعل معه، ومتعة مثل هذا العمل أن تراه على المسرح، حيث يتحرك الممثلون، ويضحك المشاهدون فتضحك معهم، وتصل إليك عدوى الضحك وعدوى الحزن.. فمثل هذه الساعة من المتعة تستحق أن نوليها بعض اهتمامنا.

. ما دور مؤسسات الثقافة في تنمية مسرح الطفل؟

ه يقول (بسخرية): دورها كان عرقلة جهودي في أماكن كثيرة!!

ماذا تنتظر منها إذا كان وكيل وزارة الثقافة لا علاقة له بالثقافة، ولكنه يفكر في الفلوس.

كان عندي الطابع مثقفاً، وكان يكتب أي خطاب بوضوح، بل كان يصحح لنا إذا كان هناك خطأ إملائي أو نحوي.. الإشكال في أن تضع مسؤولين في مؤسسات الثقافة ممن لا علاقة لهم بالثقافة.!!

. ماذا عن وزارات الثقافة العربية وميثاق حقوق الطفل العربي؟

ه يعود إلى سخريته فيقول: ربنا يعطيها الصحة.. اجتمع وزراء الثقافة العرب في القاهرة في عام ١٩٩٠م، وكانت

القرارات الخاصة بالطفل العربي رائعة جداً، ولم ينفذ منها شيء؛ لأن منظمة الثقافة العربية في واد والطفل العربي في واد آخر، كل ما فعلته هذه المنظمة أنها أعطتني جائزتها في عام ١٩٩٢م، ولم تفعل شيئاً منذ ذلك التاريخ.. ووجهت لي الدعوة مرتين أو ثلاث، وقالوا: إنك تنتقدنا وقد أعطيناك جائزة، وذهبت إلى فرنسا وتونس.

يقول بانفعال: لا.. القضية ليست في أن أكتب لها ورقة، وإنما لا بد لها أن تكون بها فلسفة خاصة بالأطفال.. وأنا لم أطلب غير إعداد قائمة بكتب الأطفال المترجمة، حتى لا تترجم مرة أخرى.. هناك قصة اسمها «الأمير الصغير» لإكسبوري لها سبع ترجمات عربية.. لماذا؟ أليس هناك كتب أخرى تستحق الترجمة؟

- أليس هناك ضبط ببليوجرافي للأعمال العربية؟

٥ لا يوجد ولكن من واجبها أن تعد مثل هذه الببليوجرافيا.

- ماذا عن قضية الإعاقة، بوصفك تناولت من قبل قضايا الإعاقة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية؟

٥ في ظني أن الطفل الفقير معاق، فهو لم ير كتاباً ولا حتى مجلة.. ولدينا أطفال في الريف المصري لم يروا صوراً غير تلك التي على علب العلبات، فهم لم يروا مجلة من قبل.. ومثل هؤلاء الأطفال موجود في كل أقطارنا العربية، فالطفل الموجود في البادية أليس معاقاً؟

دعني أسأل ما مدى الخسارة التي كانت ستمنى بها الإنسانية إذا لم يستطع رجل مثل طه حسين تجاوز اعاقته، حتى أصبح أديباً عملاقاً، ووزيراً عظيماً، ورئيس جامعة وأستاذ جامعة كبيراً.

نحن مهتمون بهذه القضية، ولكنها قضية طويلة.. وقد أعددت كتابين هذا العام للمعوقين: أحدهما اسمه «الكرسي المتحرك»، وهو يضم أربع قصص عن المعوقين تزرع فيهم الأمل، وتناولت فيه الجهود المبذولة في مصر للحد من الإعاقة، وذلك في شكل أدبي، وهو نوع من أنواع التحقيق الصحفي الأدبي حول هذه الجهود، وما ينبغي عمله.. والعالم من حولنا مهتم بقضية الإعاقة، ونحن بدأنا نعطيهم حقهم، وليس القصد العطف عليهم، وإنما نريد أن ندفعهم لتقديم شيء، وأن نجعلهم يثقون بقدرتهم على ذلك.

- ما تقديركم لبعض الجهود التي قامت بها بعض المؤسسات التجارية كالمكتبة الخضراء وسلسلة الشريط الحريري التي قامت بها دار العلم للملايين؟

٥ من دون قائد للأوركسترا الخاصة بالأطفال في الوطن العربي نحن نفقد كثيراً، لأن الأعمال تزدوج، وتزور، فالمكتبة الخضراء قد زورت، ودار المعارف تعاني من هذا أيضاً، وهذه الجهود موضع احترامنا وتقديرنا وهي تحصل على جوائز.. ولكن هل هذا يتيح لها أن تكون في المكتبات التجارية والعامة.. فعلى سبيل المثال، عندما ينال كتاب «حياة محمد» جائزة عالمية من معرض الكتاب الدولي في بولونيا، هل يقدره الوطن العربي ويضعه في المكتبات، أم أنه سيبدو غالياً لأن ثمنه خمسون جنيها.. ماذا ستفعل في مثل هذا الواقع؟

نحن - بصدق - في حاجة إلى مؤتمر قمة عربي للطفولة على غرار مؤتمر القمة العالمي للطفولة الذي شهده أكثر من ستين رئيس دولة في عام ١٩٩٠م. وهذا المؤتمر عليه أن يقرر، وعلى الدول العربية أن تلتزم قراراته لأن الحادث الآن أنه لا خطة لنا بالنسبة إلى الأطفال لا في الصحة ولا في التعليم، ولا في أي مجال آخر، وليست هناك جهة تقوم بالتنسيق مما يجعلنا مهددين بأن نكون أمة بلا مستقبل، لأن زمام هؤلاء الأطفال اليوم في أيدينا، بينما سيكون زمامنا مستقبلاً بأيديهم، فإذا أحسنا فسوف يحسنون.

نكافح من أجل مسرح الطفل، ولكن ماذا نفعل إذا كان وكيل وزارة الثقافة لا علاقة له بالثقافة، وهمه «الخزنة»؟!!

- ما تقدير المجتمع لكاتب الأطفال؟

٥ هذا السؤال وجه إليّ في الهند، وقلت إن كاتب الأطفال مكانته متدنية في كل العالم، ولاسيما في الدول النامية، وينظرون إليه على أنه حكاء «حواديت» للأطفال، ولكن أستطيع أن أزعم أن هناك تحولاً في الفترة الأخيرة.

ولكنني أضيف أن هذا الرأي لا يعني أنني أهملت، فقد أعطتني بلادي تفرغاً مدة عشر سنوات، ومنحتني جائزة الدولة مرتين، وكرمتني أمتي بمنحي جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي، وكرمني العالم بمنحي جائزة بولونيا وجائزة المجلس الأعلى لكتب الأطفال، ولكن يظل هذا محصوراً في نطاق ضيق جداً.

شاعر وأديب من نيجيريا
عبدالله بن فودي

عبدالله عبدالرازق إبراهيم
القاهرة - مصر

على الرغم من أن الدين الإسلامي قد انتشر في نيجيريا منذ القرن الخامس عشر الميلادي، وعلى الرغم من اعتناق عدد كبير من السكان في ممالك الهوسا لهذا الدين الحنيف، ومع قيام ممالك إسلامية في نيجيريا الشمالية وغيرها من مناطق السودان الغربي، على الرغم من كل هذا لم تصبح الشريعة الإسلامية ثابتة الأركان في هذا الجزء من العالم إلا في مطلع القرن التاسع عشر الذي يطلق عليه عصر الجهاد والدعوة الإسلامية في غرب إفريقية(١).



لقد شهد مطلع القرن التاسع عشر حركات الجهاد الإسلامي التي استهلها الشيخ عثمان بن فودي في إمارات الهوسا، وتحدى الحكام الوثنيين، ودخل في صراع معهم ابتداء من عام ١٨٠٤م حتى عام ١٨٠٨م، ونجح في دخول عاصمة إمارة جوبير، وقتل حاكمها يونفا، وأعلن قيام إمبراطورية إسلامية حملت اسم امبراطورية الفولاني، التي اتخذت مدينة سوكوتو عاصمة لها، وطبق الشيخ عثمان الشريعة الإسلامية، وأحيا الخلافة الإسلامية في هذا الجزء من القارة الإفريقية، وحمل أعوانه أعلامًا لإعلاء شأن الإسلام في مختلف الأماكن من بلاد شمال نيجيريا، وصارت الشريعة الإسلامية دستور الحياة، ودخل الناس أفواجًا في الدين الإسلامي، وبالطبع واكب هذا الجهاد الإسلامي انتشار اللغة العربية وثقافتها.

أم الحركات

وصارت معاهد الشيخ عثمان القرآنية نماذج للفكر الإسلامي والعربي الرفيع، وأصبحت خلافة سوكوتو التي أقامها المجاهد عثمان ابن فودي باكورة حركات الإصلاح، وأم حركات الجهاد التي امتدت شرقًا وغربًا في طول السودان الغربي وعرضه، تنشر رايات التوحيد، وتعلن الجهاد ضد الوثنيين، وتتحدى القوى الأجنبية التي جاءت تحمل أفكارًا غربية على مجتمعات غرب القارة، وصار الجهاد حقيقة واقعة خاصة بعد أن تعرضت القارة الإفريقية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر لأكبر موجة تكالبية

خلافة سوكوتو التي أقامها المجاهد عثمان بن فودي كانت باكورة حركات الإصلاح، وأم حركات الجهاد التي امتدت شرقًا وغربًا في طول السودان الغربي وعرضه، تنشر رايات التوحيد، وتعلن الجهاد ضد الوثنيين

على القارة، وجاء الأوربيون لاحتلالها وتطبيق مبادئ مؤتمر برلين عام ١٨٨٤/٨٥(٢)، كان على حركات الجهاد الإسلامي أن تواجه هذه الموجة العاتية، وفعلاً حدث الصدام، ووقف الإسلام سداً منيعاً أمام هذه الموجة الغازية، وكان التحدي واضحاً، والصمود ضرورياً للحفاظ على تراث الإسلام وحضارته، فقد غدا جزءاً أساسياً من الفكر العربي الإسلامي في هذه الأجزاء. ونجح المسلمون في الحفاظ على تراثهم، وأجبروا الأجانب على احترام الشريعة الإسلامية التي صارت منهاجاً للحياة، ودستوراً لمعظم شعوب هذه المناطق، وما زال المسلمون بعد انحسار الموجة الاستعمارية ينعمون بفضائل الإسلام، ويمارسون تطبيق الشريعة الإسلامية.

ومازالت اللغة العربية لغة الثقافة والفكر من بعد أن حاول المستعمر أن يفرض ثقافته الغربية.

وليس غريباً أن يبرز من أبناء هذه البلاد شعراء وعلماء وفقهاء لهم باع طويل في الدراسات العربية والشعر العربي في هذا الجزء البعيد عن قلب العالم الإسلامي(٣).

لقد ساعدت حركة الشيخ عثمان ابن فودي على إحياء الثقافة العربية؛ لأنه ألّف أكثر من خمسين كتاباً باللغة العربية التي صارت وعاءً للفكر، وينبوعاً للثقافة، ولا غرو أن تجد هذه اللغة رجالاً يحافظون عليها ويؤلفون بها، وينشرون أفكارها في غرب القارة، فقد دعت هذه المؤلفات السكان إلى التحلّي بالقيم والأخلاق الفاضلة، ولم تقتصر المواعظ والتعاليم على الرجال فقط، بل اتجهت إلى تكريم المرأة، وعدم اللجوء إلى القسوة في معاملتها. وكانت هذه الأفكار الإسلامية استجابة للبيئة التي نشأت فيها حركة الجهاد الإسلامي، كما كانت تعبيراً عن كل الحقائق التي يتطلبها المجتمع حسبما يستجد من أحداث وتغيرات، وكانت بحق تصحيحاً لمفاهيم الدين الحنيف في تلك المناطق من القارة.

عربي السودان

لقد برز من علماء غرب إفريقية الذين ساهموا في نشر الدين الإسلامي العالم والشاعر والفقيه عبدالله بن فودى الأخ الأصغر للشيخ عثمان والذي لازمه في كل أطوار حياته، وصار ساعده الأيمن في كل معاركه وجهاده، وحمل لقب «عربي السودان» لما أسداه من خدمة للغة العربية، وعندما نتحدث عن هذا المجاهد والعالم والشاعر، فإننا نقصد تسليط الأضواء على رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، جاهدوا باللسان، وجاهدوا بالقلم، وكتبوا، وألّفوا باللغة العربية التي صارت ينبوعاً للفكر والثقافة(٤).

مولده وحياته

ولد الشيخ عبدالله بن فودي في إمارة جوبير إحدى إمارات بلاد الهوسا، وفي قرية طفل مثل أخيه الشيخ عثمان بن فودي، وذلك في عام ١٧٦٧م وتوفي في عام ١٨٣٠م، وصاحب عبدالله أخاه عثمان المجاهد الإسلامي في كل مراحل تعليمه، وحفظ القرآن الكريم عن والده محمد بن فودي، كما درس المبادئ الأساسية للعلوم الإسلامية، وتتلمذ لأخيه عثمان في بعض الأمور المتعلقة باللغة العربية وآدابها وشعرائها(٥).

درس الشيخ علوم عصره مثل مبادئ الفقه، والتصوف، وعلم الحديث، وعلم الحساب، وشارك أخاه في كل رحلاته طلباً للعلم، وخادماً للدعوة الإسلامية. رافقه داعياً ومجاهداً وأميناً على أموال الجماعة، ولم يثنه هذا عن مواصلة رحلات العلم إلى شيوخ العصر، حيث درس اللغة العربية على أيدي عمه عبدالله بن محمد بن الحاج، وعلى أيدي ابن خالته محمد بن محمد الذي علّمه مقامات الحريري وغيرها، ودرس البلاغة على أيدي أحمد أبي بكر ابن غار، ودرس مع أخيه عثمان على أيدي العالم الجليل الشيخ المجاهد جبريل ابن عمر(٦).

ولم يتوقف الشيخ عبدالله بن فودي على هذه الرحلات العلمية، بل كان يكتب إلى الشيوخ والعلماء في بلاد السودان الغربي يطلب منهم مؤلفاتهم، وكتبهم المفضلة، وكان دؤوبًا على طلب العلم وتحصيله، كما حفظ القرآن الكريم وهو في سنّ الصِّبا، ونظم مواده في كتابه «الحصن الرصين في النحو» والذي ضمّ أكثر من ألف بيت، وهذا إن دل على شيء فإنّما يدل على سعة الاطلاع، وعلى العلم الغزير، وعلى القدرة على نظم الشعر بلغة عربية سليمة. ومن هذه المنظومة نقتبس بيتين لنوضح هذا التمكن اللغوي، يقول:

وبعد فالعلم له رياض
وبينها الحياض والغياض
وحولها خمائل شعاب
وفوقها شواهق هضاب

ولم يكن غريبًا أن يكون هذا الشيخ حجة في الفقه، والنحو، والصرف، والعروض، والأدب، والتفسير، وما كتابه «تزيين الورقات» إلا نموذج يضم عددًا من القصائد التي واكبت جهاد أخيه الشيخ عثمان بن فودي في الربع الأول من القرن التاسع عشر.

ويعدّ الشيخ عبدالله بن فودي من الرجال الأقلاء الذين تفخر بهم نيجيريا في وقتنا الحاضر لا لكثرة الكتب التي ألّفها أو لقيمتها العلمية فحسب، بل لشمول هذه المؤلفات وتنوعها، وتناولها مختلف فروع العلم، وقد كان لتنوع هذه المؤلفات وشمولها الكثير من فروع المعرفة أن استحق هذا الرجل أن يلقبه الناس بعربي السودان، لما بذله من جهد كبير في نشر الثقافة العربية من خلال أشعاره ومقالات- وكتبه الدينية والدنيوية. وإذا استعرضنا مؤلفات هذا الرجل نجد أنها تدور حول الشئون الدينية والاجتماعية والسياسية، وأصول اللغة العربية. وسوف نحاول الإلمام بهذه المؤلفات بسرعة حتى نتلمس آثاره في اللغة والثقافة، وحتى نقدم الدليل على سعة باعه في التأليف، وخصوبة أفكاره في الإنتاج، وسلامة العبارة، والقدرة على تطويع اللغة العربية لخدمة أغراضه عندما يكتب نظمًا أو نثرًا.

المؤلفات الدينية

ترك الشيخ عبدالله بن فودي بعد وفاته تراثًا إسلاميًا ضخمًا مازال سكان نيجيريا يحتفظون به في مكتبات كانو وسوكوتو، ومازالت هذه المؤلفات تمثل ركيزة أساسية من فكر علماء القرن التاسع عشر، ولعل من أبرز هذه المؤلفات على سبيل المثال لا الحصر كتابه «مفتاح التفسير» وهو منظوم لكتابي العالم جلال الدين السيوطي «النقاية والإتقان»، ويزيد هذا المؤلف على ألف بيت من الشعر عالج فيه شتى الموضوعات مثل الهبات، والسور المكية والمدنية، والقراءات السبع، والمد، والقصر، والإدغام، وإعجاز القرآن وعلومه(٧).

وتظهر قدرات الشيخ عبدالله ومواهبه الشعرية في هذا المجلد الضخم الذي استهله بهذه الأبيات:

الحمدلله الذي قد أنزلا
على محمدٍ كتابًا شملا
كلّ الفنون من علوم الدين
مبينًا أدلة اليقين
صلى عليه الله مع صحابته
وتابعيهمْ على محبّته(٨)

استخدام الأسلوب الشعري في الكتابات التاريخية يعدّ نموذجًا فريدًا؛ لأن المؤرخ حينما يستخدم لغة الشعر في كتاباته التاريخية يكون قد جمع بين التاريخ وقرض الشعر

كما ألّف الشيخ كتاب «الفرائد الجليلة في علوم القرآن وبعض آدابه»، ويقع هذا الكتاب في نحو خمسمئة بيت قسمها الشيخ إلى سبعة فصول عالجت ترتيب سور القرآن والقراءات، وآداب حمله وبيان فضله(٩).

وفي كتاب آخر عالج بعض المعاملات الإسلامية بالنثر فنجده في كتاب «ضياء الأمة في أدلة الأئمة» يعالج الكثير من فروع الفقه الإسلامي بشكل سلس، وأسلوب أدبي رائع لا يرقى إليه إلا من تمكن من اللغة العربية، واستطاع أن يطوّعها لخدمة أغراض التعبير.

ويسجل الشيخ عبدالله بن فودي قدراته في التعبير بلغة الشعر حول الموضوعات الدينية في كتاب آخر

حمل عنوان «اللؤلؤ المصون»، وهو منظوم زاد على ألف بيت يستهلها بهذه الأبيات:

قواعدُ الدين على التعميم
صلاتُهُ عليه بالتسليم
لم يغتنمها غالب الطلاب
في قطرنا لفقد فتح الباب
إذا لم نجد نظماً بها مهذباً
يفتح إلا المنهج المنتخبا(١٠)

ويواصل الشيخ عبدالله بن فودي دراساته في الموضوعات الدينية، وفي كتابه «الترغيب والترهيب» يناقش قضايا العبادات، وترغيب الناس في طاعة الله، وفي الوقت نفسه يحثهم على عدم ترك الصلاة، ويرهبهم من الغفلة عن العبادات مستدلاً في كلامه بكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن مؤلفاته أيضاً في المسائل الدينية كتاب «ضياء الأنام في الحلال والحرام»، وكتاب «ضوء المصلّى»، وكتاب «ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو من فروع الدين من المسائل»، وأخيراً كتاب «ضياء الحكّام فيما لهم وما عليهم من الأحكام»(١١).

هذه النماذج من مؤلفات الشيخ عبدالله بن فودي في المجال الديني والفقهي، إن دلت على شيء، فإنّما تدل على أننا أمام عالم وفقيه درس علوم الدين على أصولها، وصارت مؤلفاته بها حججاً أساسية في بلاد لا تعرف عن الإسلام إلا الظاهر، ولهذا نستطيع القول: إن مؤلفات الشيخ عبدالله بن فودي أصبحت ركائز للدعوة الإسلامية في غرب القارة، وصارت مرجعاً أساسياً لرجال الدين في هذه الأصقاع.

مؤلفات الشيخ في اللغة العربية وقواعدها

على الرغم من أنّ اللغة العربية لم تكن اللغة الأم للشيخ عبدالله بن فودي أو غيره من سكان غرب إفريقية، وأن البيئة التي نشأ فيها بعيداً عن مركز الحضارة الإسلامية في قلب الجزيرة العربية، وأن وجود لغات متعددة في المنطقة، وعلى الرغم من بدايات التدخل الأوربي والثقافة الغربية، فإن الشيخ عبدالله ابن فودي نجح من خلال دراساته، ومن خلال المعاهد العلمية والمدارس القرآنية

حمل عبدالله بن فودي لقب «عربي السودان» لمَا أسداه من خدمة للغة العربية

التي شارك في تأسيسها مع أخيه الشيخ عثمان في جعل اللغة العربية تحتل مكانة كبرى بين اللغات وعند كبار النحاة ورجال اللغة، وكان إتقانه لها وقدرته على تطويعها نثراً ونظماً، والكتابة بها في كل مناسبة، وانتشار مؤلفاته المتعددة بها له أثره في نشر هذه اللغة التي لم تعد مجرد لغة الصلاة والعبادات، بل صارت لغة الحديث والتفاهم، وعقدت جلسات العلم بين رجال الدين الذين ناقشوا وجادلوا بهذه اللغة، وكانت مؤلفات الشيخ مع أخيه عثمان عاملاً قوياً في إحداث نقلة فكرية جعلت الناس يتذوقون هذا الأدب الراقي وتلك الصور البلاغية بلغة عربية سلسة، وعبارات مبسطة، وكان لابد من تأليف بعض الكتب في أصول اللغة العربية، وفي قواعدها الأساسية حتى يتمكن الناس من الكتابة بها، والتخاطب من خلالها، وكان للشيخ عبدالله مساهمات كبيرة في هذا المجال، وصارت مؤلفاته في فقه اللغة ركائز أساسية لتدريس اللغة العربية في معاهد نيجيريا، ودول غرل إفريقية، وهذه مساهمة غير مباشرة أسداها هذا العالم اللغوي إلى حضارة الإسلام والمسلمين.

وفي كتاب «الحصن الحصين» يعالج الشيخ أصول اللغة العربية وأسرارها، ثم يواصل الحديث عن هذه اللغة وأسسها في مؤلفه الضخم: «البحر المحيط» الذي ضم بين جوانبه أكثر من أربعمئة وأربعة آلاف بيت من الشعر موزعة بين المقدمة وسبعة كتب وخاتمة، عالج الشيخ عبدالله من خلالها كل ما يتعلق باللغة وأصولها، وكان يستند في ذلك على أمهات الكتب التي سبق تأليفها في اللغة العربية، واعتمد أيضاً على كتابات العالم والفقيه الإسلامي جلال الدين السيوطي.

ولم يتوقف الشيخ عند هذا السفر الضخم، بل كان ينتهز أية فرصة للتعريف بقواعد هذه اللغة، فنجده يواصل الدراسة في كتاب «لمع البرق في الإعراب»، وكتاب «فتح اللطيف الوافي لعلم العروض والقوافي»، وهو أيضاً من الكتب المنظومة التي احتوت على ثلاثين ومئتين من الأبيات(١٢).

مؤلفاته في التاريخ والسير

إذا كان الشيخ بن فودي قد ألقى بثقله العلمي واللغوي في مجال الشعر والأدب، فإنه لم ينس كتابة التاريخ والسير، فقد رافق المجاهد الكبير الشيخ عثمان، وكان كاتم أسراره، وأحد قواد جهاده، بل شارك في كل المعارك التي خاضها الشيخ عثمان لإحياء السنّة، وإخماد البدعة، ورفع رايات التوحيد في هذه الأجزاء من بلاد الهوسا، فلا غرو أن تكون السير وكتابة التاريخ قد نالت حظها من مؤلفات الشيخ عبدالله، والغريب أن كتاباته في السير والتاريخ كانت بالشعر والنثر، واستخدام الأسلوب الشعري في الكتابات التاريخية يعدّ نموذجًا فريدًا، لأن المؤرخ حينما يستخدم لغة الشعر في كتاباته التاريخية يكون قد جمع بين التاريخ وقرض الشعر، وهما ميزتان قلّما جمعهما مؤرخ في آن واحد، لكن الشيخ عبدالله أجاد هذا النوع من الكتابة لتمكنه من اللغة العربية وآدابها.

ومن مؤلفاته في هذا الميدان كتاب «موصوفة السودان»، وهو كتاب نظمه عن حياة أخيه الشيخ عثمان، تناول فيه الحديث عن مناقبه، ومراحل جهاده، وأهم الأحداث التي مرت به في حياته؛ وهو عندما يكتب عن أخيه فإنه يكون شاهد عيان، وشريك الشيخ في الجهاد، فتكون كتاباته وثائق حية لحياة المجاهد الكبير، ويقول في مطلع هذا الكتاب:

نور الزمان شرف الإسلام
مجدّد الدين أبو الكرام
شيخ الشيوخ سيد السادات
محيي الهدى وصاحب الرايات

وفي كتاب «تزيين الورقات بجمع مالي من الأبيات»، جمع الشيخ عبدالله تسع عشرة قصيدة نظمها في شتى المناسبات التي سجلت المعارك الحربية والنصر، أو الهزيمة، وأحداث هجرة الشيخ عثمان ورفاقه؛ وفي مقدمة هذا المخطوط يقول عبدالله: تزيين الورقات في جمع بعض الأبيات التي نظمتها في مدح الشيوخ ومرثيتهم، وشكر النعم التي أنعم الله علينا بها قبل هجرتنا، وفي وقائع لنا في الجهاد بعد الهجرة. وفي ذلك بيان أكثر أحوالنا من ابتداء الأمر إلى انتهائه. وقد قام الشيخ عبدالله بجمع هذه القصائد وهو يعتزل الحياة السياسية في عام ١٨١٣م وسماها «تزيين الورقات» والتي تعد تسجيلاً للدور الذي أدّاه في الجهاد، حيث عبّر عن مشاعره وأحاسيسه طوال تلك الفترة الطويلة، ولأهمية هذا الكتاب من الناحية التاريخية واللغوية فقد انكب عليه عدد من المؤرخين والدارسين لشرح أهميته وتوضيحها، وكيفية الاستفادة منه في تاريخ الجهاد الإسلامي(١٣).

وحول هذا الكتاب يقول هيسكت: إنه نموذج من الشعر العربي الممتاز، بل إنه كتاب حشد عددًا كبيرًا من المفردات اللغوية التي تغني ذخيرة الطلاب لدرجة أنه صار يدرس ضمن مقررات المركز الإسلامي بجامعة سوكوتو(١٤).

ولا يمكن الاعتماد على هذا الكتاب في النواحي التاريخية الموضوعية؛ لأن الشيخ عبدالله لم يسجل كل المعارك، ولم يسرد كل التفاصيل، بل كان يركّز في المعارك التي خاضها عبدالله وأحاسيسه نحوها.

ولكن يظل هذا الكتاب نموذجًا لشعر عربي نظمه رجل تمكن من التعبير بلغة سلسة لم تكن لغته القومية، ومن هنا تكمن عظمة هذا الكتاب الشامل لأحاسيس الشيخ عبدالله وجهاده، ونقتبس فقط بعض أبيات من قصائد هذا الكتاب لنظهر مواهب الشاعر وأحاسيسه، وصدق تجربته وطغيان وجدانه على الأحداث:

أحادي المطايا حثّها للمشارق
ولا تلتفت في سيرنا للمغارب
فإن حظيت بالوصل فالله واهب
وإن أخفقت فالذنب فيه لذاهب
فما خاب مَنْ أمّ الكريم لحاجة
وإن كان بطّالا خبيث المكاسب
فيا خير مَنْ خفّ العُفاة ببابه
يصبّ عليهم منه عشر سحائب

> يعدّ الشيخ عبدالله بن فودي من الرجال الأقلاء الذين تفخر بهم نيجيريا في وقتنا الحاضر، لا لكثرة الكتب التي ألفها أو لقيمتها العلمية فحسب، بل لشمول هذه المؤلفات وتنوعها

موهبة الشيخ عبدالله الشعرية

إذا كان الشيخ عبدالله قد أجاد فن قرض الشعر في المواقف التاريخية، وفي كتابه «قواعد اللغة العربية» فلا غرو أن يكون قد أفرد للشعر حيزاً كبيراً من مؤلفاته، ويعد الشيخ عبدالله بن فودي فارس شعر المديح في القرن التاسع عشر، فقد كان يتخير الألفاظ، وينتقي الكلمات الطبيعية أحياناً، وتأثر بشعراء الجاهلية عند افتتاح قصائده بالبكاء على الأطلال، ففي قصيدته التي يمتدح فيها شيخه جبريل بن عمر وأخاه الشيخ عثمان يقول ضمن أبيات المديح:

شيخ الشيوخ فريد دهرٍ ظاهر
فوق المبارز بالعلوم مُتوّج
جبريلُ منْ جبرِ الإلهِ لنَا بهِ
دينًا حنيفًا مستقيم المنهج(١٥)

وقد أجاد الشيخ عبدالله بن فودي في شعر الرثاء، فنراه شخصاً يختلف عن شعره في المديح؛ لأنه يستخدم الألفاظ السهلة الرقيقة ليصور بها مدى حزنه تصويراً مثيراً يجعل الإنسان عندما يقرأ ما كتبه يشاركه الأحزان، ويتعاطف معه. وفي إحدى قصائده التي يرثي فيها صديقه مقيطفى بن الحاج عثمان نجد صدق العاطفة في هذه المرثية التي نورد بعض أبياتها، إذ يقول:

إن ادعــــاءك إذ أرتك الدار
بفــعــالهــا من أنهــا غــدار
دار يموت بها حبيبك لا ترُمْ
فـرحًا بدار صفـوُها أكدارُ
لكنّ هذا لم يكن بِدْعًا بهـا
قد مات فيها قبلهُ الأخيار
فالمصطفى من بيننا هو كاسمه
مـرضيًا وأميننا المختــار

بعد هذا العرض لشاعر وأديب مجاهد من غرب إفريقية نجد أننا أمام شخصية متعددة المواهب، واسعة الاطلاع، قادرة على تطويع اللغة العربية في تعبيرها، شمولية في أفكارها، أمسكت القلم فأحسنت الكتابة به، بلغة سهلة، وعبارة سلسة شائقة، وأمسكت السيف فكانت نعم المحارب الذي أعلى راية الإسلام وأخمد البدعة بين جموع الوثنيين في شمال نيجيريا. إنه المجاهد الذي لازم أخاه، وسجل تاريخه، وكشف عن مناقبه، وترك لنا تراثًا عربيًا إسلاميًا تزخر به مكتبات نيجيريا بلغة عربية داخل أرض إفريقية بعيدة عن مراكز الإشعاع الإسلامي، وكأنه، بهذا العمل المتواصل أراد أن يؤكد زعامة هذه اللغة في القارة الإفريقية، ووقوفها سداً منيعاً أمام موجات الحضارة الغربية التي هاجرت حاملة شعار تمدين إفريقية وإدخال الحضارة فيها، وهي تجهل أن إفريقية قارة لها حضارتها الإسلامية، ولها رجالها أمثال عبدالله بن فودي الذين كتبوا وألّفوا وأغنوا المكتبة بهذه الذخائر النفيسة التي تحتاج إلى دراسات وملفّات لمناقشة تستجلي الحقائق. وتحلل هذه المادة العلمية، وتقوم هذا التراث العلمي البارز.

إن إفريقية غنية بحضارتها الإسلامية، وعندما نسلط الأضواء على مثل هذه الشخصيات فإنما نفتح الباب للمزيد من الدراسات حول رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وأدوا الأمانة وراقبوا الله في أعمالهم، وتركوا حضارة إسلامية زاخرة، وجعلوا من لغة القرآن ينبوعًا للفكر والثقافة في غرب إفريقية.

المراجع والهوامش

١ـ حسن أحمد محمد: الإسلام والحضارة العربية في أفريقيا القاهرة ١٩٦٢م، ص ٢٤٧ـ٢٦٥.
٢ـ شوقي الجمل وعبدالله عبدالرازق إبراهيم: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، الدوحة ١٩٨٦م ص ١٠٨ـ١٢٧.
٣ـ عبدالله عبدالرازق إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوربي لأفريقيا، عالم المعرفة، العدد ١٣٩ لعام ١٩٨٩م ص ٥٧.
٤ـ شوقي الجمل: الحضارة الإسلامية العربية في غرب أفريقيا ودور المغرب فيه، مجلة المناهل، العدد السابع، الرباط، يونيو ١٩٧٦م، ص ١٣٧ وما بعدها.
٥ـ عبدالله بن فودي: ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو من فروع الدين من المسائل، تحقيق وتقديم د. أحمد محمد كاني، القاهرة ١٩٨٨م، ص ٤٥.
٦ـ عبدالله عبدالرازق إبراهيم، التراث الحضاري لزعماء نيجيريا في القرن التاسع عشر، مجلة عالم الفكر، المجلد الحادي والعشرون، العدد الرابع، ابريل، مايو، يونيو ١٩٩٣م، ص ٢٥٧.
٧ـ حسين عيسى عبدالظاهر، الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفولاني، الرياض ١٩٨١، ص ٢٩٤.
٨ـ انظر الكتاب المخطوط الذي توجد منه نسخة في مكتبة الحاج إبراهيم بمدينة غوند شمالي نيجيريا.
٩ـ انظر هذا المخطوط في مكتبة متحف جس سجل (٦) مظروف ٥٧، ص ١٤٠٩ـ١٤٤٨.
١٠ـ انظر المخطوط في مجموعة كتسدل سجل ٧ مظروف ٣٢، ص ص ٧ـ٥٠.
١١ـ بسبب أهمية كتاب «ضياء الحكام» قامت مطبعة الزاوية التيجانية بالقاهرة بطبعه، كما قامت مؤسسة الزهراء بطباعة كتاب «ضياء السياسات».
١٢ـ المخطوط من ثماني صفحات ضمن سجل (٢٥) مظروف (٨) في مجموعة متحف جس بشمال نيجيريا.
١٣ـ في منتصف عام ١٩٧٤م انعقد مؤتمر علمي بجامعة سوكوتو بنيجيريا، ودارت عدة دراسات ومناقشات حول كتاب «تزيين الورقات» نشرت أجزاء منها في مجلة المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم، العدد الأول أبريل ١٩٨٥م.
١٤ـ عمر أحمد سعيد: أضواء على «تزيين الورقات» بحث نشر في مجلة المركز الإسلامي، العدد الأول أبريل ١٩٨٥م، ص ص ١٥٣ـ ١٦٩.
١٥ـ علي أبوبكر: الثقافة العربية في نيجيريا، رسالة دكتوراه غير منشورة بجامعة القاهرة ١٩٧٦م، ص ٣٣١.

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٢٨٩)

رجب١٤٢١هـ - سبتمبر / أكتوبر ٢٠٠٠م

الفائز الأول: **إيمان محمد كوسا - سورية**

الفائز الثالث: **نجاة عبده ناصر السروري - اليمن.**

الفائز الثاني: **مهران وجيه فلاح أبو كوش - الأردن.**

الفائز الرابع: **علي علي محمد عوف - مصر.**

حل مسابقة العدد (٢٨٩)

ريتشارد بيرد: طيار ومستكشف أمريكي، وهو أول من طار فوق القطبين الشمالي والجنوبي.

نرسيسوس: شاب جميل، تزعم الأسطورة أنه افتتن بجمال صورته في الماء وتحول إلى نرجسة.

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعدّ معايبه؟

قائل البيت: بشار بن برد.

الميريامتر: عشرة آلاف متر.

ينشوبنك: مدينة تقع إلى الجنوب من ستكهولم عاصمة السويد، فيها متحف شهير لأعواد الثقاب.

مسابقة الشهر (العدد ٢٩٢)

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) **من قائل هذا البيت:** وتجلدي للشامتين أُريهمُ أني لريب الدهر لا أتضعضع؟

☐ أبو ذؤيب الهذلي ☐ المتنبي.

(٢) **أم الربيع:**

☐ اسم نهر في المملكة المغربية

☐ اسم مدينة في العراق كانت قاعدة ديار ربيعة في العهد العباسي.

(٣) **بيدرو الفاريس كابرال:** ☐ ملاح برتغالي اكتشف البرازيل عام ١٥٠٠م ☐ شاعر المكسيك القومي عاش حياة حافلة بالمغامرة.

(٤) **ملحمة الأوديسا هي للشاعر:** ☐ الروماني فيرجيل ☐ الإغريقي هوميروس.

(٥) **الطَّقْسُوس:** ☐ وشاح يرتديه اليهود في الصلاة ☐ شجر دائم الخضرة من الفصيلة الصنوبرية.

الاسم: ص.ب:

العنوان: الرمز البريدي:

المدينة: هاتف:

الدولة: ناسوخ:

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يوماً من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وقرعة أخيرة للفائز الأخير.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

الجوائز

الجائزة الأولى:
١٥٠٠ (ألف وخمسمئة ريال سعودي).

الجائزة الثانية:
٧٠٠ (سبعمئة ريال سعودي).

الجائزة الثالثة:
٥٠٠ (خمسمئة ريال سعودي).

الجائزة الأخيرة:
(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

عنوان المجلة:

ص.ب (٣) - الرياض ١١٤١١ — المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ — ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١



مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

معهد الفيصل لتنمية الموارد البشرية

يسر معهد الفيصل لتنمية الموارد البشرية أن يعلن عن دورة متخصصة في موضوع : التزوير في المخطوطات والوثائق ، ويشمل ذلك التزوير في: (الورق، الخطوط، السماعات، التواريخ، الأختام، العلامات المائية، قديماً وحديثًا). وسوف يشارك في هذه الدورة مجموعة من الأساتذة المشهورين في العالم العربي مثل الأستاذ الدكتور قاسم بن أحمد السامرائي المتخصص المعروف في مجال علم الإكتناه والمخطوطات، والدكتور عبدالستار عبدالحق الحلوجي الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية ، وأستاذ المكتبات في جامعة القاهرة ، والأستاذ الدكتور عباس بن صالح طاشكندي عميد شؤون المكتبات وأستاذ المكتبات في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، ونخبة أخرى من المتخصصين المعروفين.

للحصول على معلومات عن الدورة وشروط الالتحاق بها الاتصال بمعهد الفيصل لتنمية الموارد البشرية:

هاتف: ٤٣ ٠١ ٤٦٥ – فاكس: ٩٣ ٩٩ ٤٦٥

بريد إلكتروني: skheragi@kff.com



عن تطور الشعر وعلم العروض في آسيا الوسطى

نشرت مجلة الفيصل في عدد جمادى الآخرة مقالاً طيباً بعنوان «تطور الشعر وعلم العروض في آسيا الوسطى» وليس من شك في أن الفيصل تسعد قراءها بين شهر وآخر بمثل هذه المقالات الجيدة التي تلقي الضوء على الجوانب الحضارية والثقافية للدول الإسلامية التي استقلت منذ سنوات عن الاتحاد السوفييتي، وبدأت تعمل على إحياء ثقافتها الإسلامية، وتهتم بإعادة كتابة تاريخها من جديد.

لكن يلاحظ أن بعض المقالات التي تنشرها الفيصل بصدد هذا الموضوع وهي بأقلام أدباء وعلماء تلك البلاد تحتاج أحياناً إلى تحرير أو تعليق من هيئة التحرير التي نشكر لها منهجها القويم في عدم تدخلها فيما يرد إليها من مقالات، لكن الأمر قد يستلزم أحياناً التدخل مع الإشارة إلى ذلك، حتى تعم الفائدة، ويستفيد من مثل هذه المقالات التي تقدم لهم معلومات فيها أصالة وجدة بقلم متخصصين من أهل البلاد أنفسهم.

وقد دفعني إلى كتابة هذا التعقيب حرصي الشديد على أن تعم الفائدة، فمن الواضح أن بلدان آسيا الوسطى ظلت خاضعة فترة طويلة لتأثير الروس الذين حاولوا القضاء على الخط العربي الذي كانت تكتب به اللغة الأوزبكية (التركية أو الفارسية) مما أثر في الجيل الحالي من المثقفين وفي طريقة كتابتهم حتى لأسمائهم إذا ما أرادوا كتابتها بالحروف العربية، وكذا ورد اسم كاتب المقال الذي نحن بصدده هكذا: (إيمانجان تالابوف) وأحسب أن اسمه يكتب هكذا (أيمن جان طالب وف) لأن الحرف الأول ينطق همزة ممالة، وطالب هو الاسم الحقيقي مع اللاحقة المعروفة أوف.

وإذا كنا بصدد كتابة الأسماء فنشير أيضاً إلى ما ورد في نهاية المقال حين ذكر الكاتب ما يأتي: «وكتب الشاعر الأوزبكي المشهور زهير الدين محمد بابور رسالة مكملة في الشعر العروضي الأوزبكي.. إلخ». ويقصد الكاتب هنا شخصية معروفة في التاريخ الإسلامي فهو يشير إلى «ظهير الدين محمد بابر» مؤسس أسرة المغول العظيمة في الهند، وهو حفيد ميران شاه بن تيمور، ويتصل نسبه من ناحية أمه إلى جغتائي الابن الثاني لجنكيز خان، وقد اتخذ بابر من آكرا حاضرة لملكه بعد أن قضى على الدولة اللودهية في الهند، ودخل مدينة لاهور في رجب سنة ٩٣٢ هجرية/أبريل ١٥٢٦م وكان بابر شاعراً ألف ديواناً بالتركية (ديوان تركي) ومجموعة أشعار على نمط المثنوي أي المزدوج بعنوان «مبين» وله مذكرات باسم بابر نامه كتبها بالتركية الجغتائية (وقد ترجمت إلى الفارسية ومنها إلى الإنجليزية والفرنسية) بالإضافة إلى كتابه عن فن العروض الذي أشار إليه الأستاذ أيمن جان طالب أوف.

وأمر آخر تجدر الإشارة إليه وهو تحديد التواريخ في الإشارة إلى الأدباء والأعمال الأدبية، واللجوء إلى الإشارة إلى القرن بدلاً من السنة، فقد ورد في بداية المقال «شعرنا المكتوب في القرن الحادي عشر حتى الآن» وبعدها ورد ما يأتي «وتعود جذور هذا الاهتمام إلى ما قبل ذلك بقرنين» وهو هنا يقصد القرن التاسع، وفي العمود الثاني بالصفحة الأولى ذكر أن «تقاليد القصيدة استمرت في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين وما بعدهما بكثير» ونحن هنا لا نعترض على أنه لم يذكر القرن الميلادي أو الهجري، لكن كنا نود ذكر تاريخ تقريبي بالسنوات الميلادية أو الهجرية، وإن كان الأفضل ذكر التاريخ الهجري مع الميلادي، ونلاحظ أن الكاتب لجأ بعدها إلى ذكر تاريخ وفاة العلماء الذين يعرفهم القارئ العربي مثل الثعالبي والخوارزمي والزمخشري وابن سينا وأشار إلى التاريخ الهجري أحياناً.

وقبل أن أنتقل إلى الحديث عن الأسلوب والصياغة أتمنى أن يعرّف كتّاب أوزبكستان وأدباؤها القراء العرب بعلماء أوزبكستان وأدبائها، فلا يفيد القارئ العربي أن يقرأ اسمًا لشاعر أو أديب أوزبكي دون التعريف به في سطرين أو ثلاثة، وهو ما فات كاتبنا الذي ركز في العلماء المعروفين لدى القارئ العربي، ومضى سريعاً على العلماء والأدباء الذين هم بحاجة إلى تعريف.

والأمر الأخير يتعلق بالأسلوب وصياغة العبارات وهذه أمثلة:

«أقبلت شعوب هذه المنطقة على دراسة اللغة العربية، وأخذت تشارك العرب في الحالات المختلفة، مثل اقتصاد البلاد وسياستها..».

«وأدى ظهور اللغة الجديدة القوية في الأفق إلى إجادتها سريعاً، ليست لأنها لغة الدين والإدارة فحسب، بل بوصفها لغة العلم..» الحديث عن اللغة العربية!

«بدؤوا يكتبون القصائد العربية بمدح تلك الأطلال القديمة، وهذه الأحجار المسودة المحروقة برقة وذوق كما كان يفعل العرب، بل نافسوهم في هذه المهارة..»

«إن هذه العلاقات تأسست على المساجلات الشعرية التي قام بها الشعراء للشعوب المختلفة شرقًا وغرباً بالمناظرة الشعرية في العربية أو في لغاتهم».

«حسب المعلومات للعلامة المشهور..»

«أما أبو الريحان البيروني...إلخ هذه العبارة تحتاج أيضاً إلى إعادة صياغة كما أن البيروني اشتهر بكتابه تحقيق ما للهند من مقولة.. إلخ، المشار إليه هنا برسالته «تاريخ الهند».

وعلى كل حال فقد قدم الأستاذ طالب وف فكرة طيبة لقراء الفيصل عن الشعر العربي في آسيا الوسطى، وعن الشعر الأوزبكي وفن العروض، وأرجو أن يهتم هو وغيره ممن يكتبون عن الأدب الأوزبكي أن يوضحوا للقارئ العربي اللغة التي يكتب بها هذا الأدب: أهي اللغة التركية الجغتائية أم هي اللغة الفارسية الأوزبكية؟ ويفصلوا الحديث عن أدباء أوزبكستان أكثر حتى تعم الفائدة، وبالله التوفيق.

سمير عبدالحميد إبراهيم
الرياض - السعودية

الحديث عن الغرب ليس عيباً

لقد طالعت في عدد مجلتنا الغراء الفيصل رقم (٢٨٥) الصادر في شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ/ يونيو/ يوليو ٢٠٠٠م رداً وتعقيباً من الأستاذ الفاضل محمد صلاح صالح من دمشق على موضوعي المعنون بـ«القراءة الحرة الشمولية: الرؤية والآفاق» المنشور في العدد (٢٨٠)، ولقد سرني هذا الرد؛ لأنه يدل على الحركية في إبداعنا العربي، وأردت أن أعقب عليه موضحاً حيناً ومصححاً أحياناً، وليكن صدره رحبًا. فأقول:

- لقد كانت أحكام الأستاذ محمد عامة مطلقة لا تخضع للعلمية في شيء، وإنما تدل على حكم مسبق أراد أن يدافع عنه، فجاءت فرصة مقالي ليقول ما أراد قوله، فمن عنوان رده نجده يعادي ويرفض الشعر الحر، ومن ثم النقد الحديث. ومنها مقالي المعنون بالقراءة الحرة. فلفظة الحرية عنده صورة للغرب ليس غير، وهذا الأمر لا يعينه عليه إلا التزمت الجامد الذي يرى في الغرب البعبع الذي يتهددنا، ويرى أن خير سلاح لنا في مواجهته هو الانغلاق!!

أبداً سيدي، إنك لكي تفرض نفسك على الآخر، أو توقفه عند حده، عليك أولاً بمعرفته، فالإنسان عدو ما جهل.

- لقد كانت ملاحظة الأستاذ حول ندرة المراجع المعتمدة في محلها لو كان المقال دراسة تاريخية أو بحثًا في ظاهرة ما، لكن مقالي كان رسالة تنظيرية للخروج من دائرة المناهج التي ينفي بعضها بعضاً، فالمقال كان محاولة مني للبحث عن إطار فلسفي وثقافي له. وإنه ليس من العيب في شيء أن تلتقي أفكارنا مع من

سبقنا من كبار النقاد العرب وغير العرب، ولهم منا الإجلال والإكبار لما قدموه لخدمة العلم والإبداع. أما إشارته إلى العامل الديني فإنني لم أذكره، لأن قناعتي تقول: أما الدين مهما كان مصدره فهو أسمى من أن يكون عنصراً في فكر البشر، بل هو الأصل ثم تأتي الفروع، فالدين قادح شرارة الفكر، ومنهض الهمم، أما إذا جعلناه جزئية فإننا نحكم عليه بالتقصير. ولا أعتقد ذلك. كما أنه لا يوجد مبدع أو مفكر ينطلق من فراغ ديني، بل يتحرك وفق الحدود والأهداف التي يحددها الدين الذي يعتنقه؛ وأما بقية المناهج التي ذكرها (البنوي، الفلسفي الجمالي، التحليلي، الأسلوبي وغيرها)، فأعتقد - وأتمنى أن أكون على خطأ - أنه لم يقرأ مقالي جيداً، ولم يقف عند مقاصده وما رميت إليه، ولم آت على ذكرها ليس لجهلي بها، أو لنسيان مني، وإنما أردت أن أكون عملياً أكثر، فلا أثقل كاهل القارئ الكريم بذكر أمور أصبحت معلومة في أدبنا كالفرائض والسنن في ديننا. ومن ثم لم تكن قراءتي هي المنهج التكاملي كما خلص إلى ذلك الأستاذ محمد، وإنما تتجاوز إلى عدم إجبار القارئ على فرض سلطته على نص لا يقبله، أو فرض منهج يقيّد النص ولا يفجره دلالياً ومعرفياً. إننا يا سيدي قد يختلف بعضنا مع بعض إلا أننا يجب أن يعذر بعضنا بعضاً.

- المعايير التي ذكرتها في ص ٦٩ ليست بالمستعارة ولا بالمسروقة كما ادّعى ذلك الأستاذ، ونحن وجدناه في أحكامه مازال متعلقاً بأحكام قيمية مسبقة تنفي هذا وتثبت ذاك، وتكفر هذا، وتزندق ذلك.. لقد كان الأستاذ في حكمه يبرهن على أن ما قلناه حول نقدنا العربي بأنه انطباعي وذاتي كان سليماً. فما ذكرته من معايير لم يكن خاصاً بي لدرجة التفرد، ولكني على الأقل من ناحية التوظيف السياقي لها أخذت أبعاداً مغايرة تماماً لما هو في ذهن الأستاذ محمد. فكانت دعوتنا تنشد القراءة الباحثة عن الأدبية والشعرية في النص الإبداعي، ونتأسف إذا كان الأستاذ لم يقو على استيعاب المقال فظن أن كل ما قلناه سُبقنا إليه - فإن كان ما يدعيه صدقاً وعدلاً فهذا الشرف لنا لا له - لأننا استطعنا أن نحيي ميتاً، ونذكّر بمنسي. وإن لم يكن كذلك فهذا يذكرني بحالة أمتنا الباعثة على الأسى. إنه كلما اكتشف غيرنا شيئاً ما صحنا في وجهه: قف أيها السارق المستعير، فقد سبقناك إليه منذ ما يزيد على ١٤ قرناً، أليس هذا العذر أقبح من ذنب.

- نعم لقد قلت إن نقدنا انطباعي ذاتي فهو لا يكاد يخرج من دائرة الأحكام والثقافة التجزئية مثل: أحسن بيت، أبلغ تشبيه... إلخ. أما عن ابن قتيبة، والقرطاجني والعسكري فهم أهل الفضل علينا، ولم ولن ننقص من مكانتهم يوماً، ويكفيهم فخراً أنهم حاولوا إخراج نقدنا من حالته الأولى الراكدة إلى حالة جديدة أكثر حركية، فلهم منا كل احترام، ولنحافظ على مكانتهم، فكفانا إقحامهم في مجالات حديثة، فهم عند أمثال الأستاذ المحترم محمد صلاح صالح من ابتكروا اللسانيات، والأسلوبية، والبنوية، والتفكيكية.. ولا نعلم متى نسمع من يجعلهم أنهم صعدوا إلى القمر والمريخ...!! فلنكن أهل عدل وإخلاص وصدق، شعارنا قوله تعالى: *يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون*. **المائدة:٨**.

- أمّا عن تحامله على أدونيس، وغضبه أنني خصصته بالذكر دون غيره، فهذا مبعثه أن الأستاذ بكلامه دلّ على كرهه ورفضه لأدونيس.

إننا يا سيدي مهما حاولنا نفيه أو نكرناه فهو دائماً حاضر في ثقافتنا وعداء الأستاذ لأدونيس هو من بقايا تلك الحملة التي شملته، وإن كنت لا أدافع عن أدونيس، فإنه شرف لي أن أقول: إن من يرفض أدونيس أو غيره فليرد عليه بكتب، لا بالقدح واللمز والهمز، فهذا كله مناف لقيمنا، ودليل على جهلنا. يبدو أن الأستاذ محمد يشدّه الحنين إلى فكر القرون الوسطى في أوربا حيث الكنيسة تحارب العلم والعلماء. وحيث محاكم التفتيش، إننا نقول: إن ذلك العهد ليس منا ولا نحن منه، ومانفي الآخر وعدم الاعتراف به إلاّ أكبر اعتراف به أولاً وبإخفاقنا على المواجهة المعرفية ثانياً.

- يعتقد الأستاذ أننا من المتغربين الخارجين من جلودهم فأنت يا سيدي مجاف للحقيقة والحق، وإننا في أرض الجزائر نعي جيداً ما معنى أن تكون منسلخاً، وليس عيباً أن نتحدث عن الغرب أو أن نستفيد من منجزاته النافعة، لا ياسيدي لسنا من دعاة التغريب ولا بالمستلبين حضارياً، إننا نرفض التكديس في البناء الحضاري كما يبيّنه لنا المفكر الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله، وإنما نؤمن بالمثاقفة أولاً، والحوار ثانياً، والإبداع دائماً.

أقول ثانية: شكراً لك أستاذي الفاضل محمد صلاح صالح على ردك، وبدوري أطلب منك تسخير قلمك للمشاركة في إحياء تراثنا لمواجهة العولمة، وستجدني إن شاء الله لك من الشاكرين والشادّين على يديك في السراء والضراء.

صالح جديد
عين الكرمة - ولاية الطارف ٣٦٣٣٠
الجزائر

نادية محمود مصطفى، ذكرت فيه أهمية الكتاب وأهمية الفترة الزمنية التي خرج فيها.

ثم جاءت المقدمة في ثلاث صفحات تناول فيها المؤلف بداية هذه المشكلة، ثم المشكلات التي دعته إلى التوقف عن مواصلة الكتابة في هذا الموضوع، وهي قيام الحرب البوسنية عامي ٩٢ و ١٩٩٣م، وأثر هذه الحرب في تعطيل العمل. ثم بيّن المؤلف في هذه المقدمة أن أغلب فصول هذا الكتاب كانت في الغالب مقالات نشرت في كثير من المجلات والصحف السيارة، لكنها جمعت بشكل موثق في هذا الكتاب.

بدأ الكتاب بعنوان: كوسوفو/كوسوفا، بين النظرتين العربية والألبانية. تحدث فيه عن أن هذا الغلاف قد يفسر ما قاد إليه نزاع البوسنة والهرسك، فمن المعروف أن ما يعرف بالبلقان مهيأ أن ينفجر فيه الوضع في أي فرصة أو ضعف سياسي عسكري، وفي وقت لا يمكن توقعه. وقد ذكر المؤلف أن هذا الصراع كان أيضًا في تسمية الإقليم، إذ يرى طرف أنه كوسوفو، ويرى الطرف الآخر أنه كوسوفا.

إنه اختلاف بين التسميتين قد يجهل البعيد عن المشكلة مدلول كل اسم منهما بالنسبة إلى الطرفين، لأن التنازل عن الواو الأولى أو الألف الثانية إنما هو تنازل عن أشياء كثيرة في نظر المتصارعين.

ثم تكلم المؤلف في الفصل الثاني على دلالات الاسم والتاريخ من كوسوفو إلى قوصوة وكوسوفا، ذاكرًا الأصل



كوسوفو . كوسوفا:
بؤرة النزاع الألباني الصربي
في القرن العشرين
د. محمد الأرناؤوط
القاهرة: مركز الدراسات السياسية، ١٩٩٨م.

وأخذ المؤلف يذكر تاريخ كل منطقة وأصلها، ولمن كانت تابعة، وشيئًا من تاريخ كل إقليم على حدة، بادئًا ذلك من قبل الميلاد حتى العصر الحاضر، مرورًا بكل الدول والإمبراطوريات المستقرة في تلك الأصقاع.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان «كيف يمكن للأساطير أن تقدّس/ تؤدلج النزاع الاثني - السياسي، فقد تعرض المؤلف هنا إلى ذلك النزاع الاثني لأكبر شعبين بهذا الإقليم: الألبان والصرب، وأيهما يطغى على الآخر، وأيهما يمكن أن يسيطر على الآخر. كما كثرت المطالبة من الطرفين بالحق التاريخي في هذا الإقليم.

أما الفصل الرابع فكان بعنوان «محاولات بلغراد لتصريب كوسوفو/كوسوفا في فترة ما بين الحربين ١٩١٨ - ١٩٣٩م».

وكان هذا الفصل استعراضًا تاريخيًا للحرب بين بلغراد وهذا الإقليم، والصراع والتنازع السياسي والتقارب بين الأقليات المختلفة.

أما الفصل الخامس فكان بعنوان «كوسوفو/ كوسوفا في

السنوات الحائرة بين ألبانيا ويوغسلافيا والبلقان ١٩١٨ - ١٩٤٨م.

تحدث المؤلف في هذا الفصل عن الخلفية التي كانت عليها المنطقة قبل هذه الفترة، والصراع الذي تم على أرضها بعد أن خضعت للنفوذ العثماني ما يقرب من ٥٠٠ سنة. ثم الصراع بعد ذلك ودخول القوى الشيوعية إليها، ثم محاولة الدول الاستعمارية المحيطة بها تقسيمها ووضع الحدود بينها وبين الأقاليم المحاذية لها.

أما الفصل السادس فكان بعنوان «كوسوفو/ كوسوفا: عقدة العلاقات اليوغسلافية في القرن العشرين.

عدّ المؤلف أن كوسوفو تعد بؤرة مزمنة للصراع في هذا القرن بين ألبانيا ويوغسلافيا منذ قيامها في مطلع القرن العشرين، فقد أدّت دوراً كبيراً في زعزعة العلاقات بين الطرفين طوال هذا القرن، وحتى في زعزعة يوغسلافيا خلال العقد الأخير من هذا القرن.

أما الفصل السابع فكان تحت هذا العنوان «الحكم الذاتي في كوسوفو/كوسوفا من البداية إلى النهاية».

فكانت مطالب إقليم كوسوفو خلال الربع الأخير من هذا القرن، شأنه في ذلك شأن كثير من الأقاليم في العالم أجمع، هي قيام الكيانات السياسية بعد تفكك الاتحاد السوفييتي طبقاً للعرق البشري دون النظر إلى القوميات الصغيرة التي كانت تعيش في ونام في ظلّ الدول القوية في تلك الفترة، لهذا فقد تميز هذا الربع الأخير من القرن العشرين بخطين متعاكسين:

- الخط الأول، يذهب باتجاه التبعثر: الحكم الذاتي/ الاستقلال للأقليات والكيانات التي كانت تحكمها عقدة الهوية، والمساواة القومية، والنزعة الاستقلالية كما في حالة سلوفينيا ومكدونيا وسلوفاكيا وتشيكيا وغيرها.

- الخط الثاني، يذهب باتجاه الاندماج بين الدول القومية التي تجاوزت عقدة الهوية، والمساواة القومية كما في حالة الاتحاد الأوروبي. وقد اختارت كوسوفو الاتجاه الأول.

أما الفصل الثامن فكان عنوانه: «أبعاد وآفاق الوضع المتفجر في كوسوفو/ كوسوفا: الإشارات المبكرة التي تجاهلتها بلغراد».

فكانت هناك تحذيرات كثيرة عام ١٩٩٤م حاولت أن تجمع بين الوضع في البوسنة ونظيره في كوسوفو، وأنهما مشكلتان متلازمتان ولا يمكن الفصل بينهما، والعلاج لإحداهما لابد أن يصل إلى الأخرى. إلا أن هذا لم يلق صدى في الدول الأوربية على الرغم من نداءات الرئيس الألباني صالح بريشا الذي أشار محذراً إلى هذا خلال زيارته التاريخية للندن، كما أشار إلى ذلك المؤلف؛ وقد حفلت تلك النقاط التي أشار إليها الرئيس بريشا بالدراسة والتحليل عند المهتمين، وظهرت نتيجته خلال التفكير في المشكلة.

أما الفصل التاسع فكان بعنوان «الوضع في كوسوفو بعد اتفاقية تطبيع التعليم «اتفاقية أوسلو» الألبانية الصربية، ظروف التوقيع - التجميد - التفعيل».



الأطفال يدفعون الثمن

لقد حاول المؤلف هنا أن يربط بين الاتفاقية المعروفة باتفاقية أوسلو والموقعة بين الفلسطينيين والإسرائيليين تحت عنوان «أريحا أولاً» والاتفاقية الألبانية - الصربية تحت عنوان مشابه هو «التعليم أولاً» لأن كلتا الاتفاقيتين كانت محاولة من المفاوضين والراعين للمفاوضات أن تكون خطوة أولى للالتقاء، وبعدها تتم المصالحات المختلفة بشكل تدريجي. إلاّ أن أيّا من هذا لم يتم، بل توقفت هذه الاتفاقية من أول وهلة، ومن غير أن تتقدم خطوة واحدة.

كما ضم الكتاب أيضاً بعض الملحقات المهمة مثل الاتفاقيات التعليمية والسياسية التي تمت بين ألبانيا وصربيا، أو بعض البيانات التي كانت تصدرها التجمعات الشبابية المختلفة، أو قواعد الاتفاقية التي تمت بشأن الهجرة للسكان الأتراك من يوغسلافيا. وضم الجزء الأخير من هذا الكتاب تعريفاً بثلاثة كتب صدرت عن كوسوفو/ كوسوفا هي:

- التوغل الصعب في التاريخ للوصول إلى الحاضر المعقد، المؤلف: نويل مالكوم، لندن (ماكميلان) ١٩٩٨م.

- رؤية جديدة لكوسوفو وألبانيا: دور كوسوفو في صعود وسقوط صالح بريشا. المؤلفان: ميراندا فيكرز - جيمس بيتفرز.

- الاتحاد والافتراق بين كوسوفو وألبانيا، المؤلف محمد شاتري.

والكتاب في الجملة كتابٌ جدير بالقراءة، إلا أن عيبه كثرة أخطائه المطبعية التي نشاهدها تقريباً في أغلب صفحات الكتاب.

المسجد النبوي عبر العصور

مراجعة: أحمد كمال زكي
القاهرة ـ مصر

هذا الكتاب يصف ـ برهبة وإجلال ـ التاريخ المعماري لأحد المساجد الثلاثة التي تُشد إليها الرحال، والذي يُعدُّ أول لبنة من لبنات الدولة الإسلامية، وهو المسجد النبوي الشريف، والذي يُشرف ثراه الطيب ـ تحت قبته الخضراء ـ الجسد الطاهر لأعظم الخلق كلهم: محمد بن عبدالله، صلى الله عليه وسلم.

والكتاب يعرض في القسم الأول منه التاريخ الطويل لمراحل التطوير المتلاحقة التي شهدها المسجد منذ بداية تأسيسه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومروراً بعصر الخلفاء الراشدين، ثم الدولة الأموية، تليها العباسية والمملوكية، وصولاً إلى نهاية الدولة العثمانية.. وعلى الرغم من أن أكبر توسيع للمسجد النبوي تم في عهد الأسرة السعودية، فإن المؤلف ـ د. أحمد رجب ـ لم يتناول هذه المرحلة في كتابه «المسجد النبوي بالمدينة المنورة» مشيراً إلى أنه سيفرد لها كتاباً خاصاً.

وقد مر المسجد النبوي عبر تاريخه الطويل بعدد من الزيادات والإضافات والإصلاحات؛ إذ إن مكانته في قلوب المسلمين جعلت جميع الحكام والسلاطين يهرعون إلى إجراء مزيد من الإصلاحات فيه والترميمات له.

والمسجد النبوي يتوسط المدينة المنورة، ثاني الحرمين، وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ في مسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي حرم، وحرمي المدينة»(١).



المسجد النبوي بالمدينة المنورة ورسومه في الفن الإسلامي
د. أحمد رجب
القاهرة:
الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٠م

والمدينة المنورة التي تعرف باسم طَيْبة كانت تسمى قبل الهجرة باسم: يثرب. ويذكر السمهودي نقلاً عن ابن زبالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «نهى عن تسمية المدينة بيثرب»، ويذكر أيضاً بعض الأحاديث بهذا الشأن منها ما ذكره البخاري: «من قال يثرب مرة فليقل المدينة عشر مرات»، ومنها ما ذكره أحمد عن أبي يعلى: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله وهي طيبة»، ويذكر السمهودي سبب كراهية هذا الاسم، وهو أنه مأخوذ من الثَّرْب بالتحريك، وهو الفساد.. أو التثريب وهو المؤاخذة بالذنب، وأن تسميتها كانت قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها، وذلك لتفشي الفساد والفتن فيها(٢). وهي ترتفع عن سطح البحر بنحو ٦١٩ متراً، وتقع على خط عرض ٤٤ شمال خط الاستواء، ودرجة حرارتها في الصيف تصعد إلى ٤٨ درجة، وقد تنزل في الشتاء إلى عشر درجات نهاراً، وإلى خمس درجات تحت الصفر ليلاً،



صورة قديمة للمسجد النبوي وتظهر فيها القبة الخضراء وثلاث منارات

وكثيراً ما يُرى فيها الماء متجمداً في آنيته عند الصباح في الشتاء.

والفصل الأول في الكتاب يدور حول: تأسيس المسجد النبوي وعمارته في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم.. وهو يبدأ من إذن الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم بالهجرة من مكة إلى المدينة لوضع حجر الأساس للدولة الإسلامية، ويشير إلى أن أول خطوة اتخذها رسول الله هي بناء المسجد؛ لأن المسجد هو حجر الأساس في هذه الدولة؛ ففيه يتلقى الناس تعاليم الإسلام، وفيه تعقد الألوية للحروب والغزوات، وفيه تتم كل الأمور الخاصة بهذه الدولة الناشئة، وأول شيء تم لبناء هذا المسجد هو اختيار الموقع المناسب.

دعوها؛ فإنها مأمورة!

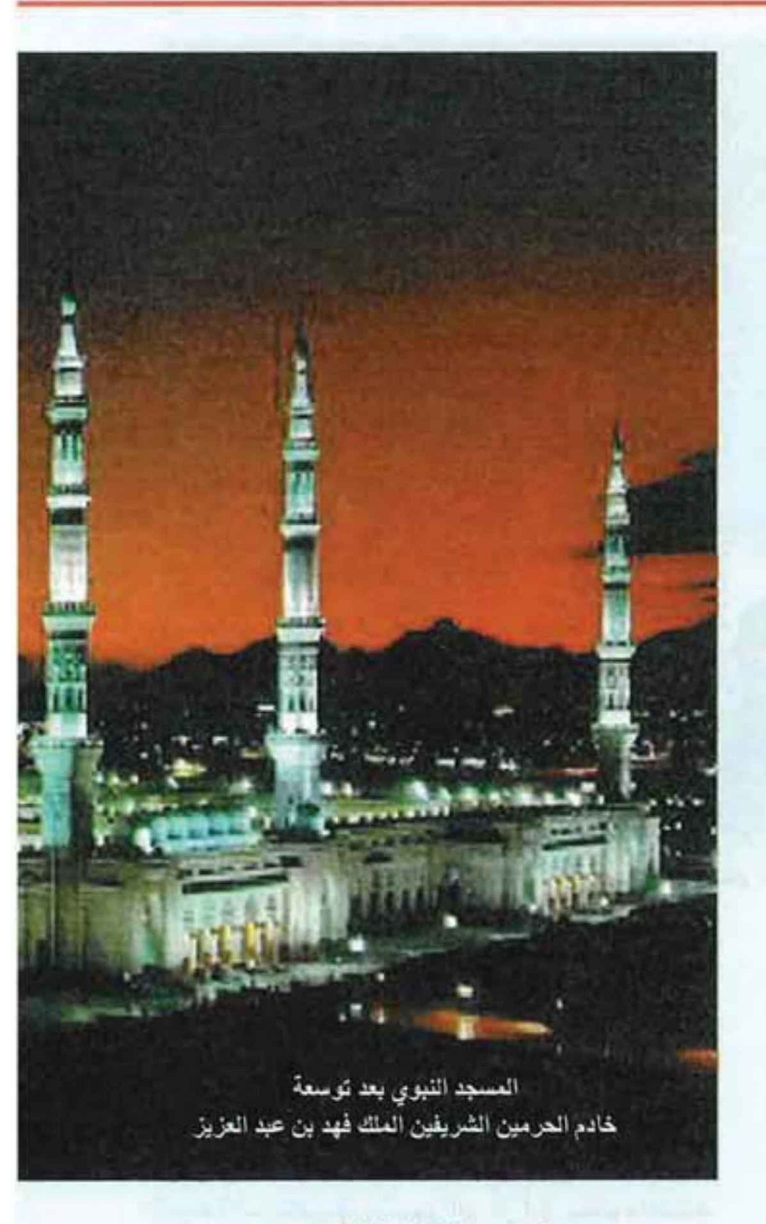
ويذكر السمهودي كيفية اختيار موقع المسجد فيقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قدم إلى المدينة أخذ أعيان بطونها بلجام ناقته حتى ينزل عليهم، ولكن رسول الله قال لهم: «دعوها؛ فإنها مأمورة» وأرخى الزمام لها فبركت في مكان كان مربداً لغلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، وقال رسول الله - عليه الصلاة والسلام - حين بركت راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل»، وقال: «اللهم أنزلنا مُنزَلاً مباركاً وأنت خير المنزلين، ثم دعا الغلامين فساومهما بالمِربَد ليتخذه مسجداً، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله. فأبى أن يقبله هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجداً.

ويذكر السمهودي أن هذا المسجد الأول قد وردت عدة روايات في أبعاده، فالرواية تذكر أنه كان مربعاً طول ضلعه مئة ذراع، والرواية الثانية تذكر أنه كان مربعاً طول ضلعه أقل من مئة ذراع، والرواية الثالثة تذكر أن أبعاده كانت سبعين ذراعاً في ستين(٣). وقد أمر رسول الله باللبن فضرب، وبالأساس فحفر ثلاث أذرع، ثم رفع

البناء باللبن فوق الأرض سبع أذرع، وجعلت قبلته إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: باب في مؤخرته، وباب يُقال له باب الرحمة، والباب الثالث هو باب آل عثمان.. وقد شارك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في بناء المسجد، وكان ينقل الحجارة بنفسه حتى يُرَغِّب المسلمين في العمل، فعمل معه المهاجرون والأنصار، وقد بني أساسه بالحجارة ثم رفعت الجدران بعد ذلك باللبن، ولم يكن للمسجد في بداية الأمر سقف، فشكا المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بعمل ظُلَّة من ثلاثة صفوف من الأساطين وهي من جذوع النخل، وكان سقفه جريداً وخُوصاً، وقد ظلت القبلة متجهة نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً، ثم حولت إلى الكعبة قبل غزوة بدر بشهرين، حينما نزلت الآية الكريمة: *قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ*. **البقرة: ١٤٤**.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ألحق بالمسجد بيتين لزوجتيه عائشة وسودة - رضي الله عنهما - على نمط بناء المسجد نفسه، من اللبن وجريد النخل، ولما تزوج رسول الله نساءه بنى لهن حُجَراً، وهي تسعة بيوت، اختلف الرواة في تحديد مكانها، فهناك رواية تقول: « إنها كلها كانت في شرق المسجد، ورواية أخرى تقول: إنها كانت محيطة بالمسجد من جميع الجهات باستثناء الجهة الغربية.

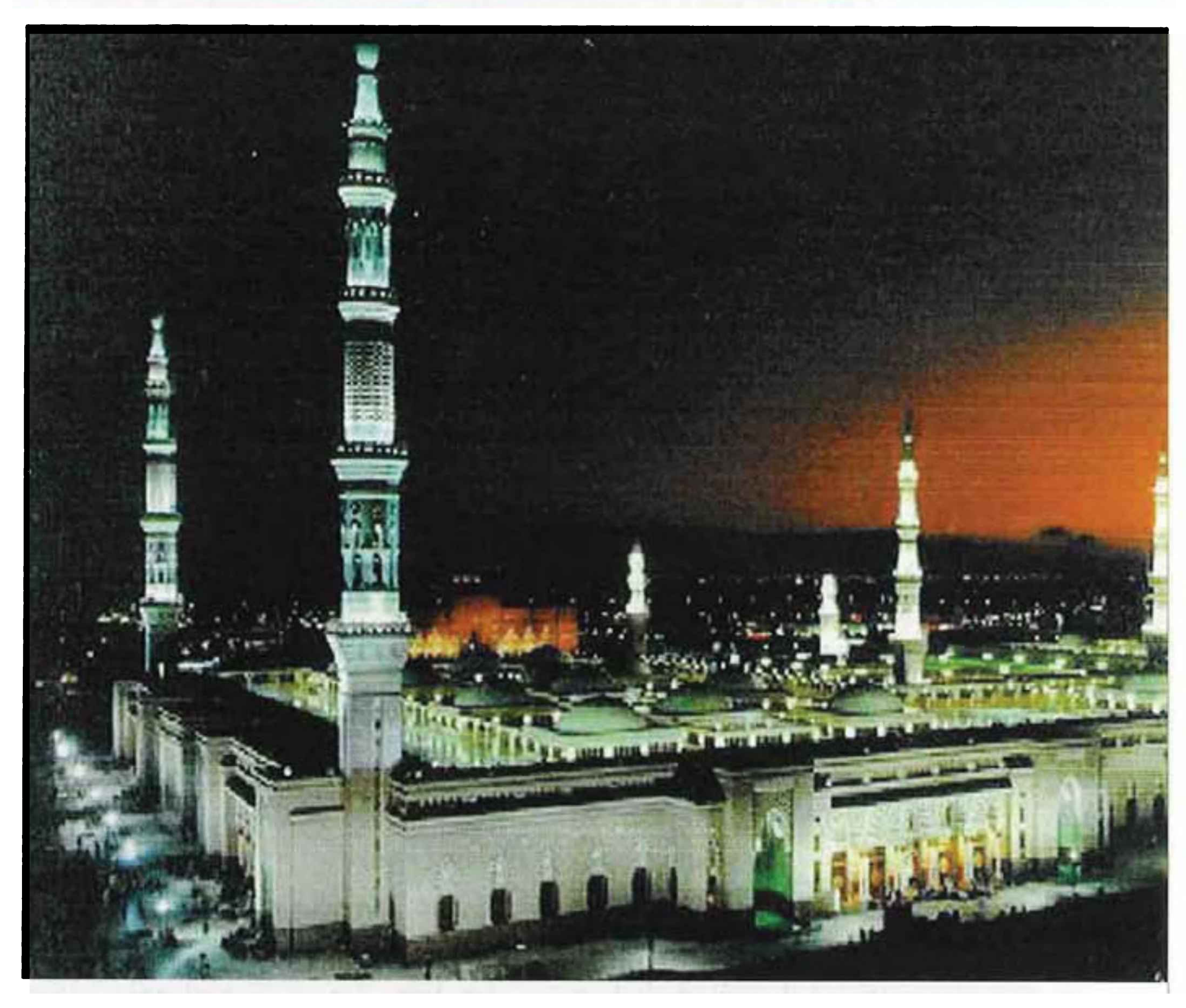
وبعد سبع سنوات ضاق المسجد بالمصلين فعزم رسول الله على زيادة مساحته، ويذكر السمهودي أنه كانت هناك بقعة فضاء بجانب المسجد، فقال رسول الله: «من يشتريها ويوسعها في المسجد له مثلها في الجنة» فاشتراها عثمان بن عفان فوسعها في المسجد، وقد تمت التوسعة من ثلاث جهات فزيد في المسجد من جهة الشرق عشر أذرع، ومن جهة الغرب عشرون ذراعاً ومن جهة الشمال ثلاثون ذراعاً، فأصبح ذرع المسجد قريباً من مربع، طول جدار القبلة فيه تسعون ذراعاً، ومنه إلى جدار المؤخرة مئة ذراع، وكانت تمتد في ظُلَّته حينذاك ثلاثة صفوف بكل صف تسعة سوارٍ من جذوع النخل.



المسجد النبوي بعد توسعة
خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز

في عهد الخلفاء الراشدين

ويعرض المؤلف بعد ذلك عدداً من الرسوم التخطيطية للمسجد النبوي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قام بعملها عدد من علماء الآثار منهم: كريسويل، وبوتي، ومحمود عكوش، وأحمد فكري، مع مناقشة هذه الرسوم وتوضيح ما يعتريها من أخطاء، ثم يقدم رسماً تخيلياً للمسجد النبوي في عهد الرسول بعد زيادة سنة ٧ هجرية من عمل المؤلف الذي ينتقل بعد ذلك إلى الفصل الثاني ليتحدث عن: المسجد النبوي في



عهد الخلفاء الراشدين، حيث ذكر السمهودي أن سواري المسجد الخشبية (جذوع النخل) قد نخرت في عهد أبي بكر الصديق فجددها ووضع مكانها جذوعًا أخرى وسقفها بالجريد، ولما تولى عمر بن الخطاب الخلافة كان الناس قد كثروا في عهده، فقال له قائل: يا أمير المؤمنين لو وسعت في المسجد؛ فقال عمر: لولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إني أريد أن أزيد في قبلة مسجدنا» ما زدت فيه.

وقد جعل عمر امتداد المسجد من القبلة إلى الشمال مئة وأربعين ذراعًا، ومن المشرق إلى المغرب مئة وعشرين ذراعًا.

وفي سنة ٢٩هـ (٦٤٩م) شكا الناس إلى عثمان ضيق المسجد يوم الجمعة حتى إنهم ليصلون في الرحاب، فشاور عثمان أهل الرأي فأجمعوا على أن يهدمه ويزيد فيه، فصلى الظهر بالناس، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إني قد أردت أن أهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزيد فيه، وأشهد لسمعت رسول الله يقول: من بنى لله

مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة، وقد كان لي فيه سلف وإمام سبقني وتقدمني «عمر بن الخطاب» كان زاد فيه وبناه، وقد شاورت أهل الرأي فأجمعوا على هدمه وتوسيعه. وفي صباح اليوم التالي دعا المعمار وباشر ذلك بنفسه، وكان أول عمله في شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين، وفرغ منه حين دخل هلال المحرم سنة ثلاثين، وقد ذكر السمهودي عن يحيى عن عبدالله بن عطية بن عبدالله بن أنيس أن عثمان بنى المسجد بالحجارة المنقوشة والقَصَّة (الجص) وجعل عُمُدَه حجارة منقوشة وبها عمد الحديد فيها الرصاص، وسقفه ساجا، وجعل طوله ستين ومئة ذراع وعرضه ثلاثين

رسم للمسجد النبوي في إحدى مراحله

ومئة ذراع، وجعل أبوابه ستة على ما كان عليه في عهد عمر رضي الله عنه.

وفي الفصل الثالث يتناول المؤلف المسجد النبوي في العصر الأموي، فيشير إلى أن المسجد النبوي ظل كما هو بعد زيادة عثمان وتوسعته فيه حتى عهد الوليد بن عبدالملك، وكان عمر بن عبدالعزيز عامله على مكة والمدينة، فبعث الوليد إلى عمر بمال، وقال له: من باعك فأعطه ثمنه، ومن أبى فاهدم عليه، وأعطه المال فإن أبى أن يأخذه فاصرفه إلى الفقراء.. وقد استعمل عمر بن عبدالعزيز، صالح بن كيسان على هدم المسجد وبنائه، فهدمه في سنة إحدى وتسعين وبناه بالحجارة المنقوشة، وعمله بالفسيفساء والمرمر وعمل سقيفه بالساج وماء الذهب.. أما أطوال المسجد بعد زيادة الوليد فقد أصبح طول المسجد من الشمال إلى الجنوب مئتي ذراع، وقد ذكر ابن هشام أن عمر بن عبدالعزيز جعل لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم حين بناه أربع منارات في كل زاوية منارة، وذكر السمهودي أن إحدى هذه المنارات كانت تطل على دار سليمان بن عبدالملك، فلما حج سليمان أذن المؤذن فأطل على داره، فأمر سليمان بهدم هذه المنارة فهدمت، وأصبح للمسجد ثلاث منارات فقط.

أما في العصر العباسي - وهو الفصل الرابع في الكتاب - فقد ذكر ابن زبالة ويحيى أن أبا جعفر المنصور هم بالزيادة فيه، إلا أنه توفي قبل أن يفعل ذلك، والذي زاد فيه هو المهدي، وكانت زيادته من ناحية الشمال نحو خمس وستين ذراعاً، ولم يزد المهدي من جهة الجنوب (القبلة) ولا الشرق ولا الغرب وأصبحت أبواب المسجد بعد الزيادة أربعة وعشرين باباً.

وفي سنة ٦٥٤هـ شب حريق كبير بالمسجد النبوي، وقد ابتدأ هذا الحريق من زاوية الحرم النبوي الغربية من الشمال، فما كان إلا ساعة حتى احترقت أسقف المسجد أجمع، ووقع بعض أساطينه، وكان ذلك قبل أن ينام الناس، واحترق أيضاً سقف الحجرة النبوية الشريفة، ويذكر ابن العماد الحنبلي أن سبب هذا الحريق هو سقوط ذبالة من يد فراش المسجد مما أدى إلى انتشار النار التي قضت على جميع أسقفه، وأوقعت بعض السواري وذاب الرصاص، واحترق سقف الحجرة الشريفة وكان ذلك أول ليلة من رمضان - ليلة الجمعة - بعد صلاة العشاء.

وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى الفصل الخامس ويتناول المسجد النبوي في العصرين المملوكي والعثماني.

وصف المسجد النبوي

بعد زوال الدولة العباسية بسقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ على أيدي المغول آلت رعاية الحرمين الشريفين إلى الدولة المملوكية التي عدت حامية الإسلام آنذاك، واستطاعت رد المغول وهزيمتهم، وقد أظهر سلاطين المماليك عناية فائقة بالحرمين الشريفين، ومن هؤلاء السلاطين سيف الدين قطز، الذي هزم المغول في موقعة عين جالوت، ووجه جهوداً كبيرة لإصلاح المسجد النبوي، إلا أنه قُتل قبل أن تتم عمارته، فأكملها الظاهر بيبرس الذي خلفه على العرش.. وفي سنة ٦٧٨هـ في أيام الملك المنصور قلاوون الصالحي عملت فوق الحجرة الشريفة قبة، وهي مربعة من أسفلها، مثمنة في أعلاها بأخشاب أقيمت على رؤوس السواري، وسمر عليها ألواح من خشب، ومن فوقها ألواح من الرصاص.. وفي عهد الأشرف قايتباي سنة ٨٩٩هـ أعيد بناء المسجد وأصلحت مآذنه، وفي سنة ٨٨٦هـ كانت قد حدث حريق كبير بالمسجد النبوي، ويحدثنا السمهودي عن هذا الحريق، فيذكر أنه في الثلث الأخير من ليلة الثالث عشر من رمضان سنة ست وثمانين وثمانمئة هجرية، حصل رعد قاصف أيقظ النائمين، وسقطت صاعقة أصاب بعضها هلال المنارة الشرقية اليمانية، ولها لهب كالنار، وانشق رأس المنارة، وتوفي رئيس المؤذنين الذي كان آنذاك فوق المنارة، وأصابت الصاعقة سقف المسجد، واستولى الحريق على جميع السقف والحوامل والأبواب وخزانات الكتب، وذاب الرصاص من قبة الحجرة الشريفة، واحترقت أخشابها وكان حريقًا هائلاً.. ولما بلغ الأمر الأشرف قايتباي وجه الأمير سنقر الجمال إلى المدينة لعمارة المسجد، وقد أنفق قايتباي في هذه العمارة ما قيمته ١٢٠ ألف دينار.

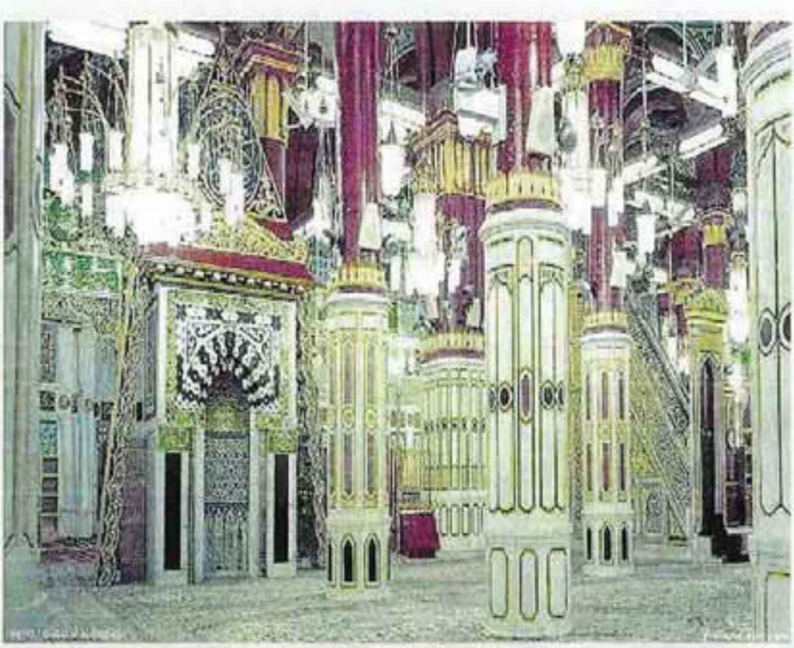
ولما انتقلت الخلافة إلى آل عثمان، وأصبح لهم السيطرة على الحرمين، خلفوا ملوك مصر في القيام بما يحتاج إليه المسجد النبوي، ففي سنة ٩٨٠هـ عمره السلطان سليم الثاني، وشيد به محراباً جديداً هو القبلة القائمة اليوم غرب المنبر النبوي، وقد وُشّي هذا المحراب بالفسيفساء المنقوشة بالذهب.. وكُتب اسم السلطان سليم على ظاهره بخط الثلث الجميل، وفي سنة ١٢٣٣هـ بنى السلطان محمود القبة الشريفة، ثم أمر بترميمها ودهانها باللون الأخضر في سنة ١٢٥٥هـ، ومن ثمّ سميت القبة الخضراء.. وفي ١٢٦٥هـ كانت العمارة الكبيرة التي قام بها السلطان عبدالمجيد والتي انتهت سنة ١٢٧٧هـ، وسببها أن شيخ المسجد النبوي داود باشا كتب إلى السلطان عبدالمجيد بأن المسجد النبوي مر عليه ما يقارب



الروضة الشريفة

أربعة قرون دون أن تقوم به عمارة مهمة حتى آل كثير منه إلى التخريب، فأرسل السلطان من قبله من استبان الحقيقة، وتعرّف حال المسجد، ونبأه به، فأمر بعمارته، ووكل ذلك إلى رجال انتخبهم، فأحضروا الأحجار من هضاب بوادي العقيق، وكانوا كلما نقضوا جزءاً قديماً أقاموا مكانه جديداً، حتى أتموا العمارة في اثنتي عشرة سنة، وبلغت تكاليف هذه العمارة ثلاثة أرباع المليون من الجنيهات المجيدية(٤).

ويختتم المؤلف الباب الأول بوصف المسجد النبوي بعد استقرار عمارته في العصر العثماني عقب عمارة



الإبداع الفني يبدو في أعمدة المسجد والمحراب

السلطان عبدالمجيد، فيذكر أن شكله العام كان مستطيلاً، طوله من الشمال إلى الجنوب ٢٥ر١١٦م، وعرضه من جهة القبلة (الجنوبية) ٢٥ر٨٦م، ومن الجهة الشمالية ٦٦م، ويتكون المسجد من صحن أوسط غير مسقوف يسمونه الحصوة، والجهة الجنوبية منه اثنا عشر رواقاً وبالجهة الغربية ثلاثة أروقة، وبالجهة الشرقية رواقان، وبالجهة الشمالية ثلاثة أروقة، وعدد أعمدة الحرم ـ بما فيه الملتصقة بالجدران ـ ٣٢٣ عموداً، ويوجد بين كل عمودين ثلاثة مصابيح معلقة في عوارض بين الأعمدة بسلاسل فضية، وسقف الأروقة من القباب المقامة على عقود، وللمسجد خمسة أبواب وخمس مآذن جميعها على الطراز العثماني باستثناء المئذنة الموجودة بالزاوية الجنوبية الشرقية ـ بجوار القبة الخضراء ـ فهي على الطراز المملوكي.

الفن الإسلامي

يتناول الباب الثاني رسوم المسجد النبوي في الفن الإسلامي (في المخطوطات وعلى البلاطات الخزفية وبالألوان المائية على الجص) وذلك في خمسة فصول يبدؤها بالحديث عن المخطوطات الإسلامية حتى نهاية القرن الهجري العاشر والذي هو أكثر القرون ازدهاراً في مجال إنتاج رسوم المسجد النبوي والتي يمكن تقسيمها مجموعتين، إحداهما: تمثل مجموعة الرسوم التي تصور قبر الرسول صلى الله عليه وسلم و الروضة الشريفة، والمجموعة الأخرى: الرسوم التي تمثل تخطيط المسجد النبوي بصفة عامة، إذ يصف الرسم بالتفصيل موضحاً مدى مطابقته للواقع في زمانه ـ أي في زمان الرسم ـ مع الوقوف على مدى اتفاقه مع قواعد الرسم المعماري، وهو المنهج نفسه الذي يتبعه المؤلف مع رسوم المسجد النبوي في القرن الحادي عشر الهجري، ثم القرن الثاني عشر (الذي خصص له الفصل الثاني) والقرنين الثالث عشر، والرابع عشر (في الفصل الثالث)، ثم ينتقل إلى رسوم المسجد النبوي على البلاطات الخزفية (الفصل الرابع)، وأخيراً يتناول في الفصل الخامس رسوم المسجد النبوي على الجص والخشب وفقاً للمنهج نفسه السالف ذكره.. ليختتم الكتاب بعد ذلك بقائمة المخطوطات والمصادر والمراجع، وملحق مصور للوحات التي يتناولها الكتاب بالوصف.

المراجع والهوامش

١ـ أحمد بن حنبل، المسند، شرحه أحمد محمد شاكر ـ الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م ـ جـ٤، حديث رقم ٢٩٢٣.

٢ـ السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، مطبعة الآداب والمؤيد، القاهرة ١٣٢٦هـ ـ جـ١، ص٨.. ويلاحظ أن المؤلف يعتمد اعتماداً أساسياً على هذا الكتاب في تأكيد أو نفي مدى مطابقة رسوم المسجد النبوي للواقع، كما يعتمد عليه في وصف المسجد النبوي وأخباره منذ أنشأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحتى نهاية الدولة العثمانية.
والسمهودي هو علي بن عبدالله الحسني الشافعي مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها. ولد في سمهود في صعيد مصر سنة ٨٤٤هـ، ونشأ في القاهرة، واستوطن المدينة سنة ٨٧٣هـ، وتوفي فيها سنة ٩١١هـ. وكتابه «وفاء الوفا..» في مجلدين، وقد اختصره في كتاب «خلاصة الوفا».

٣ـ المقصود بالذراع هنا الذراع الهاشمية، والتي يبلغ طولها نحو ٥٢سم، كما يذكر المؤلف في هوامش كتابه معتمداً في ذلك على كتاب: د. أحمد فكري: «مساجد القاهرة ومدارسها» ـ المدخل، الإسكندرية عام ١٩٦١م.

٤ـ الجنيهات المجيدية، نسبة إلى السلطان عبدالمجيد.

الثقافي

افتتاح
مركز الملك فهد الثقافي

مستقبل الثقافة العربية

جائزة للسفاح الأعمى

الإيسيسكو:
القدس عاصمة فلسطين المستقلة

٥٥ مليون دولار
لامرأة مكتوفة!

رحيل قزاز والرويثي



خاتمة المطاف:
أين النقد الأدبي اليوم؟

افتتاح مركز الملك فهد الثقافي


الأمير عبدالله بن عبد العزيز

رعى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني في ٢٥ شعبان الماضي (٢٥ نوفمبر/ تشرين الثاني) حفل افتتاح مركز الملك فهد الثقافي في مدينة الرياض الذي يأتي متزامناً مع اختيار الرياض عاصمة للثقافة لعام ٢٠٠٠م، وقد أقيم معرض بهذه المناسبة، اشتمل على صور نادرة للملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ تعرض أول مرة، ومن أبرز معالم المركز القبة الفلكية التي توفر معلومات وصوراً حية عن الكواكب الشمسية والنجوم ومنازل القمر، أو جهة خسوف القمر أو كسوف الشمس، وتساعد على تحديد بدايات الشهور، ورصد أهم الأحداث والمتغيرات الفلكية، ورصد المذنبات، ويبلغ قطرها ١٨ متراً وتستوعب ٢٠٨ مقاعد، كما يضم المركز أيضاً متحفاً أقامته وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف يحتوي على ثلاثة معامل لترميم الفخار والخزفيات والزجاج والأخشاب والمنسوجات، ومعمل لترميم الأحجار، والمعادن، ومعمل لترميم الجلود، والأوراق، والعظام، والخوص، والحصير، والبردي والعاج، ويضم المركز مكتبة مجهزة وفق أحدث النظم العالمية لتستوعب جميع تخصصات العلوم والفنون الجميلة والتطبيقية والمسرحية وكتب الأطفال والرسومات وأوعية المعلومات الإلكترونية، وتستوعب المكتبة أكثر من خمسة عشر ألف مجلد ومطبوعة ومسرح رئيس، مزود بأحدث التقنيات الصوتية والتصويرية، ويستوعب ٣٠٠٠ مشاهد.

وبهذه المناسبة ألقى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز كلمة أشاد فيها بدور حكومة خادم الحرمين الشريفين في دعم العمل الثقافي، ونوه بدور الأمير فيصل بن فهد، رحمه الله، حتى قيام هذا الصرح الثقافي، ثم ألقى الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب الدكتور علي عقلة عرسان كلمة أشار فيها إلى ما سيقدمه هذا المركز الثقافي من خدمات جليلة للمثقفين والمبدعين لينضم إلى المكتبات والجامعات ومراكز البحوث والمعلومات التي تشكل بيئة عصرية أساسية للثقافة العربية. وتضمن حفل الافتتاح عرضاً للفنون الشعبية.

جائزة أبها للثقافة


الأمير خالد الفيصل

تحدد يوم الخامس والعشرين من مارس (آذار) المقبل (٣٠ ذي الحجة عام ١٤٢١هـ)، آخر موعد لقبول الترشيحات والأعمال المقدمة لجائزة أبها للثقافة في مجالات الشعر والقصة والرواية والمسرح والبحوث، وتتفرع جائزة أبها الثقافية إلى جوائز في الخدمة الوطنية، والتعليم، والتعليم العالي، وهي مقدمة من صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير، وتبلغ قيمتها المادية مليون ريال سنوياً. خصص لفرع الثقافة منها ٢٠٠ ألف ريال، وتشمل الجائزة عدة مجالات كالشعر الفصيح وتقتضي المشاركة في هذا المجال أن يكون هناك ثلاثة دواوين شعرية فأكثر لشاعر نشر إنتاجه، ومقدار الجائزة ٣٥ ألف ريال، والقصة القصيرة على أن يكون للكاتب ثلاث مجموعات قصصية فأكثر منشورة، وخصص للفائز بها مبلغ ٣٥ ألف ريال، والجائزة الثالثة للرواية والمسرح على أن يكون للكاتب رواية منشورة أو أكثر ومقدار الجائزة ٣٥ ألف ريال، أما الدراسات الإنشائية والعلمية فخصص لها جائزة تبلغ قيمتها ٣٥ ألف ريال على أن تكون في الأمراض المستوطنة في المنطقة الجنوبية، وأثر المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية في أنماط الأمراض في المنطقة الجنوبية.

أما المجال الخامس من مجالات فرع الثقافة فهو الفن

التشكيلي الذي تبلغ جائزته ٣٠ ألف ريال على أن يقدم الفنان ثلاث لوحات لا تقل مساحتها ٦٠×٦٠سم٢، أما الفرع السادس فخصص للتصوير الضوئي، وعلى المتقدم في هذا الفرع تقديم ثلاث صور لا يقل حجمها عن ٤٠×٤٠سم٢ وجائزته ٣٠ ألف ريال.

ندوة عن منهج ابن باز



الشيخ ابن باز

برعاية صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير افتتحت في كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد بن عبدالعزيز بأبها ندوة علمية عن منهج الشيخ ابن باز، رحمه الله، وذلك في الفترة من ١٨ ـ ٢٠ شعبان الماضي سنة ١٤٢١هـ. وقد شارك فيها جمع كبير من العلماء والمفكرين والمسؤولين.

ومن أهداف هذه الندوة: إسهام جامعة الملك خالد بوصفها إحدى المؤسسات التعليمية في إبراز جهود العلماء ودورهم في المحافظة على كيان الأمة وأصالتها ، وإبراز حياة الشيخ ابن باز المتسمة بالشمائل الطيبة التي كان لها الأثر الكبير في العمل للإسلام والدعوة إلى الله، والتعريف بأعماله المتنوعة، وبيان المنهج الصحيح في العمل الإسلامي والدعوة إلى الله.

وتضمنت الندوة ثلاثة محاور رئيسة. أولها عن حياة الشيخ ابن باز الشخصية والعلمية، ويتمثل في موضوعين هما: حياته الشخصية وشمائله وأثره في العمل للدعوة، وطريقه في العلم، ومنهجه في التعليم.

أما المحور الثاني، فجاء عن منهجه في العمل للإسلام من خلال الموضوعات الآتية: تنوع أعماله للإسلام وبذل الجهد والمال والجاه في ذلك، ومنهجه في التعامل مع ولاة الأمر والعاملين للإسلام وسعيه في توحيد جهودهم، ومنهجه في متابعة قضايا المسلمين العامة، وأثره في تخفيف معاناتهم.

بينما جاء المحور الثالث عن منهجه في الدعوة إلى الله، من خلال الموضوعات الآتية: تأصيل العمل الدعوي على منهج الكتاب والسنة وطريق السلف، والبعد عن التعصب المذهبي والطائفي وتعامله مع مناهج الدعوة في العالم، ومنهجه في دعوة العامة من طلاب العلم والعلماء والنصح لولاة الأمر.

مستقبل الثقافة العربية



عبدالعزيز التويجري

نيابة عن سمو ولي العهد افتتح الشيخ عبدالعزيز التويجري نائب رئيس الحرس الوطني المساعد فعاليات ندوة «مستقبل الثقافة في العالم العربي» التي بدأت في مقر مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في مدينة الرياض، واستمرت ثلاثة أيام ابتداء من يوم ٢٥ شعبان الماضي. وفي كلمة بهذه المناسبة طلب التويجري من علماء الأمة ومثقفيها مجادلة العالم الجديد بالحسنى والصبر والاحتمال والمثابرة.

ثم ألقى الأستاذ فيصل بن معمر وكيل الحرس الوطني للشؤون الثقافية والتعليمية والمشرف على مكتبة الملك عبدالعزيز كلمة عن دور المثقف في المجتمع، والأهداف التي تسعى إليها الندوة، وتركزت الندوة في ثلاثة محاور رئيسة، الأول عن واقع الثقافة في العالم العربي من خلال تحديد ثوابت الثقافة العربية وسياستها وخططها واستعراض دور المنظمات العربية الإسلامية وتطويرها، والوقوف على مستويات التنمية الثقافية في المجتمعات العربية، وتناول المحور الثاني آفاق مستقبل الثقافة العربية وطرح تصورات عن مستقبل التعليم والثقافة في الوطن العربي ومناقشة المسائل الفكرية المتعلقة بمستقبلها، وعُني المحور الثالث في الندوة بتقديم تصور عالمي مقارن للثقافة العربية من خلال رؤية الباحثين والمفكرين من مختلف أنحاء دول العالم للثقافة العربية في تفاعلاتها مع الثقافة العالمية المعاصرة والتجارب الثقافية الأخرى.

وجاءت جلسات الندوة تحت العناوين الآتية:

ـ «المثقف العربي والتطورات الثقافية»: شارك فيها الدكتور سعيد حارب المهيري، والدكتور مسعود ظاهر،

وتركي علي ربيعو، وأدارها محمد رضا نصر الله، و«آفاق إسلامية للثقافة العربية»، شارك فيها الدكتور محمد عمارة، والدكتور رضوان السيد، والدكتور عبدالرحمن الزنيدي، والدكتور أحمد الكبيسي، وأدارها الدكتور إبراهيم أبو عباة، و«الخطط الثقافية العربية»، حاضر فيها الدكتور محمد الميلي، والدكتور منصور الحازمي، والدكتور عبدالله أبو هيف، وترأسها الدكتور عبدالقادر طاش، و«مؤسسات المعلومات في الوطن العربي»، شارك فيها كل من الدكتور محمد صابر عرب، والدكتور عباس طاشكندي، والدكتور سعيد المليص، والدكتور سعد وهبة جبران، وأدارها الدكتور هشام عبدالله العباس، و«استعادة التراث وواقع الثقافة العربية» شارك فيها الدكتور أحمد الضبيب، والدكتور محمد خليفة حسن، والدكتور عبدالله سيد ولد أباه، وأدارها الدكتور يحيى محمود بن جنيد، و«التطورات الاقتصادية ومستقبل الثقافة»، شارك فيها الدكتور إحسان أبو حليقة، والدكتور سعيد المرطان، وأدارها الدكتور ماجد المنيف، و«الثقافة وتحديات العولمة»، شارك فيها الدكتور حسن الهويمل، والدكتور رشيد العناني، وأدارها عبدالرحمن العسيري، و«الثقافة العربية في منظور إسلامي وعالمي»، شارك فيها الدكتور أبو زيد المقري الإدريسي، والدكتور إسماعيل بن الحاج إبراهيم، والدكتور عبدالله العبيد، وأدارها الدكتور محمد الشوكاني، و«مستقبل البحث والتطور التقني في العالم العربي»، شارك فيها الدكتور توفيق أحمد القصير، والدكتور يوسف يعقوب السلطان، وأدارها الدكتور أحمد عبدالقادر المهندس، و«الثقافة وأنظمة الاتصال المعاصر» شارك فيها الدكتور عبدالله عبدالعزيز الموسى، والمهندس سعد البدنة، والدكتور عبداللطيف العوفي، وأدارها الدكتور عبدالرحمن الشبيلي، و«التراث والثقافة»، شارك فيها الدكتور إبراهيم غلوم، والدكتور عبدالله إبراهيم العسكر، والدكتور عبدالرحمن الأنصاري، وأدارها محمد العثيم، و«الفنون التشكيلية.. الواقع والطموحات»، شارك فيها الدكتور عبدالجبار اليحيا والأستاذ ضياء الدين خماس، والدكتور محمد الرصيص، والدكتور عبدالحليم رضوي، وترأسها فيصل السُمرة، و«الثقافة والإنسان في العالم العربي» شارك فيها الدكتور على أومليل، والدكتور سليمان العسكري، والدكتور سعد البازعي، والدكتور خالد الدخيل. وأدارها الدكتور أبو بكر باقادر.

استضافت الندوة عدداً من المثقفين العرب أمثال: د. هشام جعيط من تونس، والأستاذ سيف الرحبي من عمان، والأستاذ فهمي هويدي من مصر، و د.عون الشريف قاسم من السودان، و د. علي هود باعباد من اليمن. و د. واسيني الأعرج من الجزائر.

المؤثرات الثقافية العربية في بلاد ماوراء النهر


شاه رستم شاه

نظم مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، في إطار مشاركته في احتفالات اختيار الرياض عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م، محاضرة بعنوان «المؤثرات الثقافية في آسيا الوسطى» للدكتور شاه رستم شاه أستاذ اللغة الروسية بجامعة الملك سعود بالرياض، وأدار المحاضرة الدكتور صالح الخثلان أستاذ العلوم السياسية في جامعة الملك سعود.

تناول المحاضر التأثير العربي الإسلامي في بلاد ما وراء النهر منذ الفتح الإسلامي بقيادة عبدالله بن زياد الذي فتح فوكينج عام ٦٧٣م، وعبر نهر جيحون، وفتح بخارى، ودعا إلى اعتناق الإسلام عام ٦٧٦م، بعد ذلك عيّن سعيد بن عثمان والياً على بخارى، ثم عيّن مسلم بن زياد محله، ولم تستقر الأمور إلا بعد تولي قتيبة بن مسلم خراسان، وإخضاع جميع مناطق ما وراء النهر كاملة.

وأشار المحاضر إلى أن اعتناق السكان المحليين الإسلام في تلك البلاد بدأ بصعوبة إلا أن بعضهم تقبل الإسلام ولاسيما التجار الذين بدؤوا التخلي عن دينهم القديم (زرادشتيا)، وأوضح المحاضر أن ما ميّز جميع هذه المناطق أن الفتح الإسلامي لها كان في وقت واحد، وأن شعوبها اعتنقت الإسلام، وهي تتحدث التركية،

ولكن بلهجات مختلفة، إضافة إلى مجموعات من العرب مازالت تتحدث العربية حتى الآن، وإن دخلها بعض الألفاظ العجمية، وهذه المجموعة أثرت في ثقافة أبناء المناطق الموجودة فيها، وأشار إلى أنه بصدد دراسة عن العرب في بلاد ما وراء النهر، فجميع الدراسات عنهم قديمة ومنشورة قبل خمسين أو ستين سنة، وأن المعلومات والدراسات التي قام بها العلماء السوفييت في الحقبة الشيوعية إنما أريد بها طمس الهوية العربية لتلك الأقوام والافتراء عليها.

وأكد أن المؤثر الرئيس هو دخول الإسلام مما أدى إلى انتشار اللغة العربية نطقًا وكتابة، وقامت الحياة الروحية في تلك البلاد على المفاهيم الإسلامية، حتى أصبحت المعاملات الرسمية والوثائق باللغة العربية، وأصبحت اللغة العربية تستعمل في تفسير أحكام الدين الإسلامي، واستعملها الموظفون الرسميون، وكذلك الموظفون الذين يتكلمون باللغة الفارسية والخوارزمية والصغدية، وكتبت أحكام الشريعة والدين والفقه باللغة العربية، وكذلك الوثائق الرسمية، وأصبحت اللغة العربية لغة العلم والثقافة والأدب.

وعن تأثير الثقافة العربية في الحياة العلمية والأدبية قال: إن كثيرًا من المصطلحات الأدبية العربية دخلت في لغات شعوب بلاد ما وراء النهر، كما أن الشعر في بلاد ما وراء النهر قائم على الأوزان العربية التي وضعها الفراهيدي، وأثر الأدب العربي في الإبداع الشعبي لشعوب ما وراء النهر، وذلك بعد توطيد العلاقات الاجتماعية بين العرب وتلك الشعوب، وأدى الانتشار الواسع للقرآن الكريم وقراءة كتب الحديث والتفسير والفقه إلى انتشار القصص المحلية تقليدًا لسير الأنبياء، كقصة يوسف وزليخا.

وبعد انتهاء المحاضرة كانت هناك مداخلات كثيرة من حضور الندوة من الأدباء والمثقفين.

العرب بعد رحيل الجاسر

صدر مؤخرًا العدد الجديد من مجلة «العرب»، وهو العدد الأول بعد رحيل مؤسسها الشيخ حمد الجاسر، وقد ضم موضوعات متنوعة، منها: التصحيف والتحريف في أسماء المواضع لحمد الجاسر، و«حول كتاب رحلات حمد الجاسر» بقلم هلال بن ناجي، و«لكل صارم نبوة» للدكتور إبراهيم السامرائي، و«الفيء في النهج الاقتصادي الإسلامي» للدكتور حمدان الكبيسي، و«تحقيق التراث ونشره» للدكتور زهير بن زاهر، و«قانون نامه» لواء القطيف عام ٩٥٩هـ للدكتور فيصل الكندري وغيرها من الموضوعات.





حمد الجاسر

كما احتوى العدد على ثلاث صفحات شملت نعيًا لمؤسس المجلة الشيخ حمد الجاسر، ورسالة من ابنه معن بن حمد الجاسر توجه بها إلى قراء المجلة مؤكدًا أنها ستستمر في الصدور على النهج الذي رسمه لها مؤسسها، وستكون بين أيدي قرائها في مواعيدها.

عودة ناظم حكمت



ناظم حكمت

مرت أكثر من ٣٧ عامًا على وفاة الشاعر التركي ناظم حكمت في منفاه في موسكو عام ١٩٦٣م، وكانت الجنسية التركية قد أسقطت عنه عام ١٩٥١م.

ويحاول الآن حزب منشق عن الحزب الاشتراكي التركي إعادة اعتبار الشاعر الشهير، وقد أرسل الحزب طلب عفو وقعه أكثر من ٥٠٠ ألف تركي إلى رئيس الوزراء بولند أجاويد.

وطالبت الرسالة بإعادة الجنسية إلى الأديب الراحل، كما طالبت بدفن رفاته في تركيا تنفيذًا لطلبه قبل وفاته حين قال: «أريد أن أدفن تحت شجرة حور في قرية صغيرة من قرى الأناضول».

ويعدّ ناظم حكمت من مجددي الشعر في تركيا، ومن أكبر شعراء الحداثة التركية والقلم الذي خلص الشعر من قيود الشعر التقليدي العثماني الذي ساد قرونًا، وقد ترجمت أعماله لأكثر من ٥٠ لغة عالمية إلا أنها بقيت ممنوعة في بلده حتى وقت قريب.

يعتذر عن مقالاته الساخرة

اعتذر الكاتب الساخر الإيراني إبراهيم نبوي في المحكمة عن «التطرف غير المسؤول» وتعهد بأن ينأى بنفسه عن السياسة في المستقبل، وكان نبوي الذي جمعت أعمدته الصحفية اللاذعة في كتب حققت مبيعات ضخمة قد اتهم بأنه ينظم حملة دعائية ضد بلاده لإثارة الرأي العام.

واعترف بأن تعليقاته قد تكون سببت ألماً لآخرين، وطلب من المحكمة الرأفة في التعامل معه في أثناء النظر في تهم القذف الموجهة ضده.

وقد أشارت تعليقات نبوي في المحكمة ضحكات الحاضرين قائلاً: «أنا مسؤول بمفردي عن أعمالي.. لا أستمع لرؤساء التحرير؛ لأني أعتقد أني أعلم أكثر منهم.. وأفضل قضاء أعوام في السجن بدلاً من الكتابة بناء على طلب آخرين أو تعليماتهم، ولكني متأسف إذا تسببت كتاباتي الساخرة في أي ألم».

الإعلام وإنقاذ الفنون

فؤاد التكرلي

أعلن المركز الدولي لدراسة الممتلكات الثقافية وحفظها وترميمها التابع «لليونيسكو» عن إجراء الدورة الرابعة لمسابقة «الإعلام وإنقاذ الفنون» التي تقام مرة كل سنتين وهي مفتوحة أمام الصحافيين في أنحاء العالم، ويقدم المركز جائزتين قيمة كل منهما أربعة آلاف دولار، واحدة لأفضل مقالة صحفية والثانية لأفضل تقرير مسلسل عن الموضوع.

وقالت المنسقة للمسابقة مونيكا أردماغني لجريدة «الحياة» اللندنية: إن الهدف هو تشجيع الصحافة على القيام بدورها في حماية الإرث الثقافي للإنسانية، وذكرت أن مقالة القاص العراقي فؤاد التكرلي التي عنوانها «بغداد أمي ذات الوجه العذب» والتي نشرت في مجلة «الوسط» عن آثار بغداد حازت على إعجاب المحكمين في المسابقة الماضية، وكانت ضمن قائمة أفضل عشر مقالات.

وتقتصر المسابقة على المقالات والمسلسلات المنشورة في وسائل الإعلام العامة بين حزيران/يونيو ١٩٩٩م ونهاية أيار/ مايو ٢٠٠١م، ولا يمكن المشاركة في المسابقة بأكثر من خمس مواد للكاتب ذاته، وتعني كلمة «الإرث الثقافي» المتاحف ودور الأرشيف والمكتبات والنصب والمواقع التاريخية والأثرية، على أن يكون آخر موعد لوصول المساهمات في ٣٠ حزيران/ يونيو ٢٠٠١ إلى العنوان أدناه:

ICCROM - MEDIA SAVE ART
Attn. Monica Ardemagni
Via di San Michele, 13-00153 Rome, Italy
Tel. + 3906 585531/ 58553324
Fax: + 39 06 58553349
E- mail: ma @ iccrom. org
Web Site: www. iccrom. org

حارة الشحاذين


حنا مينه

عن دار الآداب ببيروت، صدرت رواية جديدة للروائي السوري حنا مينه بعنوان «حارة الشحاذين»، وهي الكتاب الرابع والثلاثون لمينه بعد عدة روايات ودراسات وتأملات في الفن الروائي.

وهذا مقطع من الرواية «لم أكن أتوقع أن يطلق سراحي، بهذا الشكل المفاجئ، مدير السجن المساعد رسمي مصطفى، ونحن ندعوه رسمي بك، كان متعاطفاً معي، دمه عربي مثل دمي، يكره فرنسا مثلما أكرهها. مثلما تكرهها اللاذقية، مثلما يكرهها شعبنا كله، لكنه كان في سلك الدرك، وكان هرانت بك قائداً عاماً للدرك، ولو كان وطنياً في الظاهر فإنه فرنسي في الواقع، يخضع لأمر المستشار بول جاردان ممثل المندوبية الفرنسية في اللاذقية».

وأشار مينه في ختام الرواية إلى أن الجزء الثاني منها سيكون بعنوان «صراع بين امرأتين».

طوقان للمصباحي

حصل الكاتب التونسي حسونة المصباحي الذي يقيم في ميونيخ منذ عام ١٩٨٦م على جائزة طوقان لعام ٢٠٠٠م، التي تمنحها مدينة ميونيخ الألمانية عاصمة

مقاطعة بافاريا لأفضل عمل أدبي وقيمتها ١٢ر٠٠٠ مارك ألماني، وذلك عن روايته «هلوسات ترشيش» الصادرة في ترجمة ألمانية تحت عنوان «العودة إلى ترشيش».

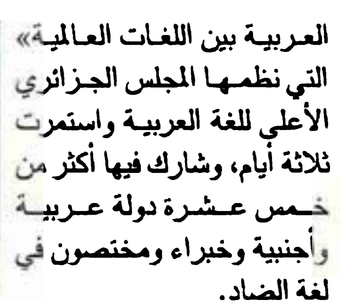
وقد رشح للجائزة أكثر من مئة كاتب، ومنهم كتّاب معروفون أمثال: ميخائيل كروجه الشاعر والروائي الحائز على عدة جوائز أدبية، والمسؤول عن سلسلة «الآداب العالمية» في «دار هانزر»، والكسندر كلوجه، وغيورج. أوزفالد، وهانس بليشنسكي، ومايك فيتزل، وبيرنهارد سانتزفاين.

وقالت اللجنة في تقريرها: «إن رواية العودة إلى ترشيش» هي رواية شخص بدوي الولادة تقوده طرق الحياة والتحصيل العلمي إلى الاغتراب، واستطاع الكاتب في المحافظة على مسافة بينه وبين مواضيعه، من الطفولة في مجتمع بدوي تقليدي حتى المرحلة التي يصبح فيها مثقفاً وكاتباً، كل ذلك بطريقة سهلة ومقنعة فنياً، فهو يعطي حيزاً للأحلام والأمنيات للواقع السياسي والاجتماعي، ويرسم صورة المثقفين العرب الذين لم يتمكنوا من الوصول بعد إلى الغرب مع أنهم يعيشون فيه، بينما العودة إلى بلدانهم أصبحت غريبة عنهم، وباتت مشكلة عسيرة لهم».

ذكر تقرير لجنة الجائزة عن الرواية: «يخوض حسونة المصباحي بطريقة سردية في عالم الحكايات القديمة عارضاً خلالها ذكريات وأنماطاً من حياة سكان الصحراء، ويعرض المواجهات والصراعات في العلاقات السياسية والاجتماعية في وطنه الأصلي، ويرسم صورة لشخص اختار البقاء في بلده، من خلال دفتر يوميات تركه صديق له عاش هناك في الفترة نفسها. فالمصباحي يفتح أمام القارئ آفاقاً تبدو معروفة. غير أن الرهان الحاسم هنا هو الطريقة السردية. إن مزجه بين عناصر القصص العربية التقليدية والغربية مكّنه من أن يحتل موقفاً بين الطيب صالح في روايته «موسم الهجرة إلى الشمال»، ورشيد بو جدرة في روايته الطليعية «توبوغرافيا» غير أنه يمتلك موقفاً خاصاً».

مكانة لغة الضاد

اختتمت مؤخراً الندوة الدولية حول «مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية» التي نظمها المجلس الجزائري الأعلى للغة العربية واستمرت ثلاثة أيام، وشارك فيها أكثر من خمس عشرة دولة عربية وأجنبية وخبراء ومختصون في لغة الضاد.

عبدالملك مرتاض

ويرأس المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر الدكتور عبدالملك مرتاض الذي يعد المحرك الأساسي لعملية تعميم اللغة العربية في الجزائر، من خلال تطوير المناهج والوسائل التربوية والمضي قدماً لاستكمال استخدام اللغة العربية في التعليم العالي للحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية، كما يقوم هذا المجلس بتعميم استخدام اللغة العربية في شتى المجالات بما فيها البحوث العلمية.

وتواجه اللغة العربية من بعض الأطراف في الجزائر محاربة لاستخدامها وانتشارها، بل تلجأ بعض المؤسسات إلى استخدام اللغة الفرنسية عمداً لتهميش اللغة العربية، وكذلك يعمد بعض المسؤولين إلى الحديث بالفرنسية.

وأثار هذا الاتجاه غضب المدافعين عن اللغة العربية الذين شنّوا هجوماً على ما أسموه «بالمتفرنسين»، ولاتزال مسألة استخدام اللغة العربية محور اهتمام الكتاب والغيورين على اللغة لكونها من المبادئ الأولية للدستور الجزائري.

اكتشاف سدّ أثري في الرياض

تمكن باحث الآثار السعودي محمد سعود الحمود مؤخراً من اكتشاف سدّ أثري يقع على وادي حنيفة في المنطقة الجنوبية في حي الشفا الواقع في جنوب مدينة الرياض.

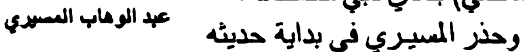
وقال الحمود لجريدة الشرق الأوسط: إن السد بني بتصميم إنشائي جيد يبرهن على الخبرة والإتقان في تنفيذ مثل هذه الأعمال، ويبلغ طول الجزء المتبقي منه ٦٠ متراً وعرضه ٥ أمتار، وبني من الحجارة المهذبة، وهناك قناة مكشوفة ومحفورة في الصخر، وتقع في الطرف الشمالي من السد، وقد عملت بطريقة تنم على

معرفة ودراية، إذ كان الغرض منها تنظيم مياه السيول الفائضة عن حاجة السد عبر قناة حفرت بعمق بعض ٣٠ر١ متر، وبعرض ٢٠ر١ متر، ويلاحظ أن القناة شديدة الانحناء تتسع بعرض مترين وكان الهدف من هذا الانحناء تخفيف تدفق مياه السيول.

وأشار الحمود إلى أن السد بني على نظام شائع للسدود القديمة في وادي حنيفة، ورجح أن يعود هذا السد إلى الفترة الإسلامية المبكرة، كما أن الوحدات المعمارية التي لم يبق منها إلا أسس الجدران قد تكون مساكن قديمة للأقوام التي استفادت من هذا السد.

وأوضح أن هذا السد يضاف إلى عدد من السدود التي يزخر بها وادي حنيفة والتي يعود تاريخها إلى أكثر من ألف سنة.

المسيري والصهيونية


عبد الوهاب المسيري

«كيف تعرف الصهيونية؟» عنوان المحاضرة التي ألقاها الدكتور عبدالوهاب المسيري أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة عين شمس، وذلك في مساء يوم الجمعة ٢١ شعبان (١٨ نوفمبر الماضي) بنادي دبي للصحافة.

وحذر المسيري في بداية حديثه من خطورة تعبئة الجماهير العربية ضد إسرائيل بدافع الكره؛ لأن ذلك قد يمتد إلى كره المسيحيين أو غيرهم بمجرد وجود رأي مختلف عما تعتقده الجماهير، قائلاً: إنه من الأفضل تعبئة الجماهير بالخطاب التفسيري لمواجهة العدو الإسرائيلي، عاداً أن خطاب المؤامرة كسول حيث يحتمل على تفسير الصهيونية بالعودة إلى التاريخ والتلمود كتاب اليهود. وأكد أن المقولة السائدة بأن اليهود يسيطرون على أمريكا هي مقولة خاطئة، وأضاف أن تأثير الصوت اليهودي في أمريكا مبالغ فيه، ودعا مؤيدي مقولة سيطرة اليهود على أمريكا بأن يقوموا بدراسة لمعرفة حجم رأس المال اليهودي قياساً برأس المال الأمريكي.

وقال: إنه أجرى دراسة لمعرفة الصوت اليهودي فتبين أن منحى التعاون بين أمريكا وإسرائيل في حالة تصاعد دائم. وأن منحى التأييد غير ثابت حيث يحصل بعض رؤساء أمريكا على ٢٠٪ من أصوات اليهود. وقال إن الاستمرار في الحديث عن الصوت اليهودي فيه مبالغة كبيرة.

وقال: إن الخطاب التآمري يحدد اليهود كأعداء ويهمل الولايات المتحدة. وأضاف أنه يتصور أن أمريكا وراء الخطاب التآمري، وأن الخطاب يولد في نفوس الجماهير العربية الرهبة، ومنه وصف اليهودي بأنه شيطان، والإنسان لا يستطيع قتاله، وهو قائم حتى يوم القيامة، كما يقول الخطاب بأن اليهود قتلة الأنبياء، ولكنهم لم يقتلوا الأنبياء، بل يقتلون كل من يقف في طريقهم.

وأضاف أنه من الضروري استعادة الثقة في النفس، وإدراك حجم العدو الحقيقي، ودعا إلى تكوين عقول جماهير متفتحة تقبل آراء الآخرين وتتعرفهم، وضرب مثلاً بذلك بكلمة الشعب اليهودي، مع أنه في الواقع لا يوجد شعب يهودي، وإنما تجمعات يهودية مشيرا إلى يهود أمريكا، ويهود إثيوبيا والفرق الشاسع بينهم.

ودعا المحاضر إلى البعد عن التعميم والصورة النمطية قائلاً: إن وصف اليهود بالجبناء ليس دقيقاً، فهم كالبشر يدفعهم الخوف أحياناً إلى الهروب، وفي حالات أخرى بأن يكونوا أكثر شراسة.

وأشار إلى أن الفلاشا ليسوا يهوداً، وإنما جماعات مسيحية تأثرت باليهودية، وأن الذين يطلق عليهم اليهود السوفييت ليسوا يهوداً، وتساءل هل ستفقد الدولة اليهودية يهوديتها؟ وقال: إن الخزان البشري الذي يمد الكيان بدأ يجف حيث لم يبق هنا يهود عرب يمكن توطينهم، والسوفييت على وشك الانتهاء، ويهود الغرب لا يرحلون.

يشار أن الدكتور المسيري يشغل منصب مستشار في معهد الفكر الإسلامي العالمي، وخبير مختص في الشؤون الإسرائيلية، وله عدد من المؤلفات، وأشهرها: موسوعته الشهيرة التي تحمل عنوان «اليهود واليهودية والصهيونية»، ومؤلفات أخرى عن الفكر الصهيوني.

رحيل حسن قزاز

توفي في مدينة جدة عصر السبت ٢٢ شعبان ١٤٢١هـ (١٨ نوفمبر/تشرين الثاني الماضي) الكاتب والصحفي السعودي حسن عبدالحي قزاز عن عمر يناهز ٨٣ عاماً.


حسن عبدالحي قزاز

ولد قزاز في مدينة مكة المكرمة - في حارة القشاشية - سنة ١٣٣٨هـ، وتخرج في مدرسة الفلاح بمكة المكرمة، وعمل في بداية حياته موظفاً بالشركة العربية للسيارات، وانتقل بعدها إلى العمل بوزارة المالية، وتحول بعد ذلك إلى العمل بالتجارة قبل أن يعمل بالصحافة محرراً رياضياً واجتماعياً، ثم مديراً لمكتب الاستعلامات والنشر بوزارة المالية والاقتصاد الوطني قبل إنشاء المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر «وزارة الإعلام الآن».

أصدر الأديب الراحل صحيفة «عرفات» الأسبوعية سنة ١٣٧٧ - ١٣٧٨هـ. ثم أصدر بعدها صحيفة «البلاد» اليومية من سنة ١٣٧٨ إلى ١٣٨٣هـ، حيث تم اندماج الصحف، وقرر بعد ذلك أن يعود إلى التجارة مرة أخرى فاختار مهنة مقاول، وأنشأ مصنعاً لصناعة الطوب الأحمر.

كما أصدر سنة ١٤٠٣هـ كتابه الأول في سلسلة «مشواري مع الكلمة» - جزءان - كما أصدر كتاباً آخر عن «الأمن الذي نعيشه» - جزءان - ثم «الإعلام في عهد الملك عبدالعزيز» وهو بحث مقدم إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٦هـ، ثم «أهل الحجاز بعبقهم التاريخي» وهو آخر كتبه وقد أصدره في سنة ١٤١٥هـ.

عرش بلقيس

«معبد برآن» وعرش بلقيس في مأرب

افتتح الدكتور عبدالكريم الأرياني رئيس مجلس الوزراء اليمني في الثامن عشر من شهر نوفمبر/تشرين الثاني الماضي معبد برآن التاريخي المعروف بعرش بلقيس بمحافظة مأرب اليمنية (١٧٠ كيلو متراً شرق صنعاء) خلال احتفال كبير حضره عدد من الوزراء والسفراء وقادة العمل الدبلوماسي بصنعاء إلى جانب الزوار والسيّاح والأجانب، ويعد عرش بلقيس أحد الصروح المعمارية الكبيرة التي تم تشييدها قبل نحو ثلاثة آلاف عام ليكون معبداً تمارس فيه الشعائر الدينية في مملكة سبأ.

وكان فريق مشترك من الآثاريين الألمان واليمنيين قد أكمل أعمال التنقيب والترميم في هذا المعبد في مدة دامت ١٢ عاماً، كما تجري الاستعدادات حالياً لإنشاء متحف يضم الآثار التي تعود إلى الفترة السبئية من تاريخ اليمن بتكلفة قُدرت بأكثر من ٨٠ مليون ريال يمني.

وتنبع الأهمية التاريخية لهذا المعبد - على الرغم من وجود عدد كبير من المعابد الأخرى - من أنه ظل متنسكاً يحج إليه الناس من كل أنحاء البلاد على مدى ألف وخمسمئة سنة، قبل ظهور الإسلام، ثم بدأ يفقد أهميته الدينية بدخول العصر المسيحي لتنتهي هذه الأهمية تماماً بنهاية القرن الرابع الميلادي.

ويتألف المعبد من وحدات معمارية مختلفة، أهمها منصة المعبد والفناء الأمامي وملحقاتهما مثل السور المبني من الطين، والمنشآت التابعة له، وكذلك قناة الري والبئر التي يصل عمقها إلى ١٨متراً. وعلى مدى ١٥٠٠ سنة تطورت العناصر المعمارية لتشكل في خاتمة المطاف متنسكاً كبيراً كانت نواته المعبد متمثلاً في أربع بنايات تراكمت الواحدة فوق الأخرى، ووجدت الثلاث الأولى تحت المنصة الكبرى لبناية المعبد الرابعة والأخيرة، وتشير الوحدات المعمارية والأعمدة بتيجانها المزخرفة المعززة للطابع المعماري للمعبد بكامله إلى دقة هندسية ومعمارية متناهية، جعلت هذه الأعمدة والمباني صامدة على الرغم من ارتفاعها الملحوظ (٢ر٨م) إبّان الهزات الأرضية والزلازل التي ضربت اليمن عدة مرات، كان أعنفها ماوقع عام ١٩٨٢م.

فوز السفاح الأعمى

أعلن في لندن في السابع من نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي عن فوز الكاتبة الكندية مارجريت أتوود

Margaret Atwood بجائزة بوكر ٢٠٠٠ عن روايتها «السفاح الأعمى» The Blind Assassin. وتعد جائزة بوكر أرفع جائزة أدبية تمنح في الجزر البريطانية، وتفوق شهرتها شهرة جوائز إقليمية أخرى مهمة، مثل جائزتي بوليتزر الأمريكية وجونكور الفرنسية، وقد صارت تمنح بانتظام منذ عام ١٩٦٩م، وهي مخصصة للروايات المكتوبة باللغة الإنجليزية والصادرة في العام نفسه داخل دول الكومونولث السابقة والحالية على السواء.


مارغريت أتوود

وقد جاء فوز أتوود ـ وهي أول كندية تفوز بهذه الجائزة ـ بعد أن تم اختيار روايتها بإجماع كل الناشرين و النقاد من بين ١٢٠ رواية كانت تتنافس للفوز بهذه الجائزة، وكانت مارجريت قد رشحت من قبل ثلاث مرات للفوز بهذه الجائزة ولم يحالفها الحظ بالفوز إلا في هذه المرة، وقد علق سيمون جنكنز الذي ترأس لجنة القضاة هذا العام بقوله: «لقد جربت أتوود دور الوصيفة ثلاث مرات قبل ذلك.. لكنها هذه المرة أصبحت العروس».

ولدت أتوود في أتاوا عام ١٩٣٩م وعاشت معظم حياتها بين أونتاريو وكيبيك، ومارست الكتابة منذ وقت مبكر من عمرها، وصدر لها كثير من الروايات منها: «الصعود إلى السطح»، و«وسيط السيدة» و«الحياة قبل الرجل»، و«حكاية الخادمة»، و«عين القط»، و«الياس جراس»، و«عروس السارق»، ومجموعة بعنوان «عظام ناضجة وجرائم بسيطة»، وأخيراً روايتها «السفّاح الأعمى» التي فازت بجائزة بوكر هذا العام.

وأعلنت الكاتبة عن عزمها التبرع بقيمة الجائزة التي تبلغ ٢١ ألف جنيه إسترليني لجمعية تعمل على إنقاذ الحيوانات المهددة بالانقراض.

الكشاف الوطني للدوريات السعودية

صدر عن مكتبة الملك فهد الوطنية مؤخراً الجزء السابع من «الكشاف الوطني للدوريات السعودية» الذي يتناول تحليلاً وفهرسة لـ (٣١٤١) من البحوث والمقالات المنشورة في ١٠٧ دوريات سعودية مودعة في المكتبة الوطنية، ويشمل هذا العمل الدوريات والمجلات التي صدرت خلال عام ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

ويستطيع الباحث الوصول إلى الأبحاث المنشورة من خلال مسارد رؤوس الموضوعات، أو أسماء المؤلفين الذين نشروا مقالاتهم في مجلات مختلفة خلال الفترة التي يتناولها الكشاف.

مؤتمر عام للإيسيسكو


القدس

اختتمت في الرباط في ٢٤ نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي فعاليات دورة المؤتمر العام السابعة للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، فقد صادق المؤتمر على خطة العمل للأعوام (٢٠٠١ إلى ٢٠٠٣م) إضافة إلى الخطة متوسطة المدى في الفترة من (٢٠٠١ إلى ٢٠٠٩م).

كما وافق المؤتمر أيضاً على فتح مكتب إقليمي للإيسيسكو في الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة، وآخر في طهران.

وأكد المؤتمر في بيان له أن القدس هي عاصمة دولة فلسطين المستقلة، ورفض أي محاولة لانتقاص السيادة الفلسطينية عليها. كما حيا المؤتمر انتفاضة الشعب الفلسطيني، ودعا إلى تعزيز تضامن الدول الأعضاء معها منددا بالاعتداءات الإسرائيلية، وانتهاكها للمقدسات الإسلامية، وتدميرها للمؤسسات التربوية والعلمية والثقافية في القدس.

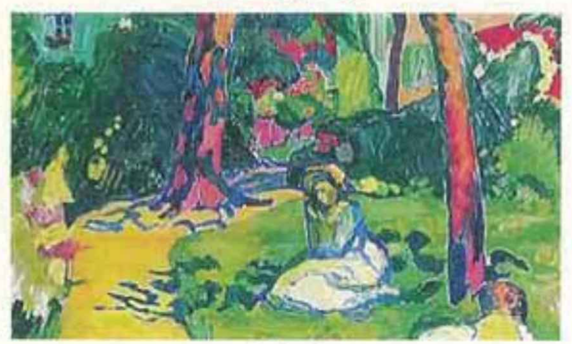
والجدير بالذكر أن ٤٥ وزيراً أو من يمثلهم قد حضروا جلسات هذا المؤتمر، وقد وافقوا بالإجماع على عقد الدورة الثامنة للمنظمة في طهران عام ٢٠٠٢م.

وكان المؤتمر العام قد انتخب المكتب الجديد للمجلس التنفيذي للإيسيسكو، ويتكون من دولة الإمارات العربية المتحدة رئيساً، وبوركينا فاسو وموريتانيا وماليزيا نواباً للرئيس وبنغلاديش مقرراً.

ألف عام من الإبداع

يقام حالياً بالمتحف القومي للفن المعاصر في كوريا الجنوبية بالعاصمة سيئول معرض تحت عنوان «ألف عام من الإبداع» يستمر حتى السابع عشر من فبراير/شباط القادم، ويلقي هذا المعرض الضوء على أروع الأعمال الفنية التي أفرزتها الحركات الفنية المتعاقبة على روسيا على مدى ألف عام، إذ تقدم فيه نخبة من الأعمال الفنية تصل إلى أكثر من ستمئة عمل فني تشمل كثيراً من المجالات الفنية كالرسم والنسيج والخزف والمشغولات الذهبية والفضية التي خصص لها المعرض جناحاً لعرض نماذج وقطع من الحلي وتطور صناعتها في روسيا على مدى ألف عام أيضاً.

أميات والتحديث



أحد أعماله

يقام حالياً وحتى السادس من فبراير/شباط المقبل بمتحف رات للفنون بمدينة جنيف السويسرية معرض بعنوان «أميات والتحديث»وهو يتناول الدور المتميز الذي أداه الرسام السويسري أميات (١٨٦٨ ـ ١٩٦١م) في تطوير حركة التحديث في الفن وتنفيذها، وتأسيس جماعة (بونت أفون) الفنية خلال النصف الأول من القرن العشرين.

ويشتمل المعرض على ما يقرب من مئتين وخمسين عملاً فنياً تبرز روح التحديث التي سعى أميات إلى بثها في أعماله الفنية مانحاً عنصري الضوء واللون بعداً جديداً للتعبير عن روح الانطلاق.

ويعطي هذا المعرض لمحة عن إبداعات هذا الرسام في كثير من المجالات الفنية التي تطرق إليها على مدى مشواره الفني الطويل.

نصف قرن على مصيدة الفئران



أجاثا كريستي

يتدافع كثيرون من رواد المسرح بحماسة شديدة لمشاهدة مسرحية «مصيدة الفئران» للكاتبة البريطانية أجاثا كريستي مع أن عرضها بدأ يوم ٢٥ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٥٢م، وهذه المسرحية في أصلها قصة قصيرة كتبتها أجاثا لهيئة الإذاعة البريطانية، ولم تكن تتخيل أن يستمر عرض هذه المسرحية أكثر من ٦ أشهر لذا تبرعت بدخلها لحفيدها مثيو بريتشارد في عيد ميلاده التاسع، والذي صار يقبض من ريع هذه المسرحية طوال هذه المدة.

واحتفلت المسرحية في السابع من الشهر الماضي بليلة العرض رقم ٢٠ ألف مع مأدبة غداء تكريماً للباقين على قيد الحياة من الفريق الأصلي الذي أدى أدوار المسرحية عندما كان ونستون تشرشل رئيساً لوزراء بريطانيا وجوزيف ستالين يحكم روسيا ودوايت أيزنهاور رئيساً للولايات المتحدة. وتصنف المسرحية الطويلة العمر في مرتبة واحدة مع برج لندن وكنيسة وستمنستر في إطار المزارات السياحية الخالدة في بريطانيا.

الثقافة وقوانين السوق

وسط حضور كثير من الشخصيات الموريتانية وممثلي المنظمات الدولية المهتمة بالشأن الثقافي، أعلن وزير الثقافة والتوجيه الإسلامي الموريتاني مؤخراً بدء الانطلاق الفعلي لمشروع صيانة التراث الموريتاني وتثمينه. وقد أعلن رئيس مشروع إحياء التراث الموريتاني أن عقبات كبيرة تواجه التراث الموريتاني منها: ضعف وعي الرأي العام بأهمية التراث، وهشاشة الآثار، وتحف التراث المبعثرة على مساحات شاسعة،

وقلة الإمكانات المتاحة لحفظ التراث وتجميعه، وأضاف أن «هذه العقبات تزيدها العولمة الجارفة حدة حيث يقف الكثيرون في وجه المسعى العالمي الجديد الرامي إلى توحيد الثقافات وصهرها في قالب واحد»، وأكد «أن الثقافة تظل المجال الأجدر بألا يسير بقوانين السوق».

٥٥ مليون دولار لامرأة مكتوفة

عادت لوحات الفنان الشهير بابلو بيكاسو مرة أخرى لتحطيم الأرقام القياسية في أسعار بيع اللوحات الفنية، فقد بلغ سعر لوحته «امرأة مكتوفة الذراعين» التي بيعت في مزاد أقيم في صالة كريستي للمزادات في نيويورك، ٥٥٫٦ مليون دولار. وكانت إحدى لوحات بيكاسو، التي بيعت في مزاد في باريس في نوفمبر عام ١٩٨٩م بسعر ٥١٫٥ مليون دولار تقريباً صاحبة الرقم القياسي في أسعار اللوحات مدة إحدى عشرة سنة كاملة، ثم تجيء لوحة أخرى لبيكاسو لتحطم ذلك الرقم.

امرأة مكتوفة الذراعين

الجدير بالذكر أن الخبراء كانوا يقدرون أن تباع هذه اللوحة، وهي بورتريه لامرأة معقودة الذراعين، بنحو ٢٥ مليون دولار.

ممنوع دخول الصينيين

أثارت مسرحية عرضت مؤخراً في باريس بعنوان «ممنوع دخول الصينيين والكلاب» أزمة بين باريس وبكين، فقد احتجت الحكومة الصينية لدى الحكومة الفرنسية طالبة منها إنهاء هذه الإهانة للشعب الصيني.

وقال متحدث باسم وزارة الخارجية الصينية في تصريحات نشرتها صحيفة «شبيبة بكين» أن عنوان المسرحية «يسيء إلى مشاعر الصينيين في الصين والخارج ونحن لا يمكن أن نقبل ذلك»، وأضاف أن الحكومة الصينية «بدأت بالطرائق الدبلوماسية مساعيها لدى المعنيين وطالبت فرنسا بأن تصحح فوراً هذا الأمر»، وتابع أن المسرحية التي أخرجها وأدى دور البطولة فيها بيار لوفيفر اختارت عنواناً مهيناً يذكر بالحقبة الاستعمارية، وكان هذا العنوان مستعاراً من لافتة شهيرة كانت على مدخل حديقة شانغهاي العامة أيام الامتيازات الاستعمارية في الأربعينيات.

رحيل الرويثي

محمد أحمد الرويثي

توفي في الرياض في ٢١ شعبان الماضي الدكتور محمد أحمد الرويثي، ودفن في المدينة المنورة مسقط رأسه.

وعلى الرغم من صراعه الطويل مع المرض على مدى ستة عشر عاماً، فإنه ترك آثاراً علمية قيمة تمثلت في ١٧ مؤلفاً بعضها بمفرده، وبعضها الآخر بالاشتراك مع بعض زملائه من الباحثين والمؤلفين الجغرافيين.

وولد الراحل في المدينة المنورة سنة ١٣٦٤هـ (نحو ١٩٤٥م)، ونال بكالوريوس الجغرافيا من كلية التربية بجامعة الملك عبدالعزيز في مكة المكرمة في سنة ١٣٨٦هـ، ثم الماجستير من قسم الجغرافيا بكلية الآداب، جامعة القاهرة في سنة ١٣٩٨هـ، ومن القسم نفسه، نال الدكتوراه في سنة ١٤٠١هـ، وكان موضوع رسالته «الموانئ السعودية على البحر الأحمر: دراسة في الجغرافية الاقتصادية».

و عقب تخرجه في الجامعة عمل معلماً بالمدينة المنورة في المرحلتين المتوسطة والثانوية، وبعد نيل الدكتوراه عمل أستاذاً مساعداً بقسم الجغرافيا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم أستاذاً مشاركاً، وظل يعمل بها حتى ١٤٠٩هـ، ثم انتقل إلى قسم العلوم الاجتماعية بكلية التربية في جامعة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، ورقي إلى درجة أستاذ في ١٢ شعبان ١٤١٧هـ.

وأسهم الرويثي في تدريس مجموعة من المقررات الجغرافية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ومنها: جغرافية المملكة العربية السعودية، والجغرافيا الاقتصادية، وجغرافية الموانئ، وجغرافية الخليج العربي،

وجغرافية السكان، والجغرافيا السياسية، وجغرافية النقل والمواصلات، وجغرافية المدن.

وقد عمل رئيساً لتحرير مجلة العقيق الصادرة عن النادي الأدبي بالمدينة المنورة منذ سنة ١٤١٢هـ، وعضواً بهيئة تحرير مجلة جامعة الملك عبدالعزيز للعلوم التربوية الصادرة عن كلية التربية بالمدينة المنورة بين سنتي (١٤١٢ و ١٤١٦هـ)، بالإضافة إلى عمله عضواً بمجلس جامعة الملك عبدالعزيز بين سنتي (١٤١٤ و ١٤١٦هـ)، وعضواً بهيئة تحرير مجلة «عالم الكتب» الصادرة عن دار ثقيف في الرياض.

ومن مؤلفاته: «الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية»، و«جوانب من الشخصية الجغرافية للمدينة المنورة»، و«المدينة المنورة: البيئة والإنسان»، و«الوجه: دراسة في جغرافية السياحة، والموانئ السعودية على البحر الأحمر».

وله نحو عشرة بحوث محكمة منشورة في الدوريات العلمية، إلى جانب بحوث أخرى قدمها في الندوات والمؤتمرات العلمية. وقد أشرف على عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه.

ونال الرويثي عدداً من الجوائز، أهمها جائزة السيد أمين مدني لبحوث الجزيرة العربية في سنة ١٤١٦هـ سلّمها له صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة إبان توليه إمارة المدينة المنورة. وحصل الرويثي أيضاً على جائزة نادي المدينة المنورة للمبدعين في سنة ١٤٢١هـ، سلّمها له صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة.

الأثاريون يكرمون الباشا

كرمت جمعية الأثاريين العرب المنبثقة عن اتحاد الجامعات العربية الدكتور حسن الباشا ومنحته درع الجمعية تقديراً لجهوده العلمية في خدمة حضارة الوطن العربي وآثاره، إذ أسس أكبر مدرسة تخرج فيها كثير من الأثريين الذين قادوا العمل الأثري في بلادهم، وقد سلمت إدارة الجمعية الدرع للباشا في احتفال خاص خلال المؤتمر العلمي الثاني الذي ختم أعماله في ١٤ نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي بحضور نخبة كبيرة من علماء الآثار في الوطن العربي منهم: الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري الأستاذ بجامعة الملك سعود، والدكتور خلف الطراونة من الأردن، والدكتور عبدالعزيز محمود الأعرج من الجزائر، والدكتور عبدالرحمن جاد الله من اليمن، والدكتور محمد الباجي بن مامي من تونس، وغيرهم.

والمعروف أن الدكتور حسن الباشا الأستاذ بكلية الآثار في جامعة القاهرة ومؤسس قسم الآثار بها، قدّم للمكتبة العربية عدداً من المؤلفات بلغت أكثر من خمسمئة بحث وكتاب في مختلف مجالات الفنون الأثرية والحضارية، كان آخرها تلك الموسوعة الضخمة التي جمع فيها خيرة بحوثه التي أنجزها على مدى خمسين عاماً قضاها في البحث والتحصيل.

الأعمال الكاملة لفؤاد سليمان



غلاف «درب القمر»

عن الشركة العالمية للكتاب في بيروت صدرت مؤخراً الأعمال الكاملة المنشورة وغير المنشورة للكاتب اللبناني الراحل فؤاد سليمان (١٩١٢ - ١٩٥١م) الذي يعد من وجوه الفكر والثقافة المعروفين في لبنان. وقد تضمنت هذه الأعمال، التي جاءت في تسعة مجلدات، «درب القمر»، و«تموزيات»، و«القناديل الحمراء»، و«يا أمتي إلى أين؟»، و«كلمات لاذعة»، و«أغاني تموز»، و«في رحاب النقد»، و«يوميات ورسائل»، و«فؤاد سليمان... بأقلامهم».

الجدير بالذكر أن فؤاد سليمان لم يعمر كثيراً فقد مات وهو لا يزال شاباً، إذ لم يتجاوز عمره التاسعة والثلاثين، ومع ذلك كان له إسهام كبير في مجال الفكر والثقافة.

بيع «مفتاح المستقبل»

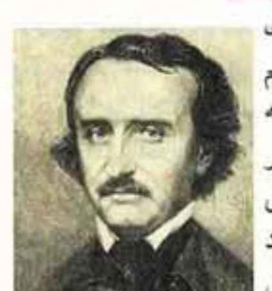
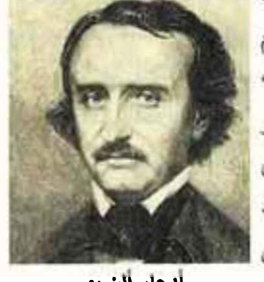
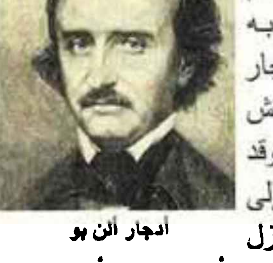
تقول بعض الروايات: إن المحامي اللبناني المعروف فارس الزغبي اتفق على بيع مكتبته الشهيرة التي تحتوي على ٥٠ ألف كتاب، ويبلغ عمرها ٥٠ سنة إلى إحدى الشخصيات الشهيرة في إحدى دول الخليج.

وكان فارس الزغبي قد عرف بحبه للكتب، ويعدها «مفتاح المستقبل»، وكان ينوي تأسيس مؤسسة فارس الزغبي الثقافية لتحويل ثروته إلى مكتبة عامة تستفيد

منها الأجيال عامة وأهالي قرنة شهوان خاصة، حيث يعيش .

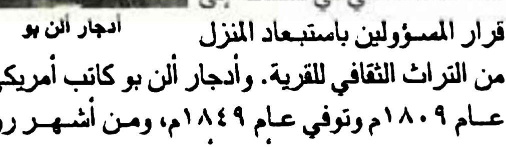
ولا أحد يعلم حتى الآن إن كان الزغبي ينوي فعلاً بيع مكتبته، التي احتفلت هذا العام بيوبيلها الذهبي، أم إنها مجرد إشاعة.

هدم منزل بو

أدجار ألن بو

وافق قاضي محكمة نيويورك روبير ليبرمان مؤخراً على هدم المنزل الذي كان يقطن به الكاتب الأمريكي الشهير أدجار ألن بو في قرية جريفتش بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد استند القاضي في حكمه إلى قرار المسؤولين باستبعاد المنزل من التراث الثقافي للقرية. وأدجار ألن بو كاتب أمريكي ولد عام ١٨٠٩م وتوفي عام ١٨٤٩م، ومن أشهر رواياته «قصص غريبة»، ومن أشهر أعماله الشعرية «الغراب».

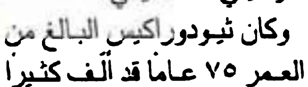


جائزة أوناسيس لثيودوراكيس

فاز الموسيقار اليوناني الشهير ميكيس ثيودوراكيس بجائزة «أوناسيس» للتعاون الدولي لهذا العام تقديراً لمشواره الطويل في مجال التأليف الموسيقي الكلاسيكي.

ثيودوراكيس

وكان ثيودوراكيس البالغ من العمر ٧٥ عاماً قد ألف كثيراً من المقطوعات السيمفونية والأعمال الأوبرالية الكلاسيكية الشهيرة، إلى جانب وضعه للموسيقى التصويرية المتميزة للعمل السينمائي الشهير «زوربا اليوناني» الذي قام ببطولته النجم المعروف أنتوني كوين.



براءة ابن ماجد

شهدت مدينة الشارقة في الثامن من نوفمبر/تشرين الثاني الماضي افتتاح الدورة التاسعة عشرة لمعرض الكتاب الدولي بمشاركة أكثر من ٦٠٠ دار نشر من ٢٩ دولة من بينها ١٩ دولة عربية.

الشيخ سلطان القاسمي

وبعد الافتتاح وقّع الشيخ سلطان القاسمي على النسخة الأولى من كتابه «بيان للمؤرخين الأماجد في براءة ابن ماجد»، وهو كتاب - كما أوضح الشيخ سلطان - يتناول «مخطوطاً يثبت براءة الملاح أحمد بن ماجد ويصحح مغالطة تاريخية كبرى»، ويشكل «دراسة علمية موثقة من خلال مخطوطة ليوميات الرحلة الأولى لفاسكو داغاما إلى الهند بين عامي ١٤٩٧ و ١٤٩٩م وموجودة في المكتبة العامة في مدينة أوبورتو البرتغالية».

وأوضح الشيخ سلطان أن «القصد من تحقيق هذه المخطوطة هو دحض اتهامات وافتراءات على البحار العربي أحمد بن ماجد الذي ترك لنا كنوزاً من العلم الجغرافي والأدبي».

اتحاد المؤرخين العرب ومعجم المصطلحات

عقد اتحاد المؤرخين العرب بمقره في القاهرة مؤخراً ندوته العلمية السنوية الخامسة التي جاءت تحت عنوان «طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ»، وقد تزامن اجتماع هذا العام مع مرور عشر سنوات على تأسيس الاتحاد.

قدم المشاركون في هذه الندوة ٤٠ بحثاً تمت مناقشتها في ثماني جلسات تناولوا فيها موضوع الطرق والتجارة في العالم العربي في مختلف الحقب التاريخية، فتحدث عبدالمنعم الجميعي عن «أثر معركة ديو البحرية ٩١٤هـ/١٥٠٩م في حركة التجارة العربية»، وتناول علي منصور نصر «مكانة الخليج العربي التجارية في العصر العباسي»، بينما تحدث محمد بهجت قبيسي عن «الطريق العربي التجاري جنوب تركيا وشمال سورية في القرن الثاني الميلادي»، وناقش غيثان بن جريس «ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة».

دار بحث عائشة التهامي حول «جرة فخارية تثبت مواثيق تجارية بين مصر وبلاد الصين»، وألقت سحر عبدالعزيز الضوء على «بعض المراكز التجارية في المغربين الأوسط والأقصى في القرن الثالث الهجري»،

وغير ذلك من الموضوعات التي تتعلق بأمر الطرق والتجارة.

وقد دار نقاش حول معاني بعض المصطلحات التي وردت في بحوث الندوة وتعددت الآراء حول معانيها، فمثلاً مصطلح «القراصنة» التي ورد في بحث الباحثة نجلاء عبدالنبي وصفاً للمسلمين الذين يعترضون السفن الأوربية، أصر بعض المشاركين أن يستبدل هذا الوصف «القراصنة» بوصف آخر هو «المجاهدون»؛ لأن المسلمين لم يكونوا يعترضون سفن الأوربيين من أجل السرقة والنهب، ومثال آخر: مصطلح «الكارمية» الذي ورد في بعض البحوث بوصفه يشمل التجار المسلمين واليهود على السواء. أشار الباحث حسين ربيع إلى أن هذا المصطلح «الكارمية» يطلق على مجموعة من التجار المسلمين كان لهم دور بارز في النشاط التجاري في منطقة الشرق الأدنى في العصور الوسطى، وكانت لهم مراكز في عدن وعيذاب وجدة والقاهرة والإسكندرية، وقد أثبت ربيع من خلال وثائق «الجنيزة» أن التجار اليهود كانوا يخرجون في صحبة «الكارمية» إلا أنهم ليسوا منهم.

وفي ختام اجتماعهم دعا المشاركون إلى وضع معجم يوحد المصطلحات التاريخية على مستوى العالم العربي تحاشياً لهذه الخلافات، وأعاد الاجتماع انتخاب سعيد عاشور رئيساً للاتحاد، كما تقرر أن يكون موضوع ندوة العام القادم «المراكز الثقافية والعلمية في الوطن العربي عبر العصور».

وسمية



غلاف الكتاب

صدر حديثاً عن مطابع الفرزدق بالرياض، ضمن مجموعة قصصية للأطفال، كتاب «وسمية» من تأليف أميمة الخميس وريشة هلا بنت خالد، و«وسمية» غيمة تمطر في وقت الموسم الذي يمتد (٥٣) يوماً ما بين ١٦ أكتوبر/ تشرين الأول إلى ٧ ديسمبر/ كانون الثاني، حسب التقويم الزراعي الشعبي في منطقة نجد. تتبعت الكاتبة أميمة الخميس والرسامة هلا بنت خالد بن فهد هذه الغيمة «وسمية» بالقلم والريشة في حوارها مع الشمس والقمر والنجمة ورفضهم لصداقتها حتى انخراطها في البكاء لتنهمر دموعها فتصل إلى الأرض وتسقي النباتات الصغيرة العطشى، فتصير هذه النباتات الصغيرة أصدقاء لها. وقد جاء الحوار منسجماً مع الرسومات ومعبراً بطريقة تجذب انتباه الصغار وتتناسب مع فهمهم.

الرجولة الخيالية


عبده خال

ضم كتاب صدر مؤخراً باللغة الإنجليزية تحت عنوان «الرجولة الخيالية ثقافة وهوية الرجل في الشرق الأوسط» من تأليف مي غصوب وإيما سنكلير، فصلاً مترجماً إلى اللغة الإنجليزية من رواية الكاتب عبده خال «مدن تأكل العشب»، وهو الفصل المتعلق بالختان في المنطقة الجنوبية.

الجدير بالذكر أن هذه ليست المرة الأولى التي يترجم فيها إلى الإنجليزية للكاتب عبده خال، فقد سبق أن ترجم له عدد من القصص منها: «رشيد الحيدري»، و«ماذا قال القميري؟».

الأرقام العربية: القضية والحل

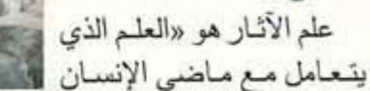
تحت رعاية كل من الدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية، والدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالي والبحث العلمي المصري - رئيس اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة، والدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، أقيمت في ١٨ شعبان ١٤٢١هـ الموافق ١٤ نوفمبر/تشرين الثاني الماضي ندوة بعنوان «الأرقام العربية: القضية والحل» بمقر جامعة الدول العربية بميدان التحرير بالقاهرة، قدم فيها عدد من البحوث، حيث قدم الدكتور عبدالفتاح محمد حبيب بحثاً «هل الأرقام المستعملة في مصر وبلاد المشرق العربي غير عربية؟»، وقدم الأستاذ هزاع عيد الشمري بحثاً بعنوان «الأرقام العربية أصل من أصول الخط العربي»، وتناول الدكتور عبد العزيز عوض الله موضوع «الأرقام العربية لدى الأتراك في النصف الأول من القرن العشرين»، بينما تحدث الدكتوران محمد يونس الحملاوي ومحمد يسري النحاس عن «مدخل علمي لتحديد الهوية والكفاءة».



مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية/ فهرس المخطوطات العربية المصورة.. عمان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٤٩١ص (سلسلة فهارس المخطوطات العربية المصورة، ٤)

هذا هو الجزء الرابع من فهرس المخطوطات العربية المصورة المحفوظة في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية شمل (٨٣١) مخطوطاً في مختلف حقول المعرفة. وقد تم الإدخال الرئيس في الفهرس باسم المؤلف حيث اندرج تحت هذا الاسم جميع عناوين المؤلفات العائدة للمؤلف، ثم يليه إدخال فرعي بعنوان المخطوط، ثم الوصف المادي للمخطوط على حسب قواعد فهرسة المخطوطات.

أُلحق بالفهرس ثلاثة كشافات، الأول للعناوين، والثاني للمؤلفين، والثالث للمواضيع، وقد رُتب جميعها هجائياً.



دانيال، غلين/ موجز تاريخ علم الآثار، ترجمة: عباس سيد أحمد محمد علي.. الرياض: دار الفيصل الثقافية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٣٤٨ص.

علم الآثار هو «العلم الذي يتعامل مع ماضي الإنسان بهدف اكتشاف تاريخه، وصياغة تسلسل الأحداث التي شهدتها حقب ما قبل التاريخ والحقب التاريخية المبكرة» كما جاء تعريفه في دائرة المعارف الأمريكية، ومهمة كتابة تاريخ علم الآثار قضية شاقة وتحتاج إلى شخص موسوعي الثقافة، وقد تصدى لهذه المهمة الدكتور غ. دانيال G. Daniel (١٩١٤ - ١٩٨٧٦م) الأستاذ السابق لكرسي الآثار بجامعة كمبردج الذي يقول المترجم عنه إنه «جعل من نشر المعرفة الآثارية وسيلة وهدفاً، ليس من أجل بقاء علم الآثار واستمراريته فحسب؛ وإنما من أجل تحقيق الأهداف السامية التي يرمي إليها العلم على مستوى الدراسات النظرية والتطبيقية، ومن أجل المساهمات التي يقدمها للمسيرة الإنسانية بوصفها خلاصة لتجربة الإنسان في ماضيه وتفحص رؤياه المستقبلية».

اشتمل الكتاب على مقدمتين (للمترجم والمؤلف) وستة فصول، قدّم المؤلف في الفصول الخمسة الأولى عرضاً موجزاً ومختاراً وفق تسلسل زمني لتاريخ علم الآثار منذ عام ١٧٩٧م حتى نهاية الربع الثالث من القرن العشرين، وختم بالفصل السادس الذي استعرض فيه المحاور الرئيسة في تاريخ علم الآثار، شملت عشرين محوراً بدأت بـ «ميلاد علم الآثار» وانتهت بـ «أخلاقيات علم الآثار».



البعلي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل بن بركات الحنبلي/ المثلث ذو المعنى الواحد، تحقيق: عبدالكريم عوفي.. الكويت: مركز المخطوطات والتراث والوثائق؛ ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ١٨٢ص (منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق٦٧).

يتناول هذا الكتاب الألفاظ المثلثة المتفقة في المعنى، وموضوعه يدخل في دائرة المعاجم، وله أهمية كبرى في الحقل الدلالي، كما أنه أول كتاب يفرد للمثلث المتفق المعنى، وقد تميز بوحدة موضوعه؛ إذ جُمع فيه أزيد من ثلاثمئة كلمة مما ينطق بثلاث حركات «الفتحة والضمة والكسرة» وكلها بمعنى واحد، جمعها المؤلف من كتاب شيخه ابن مالك، ثم استدرك عليه مادة غزيرة، جمعها من كتب غيره وضمها إلى هذا الكتاب.

قسّم المحقق هذا الكتاب قسمين اشتمل القسم الأول على دراسة جاءت في مقدمة وأربعة فصول، خصص الفصل الأول لحياة المؤلف وآثاره، وتناول في الثاني

ظاهرة المثلثات في التراث العربي، وفي الفصل الثالث دراسة عن الكتاب من حيث منهجه وطريقة عرض المؤلف للمادة، وجعل الفصل الرابع للحديث عن منهج التحقيق ووصف المخطوطة المعتمدة.

أما القسم الثاني فقد أورد فيه المؤلف النص المحقق، وألحق به عدداً من الفهارس الفنية للكتاب، ومسرداً لمصادر التحقيق والدراسة ومراجعهما، ومسرداً آخر لموضوعات الكتاب.



خان، أحمد/ فهرس المخطوطات العربية الإسلامية في باكستان.. الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، مج١ (٥١٦ص).

قامت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، ضمن مساعيها لحفظ التراث الإسلامي المخطوط من الضياع وتيسير نشره والتعريف به، بنشر هذا الفهرس الذي قام بإعداده الدكتور أحمد خان مدير مركز حماية المخطوطات العربية في إسلام آباد بباكستان، والذي يضم بين دفتيه أربعمئة مخطوطة انتقاها المفهرس من مكتبات حكومية بإسلام آباد، ومن خزائن شخصية في مقاطعة البنجاب، ورتبها ترتيباً هجائياً حسب عناوينها، وفهرسها على حسب القواعد العامة في فهرسة المخطوطات العربية.

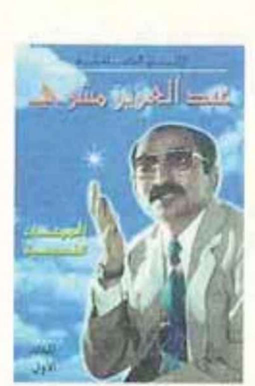
شملت مخطوطات الجزء الأول من هذا الفهرس علوم القرآن، والدين، والأدب، واللغة، والتراجم، والرياضيات، والحكمة، والسيرة، والشعر، والطب، والفلاحة، والفلسفة، والفلك، وعلم الكلام، والكيمياء، والمعاجم، ومقارنة الأديان، والمنطق، والنبات، واحتوت المجموعة المفهرسة على مخطوطات قيمة ونادرة مثل مؤلفات عبدالعزيز بن أحمد الفريهاروي، ورسائل ابن العربي، وشرح مسائل السائرين للشيرازي وغيرها، وقد أورد صوراً لبعض أوراق هذه المخطوطات في آخر الفهرس.

نيازي، عبدالمجيد بن طاش بن محمد/ مصطلحات ومفاهيم إنجليزية في الخدمة الاجتماعية.. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٢٦٤ص.

هدف المؤلف من وضع هذا المعجم مساعدة الطلاب والمهتمين بهذه المهنة الإنسانية (الخدمة الاجتماعية)، فقد لاحظ خلال تدريسه لهذه المادة نقصاً في المراجع العلمية الحديثة المتخصصة في مجال الخدمة الاجتماعية، وقصوراً في فهم كثير من المصطلحات والمفاهيم المرتبطة بهذه المهنة.

وبما أن هذه المهنة قد نشأت في الغرب فإن كثيراً من المصطلحات التي تستخدم تعتمد في شرحها وتوضيحها على المراجع الأجنبية ولاسيما الإنجليزية، لذا كان لابد من ولوج باب الترجمة وتعريب العلوم ليجيء هذا القاموس لخدمة البحث والباحثين.

اعتمد المؤلف في شرحه لهذه المصطلحات والمفاهيم اعتماداً كبيراً على «قاموس الخدمة الاجتماعية» الصادر عن الاتحاد الدولي للاختصاصيين الاجتماعيين عام ١٩٩١م.



مشري، عبدالعزيز/ الآثار الكاملة لعبدالعزيز مشري: المجموعات القصصية.. الخبر: أصدقاء الإبداع، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، مج١(٦٣٩ص).

هذا هو المجلد الأول من الآثار الكاملة للكاتب السعودي الراحل عبدالعزيز مشري قام بإصداره أصدقاؤه «أصدقاء الإبداع» مساهمة في تكريمه، وهي المرة الثانية التي يقوم فيها «أصدقاء الإبداع» بتكريمه، فقد سبق لهم أن كرموه في حياته حين قاموا بطباعة كتاب «ابن السروي وذاكرة القرى» الذي تزامن صدوره مع مناسبة تكريم الراحل من جمعية الثقافة والفنون بالباحة عام ١٩٩٩م.

جاء المجلد في ٦٣٩صفحة، وهو خاص بمجموعاته القصصية كجزء من مشروع أعماله الكاملة المخطوطة والمنشورة، وقد شملت القصص الواردة فيه ٦ مجموعات تضم كل مجموعة عدداً من القصص القصيرة، والمجموعات هي: «موت على الماء»، و«أسفار السروي»، و«بوح السنابل»، و«الزهور تبحث عن آنية»، و«أحوال الديار»، و«جاردينيا تتثاءب في النافذة».

بدأ المجلد بسيرة ذاتية مختصرة عن الأديب الراحل، ثم تعرض صديقه الشاعر علي الدميني في «ما يشبه المقدمة» لحياة المشري ومشواره الأدبي واصفاً إياه بأنه «كان مفتوناً ـ في حياته اليومية مثلما في حياته الإبداعية ـ بالانتباه الحميم إلى جمالية المفارقة الكامنة في حياة البسطاء. وفي نسيج حكاياتهم اليومية والعفوية المغمورة بعتمة الهامش. ولذلك استطاع الإمساك بالحزن القابع خلف الحكاية، وأعاد رسمها بعيون تجيد غسل الألم بالكلمات ودعابة المفارقة، وانشغل بعملية إدماجها في نظام نصي مكتوب يهيؤها للتفاعل مع سياق متن الثقافة المكتوبة».

السدحان، عبدالله بن ناصر بن عبدالله/ العقوق: دراسة اجتماعية ميدانية على المسنين المقيمين في دور الرعاية.ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢١هـ، ١٧٣ص.

تزايد الاهتمام في الآونة الأخيرة بالمسنين وبذل كثير من الجهود لخدمتهم، وتم تخصيص عام ١٩٩٩م سنة دولية للمسنين بدعوة من الجمعية العامة للأمم المتحدة لتركيز الجهد من أجل بحث قضاياهم ومشكلاتهم لمعالجتها.

تحاول هذه الدراسة أن تجيب عن سؤال مهم: ما أسباب دخول المسنين والمسنات دور الرعاية الاجتماعية؟ إضافة إلى محاولة استقصاء الخصائص الاجتماعية والمهنية والاقتصادية والتعليمية لهم، ثم تعرّف علاقة هؤلاء المسنين والمسنات بذويهم خارج الدور.

تناول المؤلف ذلك في ثلاثة فصول، جاء الفصل الأول عن «تعريف المصطلحات» و«التغيرات التي يمر بها كبير السن»، و«موقف الإسلام من هذه التغيرات»، وتناول في الثاني «رعاية المسنين في الإسلام»، وخصص الثالث لـ «دراسة عن المسنين المقيمين بدور الرعاية الاجتماعية في المملكة العربية السعودية».

ثم أورد المؤلف أبرز النتائج التي انتهت إليها الدراسة، وازنها بنتائج الدراسات السابقة في هذا المجال.

وختم الكتاب بإيراد فتوى عن حكم تخلّي الولد عن رعاية والديه أو أحدهما المنشورة في مجلة البحوث الفقهية المعاصرة.



ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي/ مجموعة رسائل ابن الجوزي في الخطب والمواعظ والحكايات والفوائد العامة، تحقيق: هلال بن ناجي، ووليد بن أحمد الحسين.ـ بريطانيا: الحكمة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٢٧٠ص (سلسلة إصدارات الحكمة؛ ٥).

بدأ الكتاب بنبذة مختصرة من حياة المصنف شملت ميلاده وحياته الأسرية وطرفاً من حياته العلمية وتلاميذه ومن روى عنه وملكته الوعظية وآثاره المطبوعة.

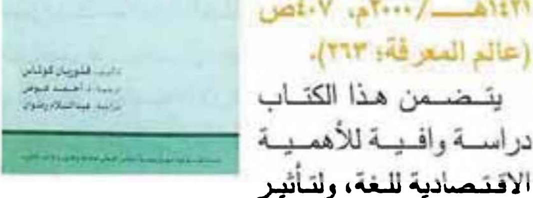
احتوت المجموعة على أربعة كتب، جاء الأول بعنوان «اليواقيت»، وهي مخطوطة تنشر محققة أول مرة، والثاني بعنوان «عجيب الخطب»، وهو يحوي ثلاثين خطبة جاءت الأولى من دون حرف الألف، والثانية من دون حرف الباء إلى الخطبة التاسعة والعشرين من دون حرف الياء، ثم ختمها بالخطبة ثلاثين من دون نقط، أي كلها حروف مهملة.

وجاء الكتاب الثالث بعنوان «رؤوس القوارير في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير»، ويختم بالكتاب الرابع الذي جاء بعنوان «ملتقط الحكايات»، وقد اشتمل على سبع وخمسين حكاية وقعت لبعض الصالحين مفعمة بالفوائد والمواعظ التي يستفيد منها المسلم.

أبو صفية، جاسر خليل/ معرّب القرآن عربي أصيل.. الرياض: دار أجا، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ١٨٣ص.

قضية المعرب في العربية عامة وفي القرآن الكريم خاصة ليست مجرد مسألة لغوية تعنى بأمر الاقتراض اللغوي، إذ يشتم منها رائحة شعوبية، فعندما ماتت اللغة الفارسية الفهلوية بعد الفتح العربي لبلاد فارس حلت محلها عربية القرآن ولما حاولت استعادة نشاطها بعد توقف دام ثلاثة قرون تحت اسم «الفارسية الحديثة الإسلامية» كانت قد استوعبت آلاف الألفاظ العربية في شتى ميادين المعرفة فلم تكتب وتؤلف هذه الرسائل في هذه الألفاظ تحت عنوان «المفرس في اللغة الفارسية» مثلاً أسوة بالمعرب في العربية.

فهذه دراسة لغوية ترسيسية لبعض مفردات القرآن التي زُعم أنها فارسية أو إغريقية أو لاتينية. مرتبة هجائياً حسب أوائل الكلمات، ويورد المؤلف خمسة عشر علماً، وهناك خاتمة لهذه الدراسة، إضافة إلى الحواشي.



كولماس، فلوريان/ اللغة والاقتصاد.. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٤٠٧ص (عالم المعرفة: ٢٦٣).

يتضمن هذا الكتاب دراسة وافية للأهمية الاقتصادية للغة، ولتأثير العوامل الاقتصادية في التطور اللغوي، وقد صدر أول مرة في عام ١٩٩٠م باللغة الألمانية، وأعيد طبعه أربع مرات خلال عامين فقط عند صدور الطبعة الإنجليزية منه عام ١٩٩٢م، وهذا يدل على أهميته.

ناقش المؤلف في هذا الكتاب كثيراً من الطرائق التي تتفاعل بها اللغة مع الاقتصاد، والتي من بينها: العلاقة المتبادلة بين التعدد اللغوي والثراء الاجتماعي، وكيف ولماذا تقوم اللغة والنقود بوظائف متشابهة في المجتمعات الحديثة؟ ولماذا تكون اللغة الموحدة ذات فائدة اقتصادية؟ ولماذا يتسبب التفاوت في توزيع اللغات في المجتمعات المتعددة اللغة في التفاوت الاقتصادي؟

واللغة - كما يُظهر المؤلف - إنما هي وسيط للتجارة، كما أنها رصيد في حد ذاتها، ولكنها قد تكون عائقاً للتجارة في بعض الأحيان، ولا يمكننا تفسير التغيرات في الخريطة اللغوية للعالم دون فهم العلاقة القوية بينها وبين التطورات الاقتصادية.

خاتمي، محمد/ مدينة السياسة: فصول من تطور الفكر السياسي في الغرب.. بيروت: دار الجديد، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٢٩٢ص.

هذا هو الكتاب الثالث للرئيس الإيراني محمد خاتمي بعد كتابيه «المشهد الثقافي في إيران مخاوف وآمال»، و«مطالعات في الدين والإسلام والعصر». فالكتاب حصيلة المحاضرات التي ألقاها خاتمي في قسم الفلسفة بجامعة الطباطبائي في عام ١٩٩٣م، وهو تطواف عجول في أنحاء من فكر الغرب السياسي وحصيلة نظرات سريعة إلى أبرز موضوعاته ومفاهيمه، ويرى خاتمي ضرورة التمعن في أمر السياسة فكراً وفلسفة وعدم حملها على الأحداث والوقائع.

يتضمن الكتاب توطئة لمادته قدم فيها المؤلف جملة أسئلة مهمة في السياسة والفكر، ويعقبها أحد عشر فصلاً رئيساً وخاتمة بعنوان «لئلا يُيتّمنا دوال الحضارة الغربية».



طالب، محمد سعيد/ الدولة الحديثة والبحث عن الهوية.. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٣٧٥ص.



هذا الكتاب بحث شامل في مفهوم الدولة الحديثة في ضوء التاريخ والتجربة والإشكاليات والمرجعيات والأصول التي أسست هذا المفهوم، ودراسة لتطوره التاريخي، وتضمن الكتاب أربعة فصول (الدولة الإقطاعية في أوربا الغربية)، و(الدولة والأمة)، و(الدولة والطبقة)، و(دولة التبعية «دولة بلا هوية»). فبدأ المؤلف بدراسة الدولة الإقطاعية الأوربية الغربية حتى وصل إلى الدولة الحديثة التي هي دولة التعددية الحزبية، والثقافية، ودولة الديمقراطية والحريات العامة، والصحافة الحرة، والتواصل الحر.

وركز في آخر الدراسة في الدولة في العالم الثالث وفي الوطن العربي وقسمها ثلاثة نماذج وهي: نموذج الدولة البرجوازية الوطنية، ونموذج الدولة الوطنية الثورية، ونموذج الدولة الريعية أو المحدثة.

الملحقية الثقافية السعودية بدمشق/ حمد الجاسر: علامة الجزيرة العربية.. دمشق، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٦٧ص.

تم إعداد هذا الكتاب بمصاحبة الندوة التي أقامتها الملحقية الثقافية السعودية بدمشق عن الشيخ حمد الجاسر، يرحمه الله، شارك فيها نخبة من العلماء من المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية السورية والجمهورية اللبنانية والمملكة الأردنية الهاشمية، فقد اختار كل واحد من هؤلاء العلماء جانبًا من شخصية الجاسر للتحدث عنه.

وتطرق الكتاب إلى إسهاماته المتعددة في مجال البحث والتحقيق العلمي وخدمة التراث العربي الإسلامي، وجاء ذلك تحت عدة عناوين منها: «الشيخ حمد الجاسر في سطور»، و«سيرة المؤلف بقلمه»، و«أهم المؤلفات والتحقيقات للشيخ حمد الجاسر»، و«رحلات الشيخ حمد الجاسر»، و«المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية»، و«مجلة (العرب) ومسيرة تاريخ الصحافة في المملكة»، و«الشيخ حمد الجاسر.. بأقلام الأدباء والمفكرين»، وختم الكتاب بقصيدة رثائية بعنوان «كفى بحزنك حزنًا» لخالد بن محمد الخنين.

بدوي، عبدالرحمن/ سيرة حياتي.. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٢مج.



عبدالرحمن بدوي اسم لامع في مجال الفكر والفلسفة، فكتبه مازالت تعد مرجعًا رئيسًا للباحثين العرب في مجالات كثيرة كالتراث الفلسفي اليوناني، والفكر الفلسفي الإسلامي، والفلسفة الأوربية الحديثة ولاسيما الفلسفة الألمانية بالإضافة إلى الفلسفة المعاصرة في فرنسا، وكذلك كتاباته عن الفلاسفة الأسبان، كما اهتم بدوي بالإنتاج الفلسفي الإبداعي في مؤلفات عن الفكر الوجودي والزمان الوجودي، وقيام الأخلاق الوجودية.

فهذا الكتاب هو سيرة ذاتية لبدوي تناول فيها حياته وحياة المثقفين العرب في مصر، والحالة السياسية المصرية في منتصف القرن العشرين، فقد أذهل هذا الكتاب الأوساط الثقافية العربية لما حفل به من آراء وتصريحات مثيرة للجدل ونقد لاذع للقادة المصريين وعدّ تصرفات جمال عبدالناصر حمقاء وطائشة، وتهجم على مشايخ الأزهر وعدّهم طماعين حاسدين يأكل الحسد قلوبهم. كما تعرض لطه حسين واتهمه بأنه عميل للبوليس يبلغ عن طلبة الجامعة، كما امتد النقد إلى كامل الشعب المصري، ولم يخف بدوي إعجابه بأوربا الغربية التي دعته للتدريس في جامعاتها.

جاءت آراء المؤلف متسمة بالحدة معبرة عن شخصيته.



كندة (ع ٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)

نشرة علمية تصدرها الجمعية السعودية للدراسات الأثرية في قسم الآثار والمتاحف في كلية الآداب بجامعة الملك سعود. تضمن العدد مجموعة من البحوث منها: «قصور طسم وجديس في اليمامة: محاولة في تحديد مواقعها» لخالد السليمان، و«مسجد جبلة باليمن» لعبدالله شيخة، و«الآثار الإسلامية بقرية البطالية - المنطقة الشرقية - المملكة العربية السعودية» لفهد الحسين، و«أضواء جديدة على حضارة الخرطوم الباكرة» لعبدالرحيم خبير، و«قراءة جديدة لنقش شعري من السُوارقية - بمنطقة الحجاز» لسعد الراشد، وغيرها من بحوث.

العنوان:
الجمعية السعودية للدراسات الأثرية
قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود
ص.ب ٢٤٥٦ الرياض ١١٤٥١
هاتف ٤٦٧٤٩٤٢ - ١ - ٠٠٩٦٦ ناسوخ ٤٦٧٤٩٤١ - ١ - ٠٠٩٦٦



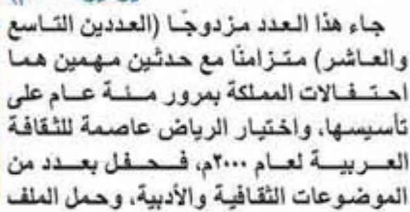
عالم الكتب (مج٢٢، ع ١-٢ رجب - شعبان/ رمضان - شوال ١٤٢١هـ أكتوبر - نوفمبر/ ديسمبر ٢٠٠٠م - يناير ٢٠٠١م)

مجلة محكّمة متخصصة في الكتاب وقضاياه.

جاء هذا العدد من الدورية مزدوجًا (الأول والثاني)، واحتوى على عدد من الموضوعات المتنوعة التي جاءت تحت عدة أبواب. ففي باب دراسات كتب بهاء الدين عبدالرحمن عن «عبدالعزيز الرفاعي وأعلام الزركلي»، وكتب عبدالرحمن بن عثمان الهليل عن «أخبار ابن مسعدة الصولي،و تراثه النثري (جمعًا وتوثيقًا)»، ثم كانت مقالة وليد محمد السراقبي بعنوان «مفهوم التحريف: دراسة في تأصيل المصطلح»، وغير ذلك من الموضوعات.

وفي باب الببليوجرافيات تناول أحمد عبدالقادر المهندس «العلوم التطبيقية في المراجع المعجمية العربية»، بينما تناول محمد صادق الحامدي «ببليوجرافيا البحوث ورسائل الدكتوراه في الحديث وعلومه في كليات الإلهيات بجامعات تركيا (١٩٢٠ - ١٩٢٢م) لـ (باووز أونال)»، كما تناول أحمد الحسين، في باب المراجعات، بالعرض والتحليل كتاب أمين سليمان سيدو «أبو الريحان البيروني: دراسة عن حياته ونتاجه الفكري». بالإضافة إلى تعريف بالدوريات والكتب التي صدرت حديثًا.

العنوان:
ص.ب ٢٩٧٩٩ الرياض ١١٤٦٧
تلفون: ٤٧٦٥٤٣٢
ناسوخ: ٤٧٦٣٤٣٨



النص الجديد (ع ٩، ١٠، ربيع الآخر/ يونيو ٢٠٠٠م)

جاء هذا العدد مزدوجًا (العددين التاسع والعاشر) متزامنًا مع حدثين مهمين هما احتفالات المملكة بمرور مئة عام على تأسيسها، واختيار الرياض عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م، فحفل بعدد من الموضوعات الثقافية والأدبية، وحمل الملف الثقافي عنوان «إشكالية مفهوم المجتمع المدني وقضاياه في دول مجلس التعاون الخليجي» شارك في تحريره الدكتور سعد الدين إبراهيم، والدكتور تركي الحمد، ونجيب الخنيزي وآخرون. وجاءت (مفازات١) بعدد من القصائد لعدد من الشعراء منهم: الدكتور عبدالعزيز المقالح، ومحمد الألمعي، وسعد بوكرامي، وعلي العمري، وبديعة كشغري وغيرهم، وتركزت (سرديات) في (الفصل الخامس من المغزول) وهي آخر روايات عبدالعزيز المشري، ومقاطع من رواية (الحزام) لأحمد أبو دهمان للدكتور معجب الزهراني، وكان الملف الأدبي عن «شيخ النقاد» الأستاذ عبدالله عبدالجبار أعده حسن السبع وشارك فيه عدد من الكتاب والأدباء، بالإضافة إلى كتب ومراجعات وعدد من الموضوعات الأخرى.

العنوان:
ص.ب ٩٨٧٩ الدمام ٣١٤٣١
ص.ب ١٣٥٥٣ جدة ٣١٤١٤

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية (ع١٩، ربيع الأول ١٤٢١هـ/ يونيو٢٠٠٠م)

مجلة إسلامية، فكرية، محكّمة نصف سنوية تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي.

احتوى العدد على أحد عشر بحثًا، تناولت موضوعات شتى، قرآنية وحديثية، وفقهية، ونحوية، وصرفية، وأدبية منها: «تدبر القرآن بين المنهج الصحيح والانحرافات المعاصرة» للدكتور عبادة بن أيوب الكبيسي، و«موازنة في مبحث (معرفة أسباب النزول) بين الزركشي والسيوطي» للدكتور محب الدين عبد السبحان واعظ، و«تحمل الحديث وروايته من خلال وسائل التلقي القديمة والحديثة» للدكتور صالح يوسف معتوق، وغير ذلك من الموضوعات.

كما اشتمل العدد أيضًا على مخطوطة قيمة للنحوي ابن بَرّي، تنشر أول مرة، وهي موسومة بـ «تسمية الشيء باسم الشيء إذا كان منه بسبب وأوزان الاسم الثلاثي» ولم يشر إليها أحد من القدامى ولا المحدثين.

العنوان: ص.ب ٣٤٤١٤
دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف: ٣٩٦١٧٧٧ (٩٧١٤)،
فاكس ٣٩٦١٢٨٠ (٩٧١٤)

أين النقد الأدبي اليوم؟

أحمد بن ناصر الرازحي
أبها - السعودية

النقد قضية قديمة قدم الإنسان، فبه نستطيع تمييز الأشياء ومعرفة الجيد من الرديء في مختلف المجالات، وحين يغيب الناقد الماهر تختلط الأشياء وتتفق المتناقضات إلى حد كبير؛ وإذا كان النقد قد ارتبط بشكل كبير بالكلام، فإنه يصح أن يُمارس في كل مناحي الحياة، وهو يمارس فعلاً حتى عند أبسط الناس في كثير من مجريات حياتهم، في البيت والسوق والعمل وفي الكثير من الأحوال اليومية للإنسان، فهو عملية فحص الأشياء، ومعرفة صفاتها، والتمييز بين جيّدها ورديئها، والحكم عليها. صحيح أن الذوق يتدخل أحياناً في هذه العملية، ولكن ذلك يعدّ نوعاً من أنواع النقد، فلولا الذوق لفسد الكثير مما يمس حياة الإنسان، والذوق من مُجمّلات الأشياء عند بني البشر.

ولكوني هنا لا أعمم النقد فإنني أريد أن أتناول جانباً واحداً فقط من جوانب النقد ألا وهو النقد الأدبي، وحين أكتب عن النقد الأدبي فأنا لا أريد أن أنظر إليه وأشرح أساليبه وطرائقه، فالكثيرون من علماء الأدب والنقد قد تناولوا هذه القضية، وفصّلوا فيها، ودرسوا وحلّلوا الكثير من النصوص الأدبية الشهيرة ليجعلوها مثالاً يُحتذى، فكانوا أصحاب سبق أدبي لا يُنكر. والدراسات النقدية تختلف من عصر إلى عصر عند العرب؛ فمؤرخو النقد يشيرون إلى أنّ النقد في العصر الجاهلي كان تأثريّاً آنيّاً يعتمد على الذوق الفطري، ويتضمن أحكاماً جريئة وتعميمات ومبالغات كثيرة، وليست له قواعد محددة.

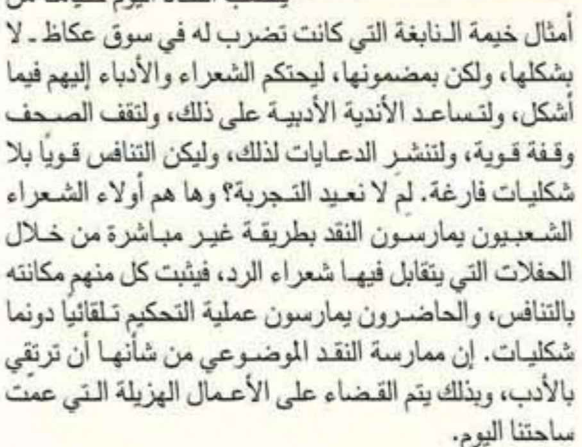
تدقيق وتعليل

وفي عصر صدر الإسلام ظهرت أحكام نقدية فيها شيء من التدقيق والتعليل، تهتم بالصدق والقيم الرفيعة. وفي القرن الثاني الهجري ظهر النقاد اللغويون وجمعوا الشعر القديم، ووازنوا بين الشعراء، وحكموا على أشعارهم، وبيّنوا صفاتها الفنية. وفي القرن الثالث الهجري ظهرت المؤلفات التي تهتم بتوثيق الشعر القديم الجاهلي والإسلامي لإثبات الصحيح منه وكشف المنحول، وتقويم الشعراء، وإجراء الموازنات بينهم، ودراسة بعض الشعر دراسة تبين جيّده من رديئه، والأساليب القوية والضعيفة فيه، وأسباب القوة والضعف. أما في القرن الرابع الهجري فقد وصف النقد فيه بالنضج لظهور نقاد بارعين، صنّفوا المؤلفات، وعالجوا القضايا النقدية الأساسية مثل تعريف الشعر والخطابة، ودراسة عناصرهما والعلاقة بينهما، ودراسة بناء القصيدة، والعناصر الجمالية في العمل الأدبي وأثر البديع في الشعر والنثر، والموازنة بين الشعراء موازنة تفصيلية دقيقة. وفي القرن الخامس الهجري أضاف النقاد أبحاثاً دقيقة في الإعجاز القرآني، وأسرار الجمال البياني، وعمود الشعر العربي والسرقات الشعرية. ثم تقلص النقد تدريجياً في ما بين القرن السادس الهجري والعصر الحديث إلى أدنى مستوى، وحاول في العصر الحديث أن يستعيد قوته، فقد بدأ بتطبيق المقاييس النقدية التي كانت سائدة في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وازداد تقدمه بعد ذلك حتى صارت له مناهج كثيرة،

واتجاهات مختلفة، منها ما يعتمد على الذوق المدرّب والثقافة العربية الخالصة المتأثرة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومنها ما يجمع بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية مع المحافظة على الأصالة العربية، واتجاه تطغى عليه الثقافة الغربية تماماً، واتجاه رابع هو الاتجاه النقدي الإسلامي والأدب الإسلامي الخالص(١).

جمود الواقع النقدي

وإزاء كل هذه المتغيرات لابد أن ننظر بدقة في واقعنا النقدي اليوم، فعلى الرغم من تحدث الأدباء عن رقي النقد في العصر الحديث، فإن الجمود بدأ يصيب الواقع النقدي بشيء من الفتور أو الضعف، وحينما ننظر في الكمية الهائلة من الأدباء والشعراء على مستوى الوطن العربي، سنجد الكثير: منهم المتألق المغمور، ومنهم الضعيف المشهور، ومعظمهم لا يعرفون أين يقفون بالضبط؛ فهم بين مخدوع أو مهضوم، وكلهم ينتظر تقويم الآخرين وإنصافهم، سواء من النقاد أو من القرّاء، إذ ليس من المعقول أن يكتب الشاعر أو الأديب لنفسه، فأين النقد من هذه الظاهرة المأساوية؟، وأين المهتمون بالارتقاء بالظاهرة الأدبية؟ هل نحن اليوم أقل حظاً وإمكانات من العصر الجاهلي أو الإسلامي أو القرن الرابع الهجري؟ لا أظن ذلك. إن التطور الهائل الذي وصلنا إليه في هذا العصر أكبر من أن يوازن بسابقه، صحيح أن المنتديات الأدبية في وطننا العربي تؤدي أدواراً مشكورة، وكذلك بعض الصحف، ولكنها تظل مقصورة على الذين تخطوا حاجز الشهرة بشكل كبير، إضافة إلى حياد النقد ولزومه الصمت عدا قليل من الظهور، ولكن على استحياء. وعلى الرغم من سلبيات النقد في العصر الجاهلي فإنه أحب إلينا من حال النقد اليوم، فنحن اليوم لا نرى نقداً موضوعياً - ولكننا نرى نقداً تأثرياً - إن صح التعبير - نقداً مداهناً للمشهورين من الأدباء والشعراء، مغلّفاً بالموضوعية، يرى الصواب ما يرونه؛ وبالمقابل نرى تجاهلاً للكثير من الشعراء والأدباء والمبتدئين وغير المبتدئين، فما ذنب المغمورين؟ هل يجب أن يثيروا زوبعة أدبية كما فعل طه حسين قديماً، وكما فعل حيدر حيدر في «وليمة أعشاب البحر» حديثاً، وغيرهما، ليشار إليهم بالبنان؟ إن الأصوب من ذلك أن يقف النقاد لأي عمل أدبي وقفة موضوعية متناولين العمل الأدبي بالدراسة والتمحيص، مع التزام تطبيق القواعد العامة التي اتفق النقاد عليها، وتحكيم الذوق والعقل، والثقافة الفنية والعامة، وعدم التحيّز، ولن تكون الفائدة مقصورة على صغار الأدباء أو الشعراء، بل حتى على الكبار، فحينما يعلم الأديب أو الشاعر أن ثمة من يحاسبه على ما يقول فلا شك أنه سيعمل على تدقيق ما يكتب وتمحيصه، وأنا أجزم أن الشاعر أو الأديب، إن لم يكتو بنار النقد فسيظل سلبياً متقوقعاً على نفسه، يحسب نتاجه في الصدارة، خصوصاً إن كان من المتقاعسين وقليلي الاطلاع، فهؤلاء قد يملكون الموهبة القوية، ولكن ينقصهم التوجيه السليم، ومن غير النقاد يمكن أن يحمل هذه المهمة الصعبة؟ وإذا عدنا إلى العصر الجاهلي فما الذي كان يدفع الشاعر زهير بن أبي سلمى مثلاً إلى أن تستغرق القصيدة عنده حولاً كاملاً لنظمها وإعدادها إعداداً جيداً سوى الخشية من النقاد الذين كانوا يتربصون بالشعراء بغية الوصول إلى الأجود؛ حتى حكم له بعد ذلك الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه أشعر الشعراء؛ لأنه كان لا يعاظل في الكلام (أي لا ترى في شعره تداخلاً ولا تعقيداً) وكان يتجنب حوشي الشعر (أي لا يقول إلا ما تألفه النفس)، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه. وعليه فما المانع أن ينصب النقاد اليوم خياماً من أمثال خيمة النابغة التي كانت تضرب له في سوق عكاظ - لا بشكلها، ولكن بمضمونها، ليحتكم الشعراء والأدباء إليهم فيما أشكل، ولتساعد الأندية الأدبية على ذلك، ولتقف الصحف وقفة قوية، ولتنشر الدعايات لذلك، وليكن التنافس قوياً بلا شكليات فارغة. لمَ لا نعيد التجربة؟ وها هم أولاء الشعراء الشعبيون يمارسون النقد بطريقة غير مباشرة من خلال الحفلات التي يتقابل فيها شعراء الرد، فيثبت كل منهم مكانته بالتنافس، والحاضرون يمارسون عملية التحكيم تلقائياً دونما شكليات. إن ممارسة النقد الموضوعي من شأنها أن ترتقي بالأدب، وبذلك يتم القضاء على الأعمال الهزيلة التي عمت ساحتنا اليوم.



الهوامش

١. النقد الأدبي للدكتور عبد الباسط عبدالرازق بدر.